الصحيح

من سيرة النبي الأعظم ﷺ



اشاره

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، 1944- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحیح من سیره النبی الاعظم صلی الله علیه و آله وسلم/ جعفرمرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحرگاهان، 1419ق. = 1377.

مشخصات ظاهری : ج 10

شابک : 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل) ؛ 130000ریال(دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، 53 قبل از هجرت - 11ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا 41ق.

رده بندی کنگره : BP22/9/ع 2ص 3 1377

رده بندی دیویی : 297/93

شماره کتابشناسی ملی : م 77-15929

ص: 1

اشاره

ص: 2

ص: 4

تقديم الكتاب فى طبعته الرابعه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

و الحمد للّه رب العالمين، و الصلاه و السلام على محمد و آله الطاهرين، و نبرأ من أعدائهم و مخالفيهم إلى يوم الدين.

و بعد ...

فهذه هى الطبعه الرابعه لكتاب: (الصحيح من سيره النبى الأعظم) صلى اللّه عليه و آله و سلم. نقدمها إلى القراء الكرام، بعد بدء صدور هذا الكتاب بحوالى ثلاثه عشر عاما خلت.

و تمتاز هذه الطبعه عن سابقتيها بأمور أساسيه ثلاثه، هى التاليه:

1- إن هذه الطبعه تأتى بعد حصول هذا الكتاب على جائزه الجمهوريه الإسلاميه فى إيران لعام 1413 ه. ق. باعتباره الكتاب الأول فى مجال كتابه السيره النبويه المباركه.

و طبيعى أن يثير هذا الأمر شعورا لدى الكثيرين بضروره نشر هذا الكتاب بصوره أتم و أفضل، و على نطاق أوسع و أشمل.

كما أنه يمنحهم مبررا لتأكيد إصرارهم على مؤلفه لمتابعه جهوده

التحقيقيه، فى نطاق السيره النبويه المباركه، لسد الفراغ الموجود فى هذا المجال.

ثم هو يذكى شعورا لدى مؤلفه، بأن جهده الذى يبذله لن يكون بدون جدوى، بل ربما يكون ضروريا و لازما، الأمر الذى يمنحه فرصه للتفكير فى الرجوع عن قراره السابق بعدم الإستمرار فى كتابه فصول هذا الكتاب، بسبب ما يواجهه من صعوبات، و ما يتحمله من مشاق فى هذا السبيل.

2- إن هذه الطبعه تمتاز عن سابقتيها بأنها قد جاءت أكثر دقه و صفاء، و صحه و نقاء منهما، حيث قد أعيد النظر فى كثير من النقاط التى كان هذا الكتاب قد أثارها. و حصلت فيها تصحيحات و إضافات، و تغييرات كثيره، إما تأييدا و تأكيدا، أو تنقيحا و تصحيحا.

كما و حصلت إضافات كثيره فى هوامش الكتاب، بالإضافه إلى بعض التصحيحات فيها.

و قد كانت هذه التغييرات و الإضافات من الكثره، بحيث أصبحت أجزاء الكتاب ثمانيه بعد أن كانت سته أجزاء.

3- لقد أعدنا النظر فى تمهيد الكتاب، و توسعنا فى مطالبه، إلى حدّ أنها أصبحت تشكل واحدا من أجزاء الكتاب المستقله، فاعتبرناه مدخلا لدراسه السيره النبويه المباركه، و كان هو أول أجزائها فى هذه الطبعه، و أصبح الجزء الأول هو الثانى و الثانى هو الثالث، و هكذا.

و لم نكن لنصنع ذلک لو لا أننا رأينا: أن من المهم جدا تعريف القارى ء و الباحث على قضايا و سياسات كانت و لا تزال تخفى تاره و تظهر أخرى، و لم تستطع حتى الآن أن تحتل مكانتها الحقيقيه فى التكوين الفكرى فى المجال الثقافى العام.

و فى الختام أقول:

لقد كنت أتمنى لو تسنح لى الفرصه لإعاده كتابه هذا الكتاب، و صياغته من جديد؛ لإصلاح تعابيره و تراكيبه، و إعاده النظر فى تبويبه و ترتيبه و قد تنشأ عن ذلک إضافات کثیره، و تصحیحات هنا و هناک کبیره أو صغیره.

و لکن الفرصه- للأسف- کانت و لا تزال محدوده، بل هی مفقوده من الأساس. حتى إننى لا ابعد إذا قلت بمراره: أن معظم ما أكتبه يقدم إلى الطبع و هو فى مسودته الأولى، فلا غرو إذا ظهر فيه أحيانا أغلاط كثيره، و فجوات كبيره.

و لكننا عملا بقاعده: (ما لا يدرک کله، لا يترک کله) نقبل بتحمل وزر ذلک على أمل أن يأتى الآخرون، و يقوموا بدورهم فى تنقيح هذه البحوث، و التوسع فيها، و عرضها بالشكل اللائق و المقبول.

فها أنا أقدم هذا الكتاب إلى القراء الكرام بانتظار توفر الوقت، و صحه العزم، و بذل الجهد فى التنقيح و التصحيح، أو إكمال الطريق، رغم ما فيها من أشواک و أدغال، و من مصاعب و مشقات و أهوال.

و فى الختام.

نسأل اللّه سبحانه أن ينفع بما كتبت، و يجعله خالصا لوجهه الكريم، و منه تعالى نستمد العون و القوه، و نسأله التأييد و التسديد.

و الحمد للّه، و الصلاه و السلام على عباده الذين اصطفى محمد و آله الطاهرين.

22/ 2/ 1414 ه. ق.

جعفر مرتضى الحسينى العاملى

تقدیم:

بدایه:

تقدیم (1):إن حیاه المجتمعات لیست أحداثا متباینه و منفصله عن بعضها البعض، و إنما هی استمرار یضع الماضی کل ما حصل علیه من عمله الدائب، و جهاده المستمر فی صمیم هذا الحاضر، لیستمد منه الکثیر من عناصر قوته، و حرکته، و وسائل تطوره، ثم تقدمه بخطی ثابته و مطمئنه نحو المستقبل الذی یطمح له، و یصبو إلیه.

فمن الطبیعی إذن، أن نجد لکثیر من الأحداث التاریخیه، حتی تلک التی توغلت فی أعماق التاریخ، حتی لا یکاد یظهر لنا منها شی ء، آثارا بارزه حتی فی واقع حیاتنا الیومیه الحاضره، فتظهر آثارها فی حیاه الشعوب، و فی تصرفاتها، بل و فی مفاهیمها و عواطفها، فضلا عن تأثیرها علی الحاله الدینیه، و الأدبیه، و العلمیه، و السیاسیه و الإقتصادیه، و العلاقات الإجتماعیه، و غیر ذلک.ب.

1- هذا التقدیم عباره عن ملامح عن تقدیم کتابنا: الحیاه السیاسیه للإمام الرضا (علیه السلام)، و نوردها هنا لصلتها المباشره بموضوع بحثنا هذا، و حتی لا نضطرّ لإحاله القارئ علی ذلک الکتاب.

و إن كان تأثير هذه الأحداث يختلف شمولا و عمقا من أمه لأخرى، و من شعب لآخر أيضا.

مهمه التاريخ:

أما مهمه التاريخ، فهى أن يعكس بدقه و أمانه حياه الأمه فى الماضى، و ما مرّت به من أوضاع و أحوال، و ما تعرضت له من هزات فكريه، و أزمات اقتصاديه، و اجتماعيه و غيرها.

و هذا ما يؤكد أهميه التاريخ، و يبرز مدى تأثيره فى الحياه، و يعرفنا سرّ اهتمام الأمم على اختلافها به تدوينا، و درسا، و بحثا، و تمحيصا، و تعليلا. فهى تريد أن تتعرف من خلال ذلک على بعض الملامح الخفيه لواقعها الذى تعيشه؛ لتستفيد منه کلبنه قويه و صلبه لمستقبلها الذى تقدم عليه.

و لتكتشف منه أيضا بعضا من عوامل رقيها و انحطاطها، ليكون ذلک معينا لها على بناء نفسها بناء قويا و سليما، و الإعداد لمستقبلها على أسس متينه و قويه و راسخه.

و نحن هل نملک تاريخا:

و نحن أمه تريد أن تحيا الحياه بكل قوتها و حيويتها، و فاعليتها، و لكننا فى الوقت الذى نملک فيه أغنى تاريخ عرفته أمه، لا نملک من کتب التاريخ و التراث ما نستطيع أن نعوّل عليه فى إعطاء صوره كامله و شامله و دقيقه عن كل ما سلف من أحداث؛ لأن أكثر ما كتب منه تتحكّم فيه النظره الضيقه، و يهيمن عليه التعصب و الهوى المذهبى، و يسير فى اتجاه التزلف للحكام.

و أقصد ب (النظره الضيقه) عمليه ملاحظه الحدث منفصلا عن

جذوره و أسبابه، ثم عن نتائجه و آثاره.

و بكلمه أوضح و أصرح:

إن ما لدينا هو- فى الأكثر- تاريخ الحكام و السلاطين، و حتى تاريخ الحكام هذا، فإنه قد جاء مشوّها و ممسوخا، و لا يستطيع أن يعكس بأمانه وحيده الصوره الحقيقيه لحياتهم و لتصرفاتهم و مواقفهم؛ لأن المؤرخ كان لا يسجل إلا ما يتوافق مع هوى الحاكم، و ينسجم مع ميوله، و يخدم مصالحه، مهما كان ذلک مخالفا للواقع، و لما يعتقده المؤرخ نفسه، و يميل إليه.

و من هنا، فإننا لا نفاجأ إذا رأينا المؤرخ يهتم بأمور تافهه و حقيره، فيسهب القول فى وصف مجلس شراب، أو منادمه لأمير أو حاكم، أو يختلق أحداثا، أو شخصيات لا وجود لها، ثم يهمل أحداثا خطيره، أو يتجاهل شخصيات لها مكانتها و أثرها العميق فى التاريخ، و فى الأمه. أو يشوّه أمورا صدرت من الحاكم نفسه، أو من غيره، أو يحيطها- لسبب أو لآخر- بالكتمان، و يثير حولها هاله من الإبهام و الغموض.

دراسه التاريخ:

إذن، فلا بد لمن يريد دراسه التاريخ و الإستفاده من الكتب التاريخيه و التراثيه، من أن يقرأها بحذر و وعى، و بدقه و تأمل، حتى لا يقع فى فخّ التضليل و التجهيل.

فلا بد له من أن يفتح عينيه و قلبه على كل كلمه تمرّ به. و يحاول قدر المستطاع أن يستنطقها، و يستخلص منها ما ينسجم مع الواقع، مما تؤيده الدلائل و الشواهد المتضافره، و يرفض أو يتوقف فى كل ما تلاعبت به الأهواء، و أثرت عليه الميول و العصبيات.

و ليس ذلک بالأمر اليسير و السهل، و لا سيما فيما يرتبط بتاريخ الإسلام الأول الذى هبت عليه رياح الأهواء الرخيصه و العصبيات الظالمه، و عبثت به أيدى الحاقدين، و ابتزت منه رواءه و صفاءه إلى حد کبير و خطير.

ماذا نريد:

و نحن بدورنا فى کتابنا هذا لسوف نحاول استخلاص صوره نقيه و واضحه قدر الإمکان عن تاريخ نبينا الأکرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و لسوف ينصب إهتمامنا بصوره أکثر و أوفر على إبعاد کل ذلک الجانب المريض من النصوص، المجعوله تاريخا، مع أن الکثير منها لا يعدو أن يکون أوهاما و خيالات، ابتدعها المحدثون المغرضون و القصاصون الأفاکون، و أصحاب الأهواء و المتزلفون.

ميزات أساسيه فى تاريخ الاسلام المدوّن:

نقول ما تقدم بالرغم من أننا قد قلنا آنفا: أننا على قناعه من أن تاريخ الإسلام المدوّن- على ما فيه من هنات و نقص- أغنى تاريخ مکتوب لأيه أمه من الأمم، و هو يمتاز عن کل ما عداه بدقته و شموله، حتى إنک لتجده کثيرا ما يسجل لک الحرکات، و اللفتات، و اللمحات، فضلا عن الکلمات، و المواقف و الحوادث، بدقه متناهيه و استيعاب لا نظير له.

أضف إلى ذلک: أنه يملک من الآيات القرآنيه، ثم من النصوص الصحيحه و الصريحه الشى ء الکثير، مما لا تجده فى أى تاريخ آخر على الإطلاق. هذا إن لم نقل إن هذا الأمر من مختصات تاريخ الإسلام، إذا تأکدنا: أنه ليس بإمکان أى تاريخ أن يثبت من مقولاته إلا النزر اليسير، و لا سيما فى جزئيات الأمور، و فى التفاصيل و الخصوصيات.

و میزه أخری یمتاز بها تاریخ الإسلام، و هی أنه یمتلک قواعد و منطلقات تستطیع أن توفر للباحث السبل المأمونه، التی یستطیع من خلال سلوکها أن یصل إلی الحقائق التی یریدها، دقّت، أو جلّت.

و لسوف یأتی الحدیث عن بعض من ذلک فی بعض فصول ما اصطلحنا علیه أنه (المدخل لدراسه السیره النبویه الشریفه).

البدایه الطبیعیه لتاریخ الإسلام:

و واضح: أن البدایه الطبیعیه لتاریخ الإسلام، و أعظم و أهم ما فیه هو سیره سید المرسلین محمد صلی اللّه علیه و آله الطاهرین. فلا بد من البدء بها، و لو ببحث قضایا و أحداث رئیسه فیها، لیکون ذلک بمثابه خطوه أولی علی طریق التصدی لبحوث مستوعبه و شامله، من قبل المتخصصین و الباحثین، من ذوی الکفاءات و الهمم العالیه.

و لکن ذلک یحتاج إلی تقدیم مدخل من شأنه أن یعطی انطباعا عاما عن أجواء و مناخات البحث فإلی هذا المدخل الذی یشتمل علی عده فصول ...

و اللّه هو الموفق و المسدد، و هو المستعان، و علیه التکلان.

الفصل الأول: و ما تخفی صدورهم أعظم !!

اشاره

صفات النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

المفروض بالنبی- أی نبی کان- أن یمثل النموذج الفذ، الذی یریده اللّه تعالی علی الأرض، و هو الإنسان، بکل ما لهذه الکلمه من معنی. فهو رجل الفضل، و العقل، و الکمال، و مثال الحکمه، و الوقار و الجلال. عالم حکیم، تقی، شجاع، حازم، إلی غیر ذلک من صفات إنسانیه فاضله، و کمالات رفیعه. لا تری فی أعماله أی خلل أو ضعف، و لا فی تصرفاته أی تشتت أو تناقض.

و بکلمه: إنه الرجل المعصوم من الخطأ، المبرء من الزلل، أکمل الخلق و أفضلهم؛ و لأجل ذلک جعل اللّه تعالی نبینا محمدا (صلی اللّه علیه و آله و سلم) أسوه لبنی الإنسان مدی الدهر، و فرض علیهم أن یقتدوا به فی کل شی ء حتی فی جزئیات أفعالهم، فقال تعالی: لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ (1).

أتری، هذا هو الرسول؟!:

و لکننا لو راجعنا الروایات التی یدّعی: أنها تسجل لنا تاریخ نبی1.

1- الأحزاب/ 21.

الإسلام، (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، لوجدنا هذا النبى، الذى اصطفاه اللّه و اختاره من بين جميع خلقه، و وصفه جل و علا فى القرآن الكريم بأنه لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (1) و الذى هو أشرف الأنبياء و المرسلين، و أعظم و أكمل رجلٍ وجد على وجه الأرض، و هو عقل الكل، و مدبّر الكل، و إمام الكل- لوجدناه- رجلا عاجزا، و متناقضا، يتصرف كطفل، و يتكلم كجاهل، يرضى فيكون رضاه ميوعه و سخفا، و يغضب فيكون غضبه عجزا و اضطرابا، يحتاج دائما إلى من يعلّمه، و يدبر أموره، و يأخذ بيده، و يشرف على شؤونه، و يحل له مشاكله. الكل أعرف، و أقوى، و أعقل منه؛ كما أثبتته الوقائع المختلفه المزعومه تاريخا و سيره لحياته (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

و بماذا؟ و كيف نفسّر حمل هذا النبى زوجته على عاتقه لتنظر إلى لعب السودان و خده على خدّها؟! أو أنها وضعت ذقنها على يده، و صارت تنظر إلى لعب السودان يوم عاشوراء؟! (2)

ثم هو يترك جيشه لينفرد بزوجته عائشه، ليسابقها فى قلب الصحراء، أكثر من مره، و فى أكثر من مناسبه، فتسبقه مره، و يسبقها أخرى، فيقول لها: هذه بتلك (3).0-

---

1- يحتمل بعض العلماء أن يكون المراد بالخلق: الدين، أو العاده و السنه العظيمه، و لكنه خلاف المتبادر من هذه العباره.
2- راجع: صحيح البخارى ج 1 ص 111 و ج 2 ص 100 و راجع ص 172 و راجع: مسند أحمد ج 6 ص 56 و 57 و 83 و 85 و 166 و 186 و 242 و 247 و 270 و سنن النسائى ج 3 ص 197 و 195 و صحيح مسلم ج 3 ص 21 و 22 و راجع: تاريخ عمر بن الخطاب ص 35 و إحياء علوم الدين ج 2 ص 44 و راجع هوامشه، و التراتيب الإداريه ج 2 ص 121 و 122 و الرياض النضره ج 2 ص 300 و الفتوحات الإسلاميه لدحلان: ج 2 ص 463.
3- راجع: صفه الصفوه ج 1 ص 176 و 177 و سنن أبى داود ج 3 ص 29 و 30-

أضف إلى ذلک: أنه یهوى زوجه ابنه بالتبنّی، بعد أن رآها فی حاله مثیره (1)

إلى غیر ذلک من المرویات الکثیره جدا التی تتحدث عن تفاصیل فی حیاته الزوجیه، مما نربأ نحن بأنفسنا عن التفوه به، و ذکره، فکیف بممارسته و فعله!!

و بماذا؟ و کیف نفسر أیضا: أن یرى هذا النبی الرأی، فتنزل الآیات القرآنیه مفنّده لرأیه، و مصوبه لرأی غیره، فیقعد لیبکی و ینوح على ما فرط منه (2).

و کیف نفسر أیضا ما یروونه عنه، من أنه مرّ على سباطه قوم، فیبولل-

---

1- الجامع لأحکام القرآن ج 14 ص 190 و تاریخ الخمیس ج 1 ص 501 و تفسیر البرهان ج 3 ص 325 و 326، و مجمع البیان ج 8 ص 359 و الإسرائیلیات و أثرها فی کتب التفسیر ص 396 و تفسیر القمی ج 2 ص 172/ 173 و السیره الحلبیه ج 2 ص 214 و تفسیر غرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البیان) ج 21 ص 12 و 13 و الدر المنثور ج 4 ص 202 و فتح القدیر ج 4 ص 284 و 286 و الکشاف ج 3 ص 540 و 541 و الطبقات لإبن سعد ط صادر ج ص 101 و مجمع الزوائد ج 9 ص 247 و لباب التأویل للخازن ج 3 ص 468 و مدارک التنزیل (مطبوع بهامش الخازن) ج 3 ص 468 و التبیان ج 3 ص 312 و نور الثقلین ج 4 ص 280 و 281/ 282 و جامع البیان ج 21 ص 10/ 11.
2- ستأتی مصادر ذلک فی غزوه بدر، فصل الغنائم و الاسرى: حین الحدیث حول-

و هو قائم (1)؟

ثم يكون له شيطان يعتريه- كما هو لغيره من الناس- و كان يأتيه فى صوره جبرئيل، و قد أعانه اللّه على شيطانه هذا فأسلم (2).

و إن شيطانه خير الشياطين (3).

ثم شربه للنبيذ و الفضيخ (4).

و كونه أحق بالشک من إبراهيم (عليه السلام) (5).-8

1- راجع: المصنف ج 1 ص 193 و صحيح البخارى ج 1 ص 34 و 35 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 111 و 112 و سنن الدارمى ج 1 ص 171 و مسند أحمد ج 4 ص 246 و ج 5 ص 402 و 382 و 394 و المعجم الصغير ج 1 ص 229 و ج 2 ص 266.
2- كشف الأستار عن مسند البزار ج 3 ص 146 و راجع: مشكل الآثار ج 1 ص 30 و 3 و المواهب اللدنيه ج 1 ص 202 و المعجم الصغير ج 1 ص 71 و مجمع الزوائد ج 8 ص 269 و 225 و راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج 1 ص 169 و حياه الصحابه ج 2 ص 712 عن مسلم.
3- اللآلئ المصنوعه ج 1 ص 360.
4- راجع: مسند أبى يعلى ج 4 ص 418 و نقله فى هامشه عن مصادر كثيره و مسند أحمد ج 2 ص 106 و التراتيب الإداريه ج 1 ص 102 عن مسلم و وفاء الوفاء ج 3 ص 822 عن أحمد و أبى يعلى و راجع: صحيح مسلم ج 6 ص 105 و سنن النسائى ج 8 ص 333 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1126 و سنن أبى داود ج 2 ص 213 و المصنف للصنعانى ج 9 ص 226 و تيسير الوصول ج 1 ص 275، و مجمع الزوائد ج 5 ص 64 و 66 و 67 و الطبقات الكبرى لإبن سعد ج 4 ص 44 و البدايه و النهايه ج 5 ص 331.
5- صحيح البخارى ج 3 ص 71 و مسند الإمام أحمد ج 1 ص 326 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1335 و تأويل مختلف الحديث ص 97 و صحيح مسلم ج 7 ص 98-

ثم إنه ينسى ما هو من مهماته و شؤونه، مثل ليله القدر، و حين يعجز عن تذكّرها يأمر الناس بأن يلتمسوها فى العشر الأواخر من شهر رمضان المبارک (1).

كما أنه لا يحفظ سوره الروم جيدا (2).

و ينسى أيضا أنه جنب (3) إلى غير ذلک مما لا يمكن تتبعه و لا الإحاطه به لكثرته، مما يزيد فى قبحه أضعافا على ما ذكرناه، مما زخرت به المجاميع الحديثيه و التاريخيه لدى بعض الطوائف الإسلاميه المنتشره فى طول البلاد و عرضها.

نعم ... هكذا تشاء الروايات- و كثير منها مدوّن فى الكتب التى يدّعى البعض: أنها أصح شى ء بعد القرآن- أن تصوّر لنا أعظم رجل، و أكرم و أفضل نبى على وجه الأرض!!

و هذه هى الصوره التى يستطيع أن يستخلصها من يراجع هذا الركام الهائل من المجعولات، إذا كان خالى الذهن من الضوابط و المعايير الحقيقيه، و المنطلقات الأساسيه، التى لا بد من التوفّر عليها فى دراسه التاريخ. و كذلک إذا كان لا يعرف شيئا مما يجب أن يتوفر فى الشخصيه التى يفترض أن تمثل النموذج الفذ لإراده اللّه تعالى على الأرض.ء.

1- كشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 485 و 484 و مجمع الزوائد ج 3 ص 176 و 175 و ج 7 ص 348.

2- الدر المنثور ج 5 ص 150 عن ابن أبى شيبه، و أحمد، و ابن قانع، و راجع: مناهل العرفان ج 1 ص 360 عن البخارى، و مسلم. و راجع: حول نسيانه صلى الله عليه و آله وسلم بعض الآيات فى كنز العمال ج 1 ص 538.

3- المعجم الصغير ج 2 ص 16. و راجع: ج 1 ص 130 حول نسيانه بعض الأسماء.

و كذلک إذا كان خالى النفس عن تقديس النص تقديسا ساذجا و عشوائيا. هذا التقديس الذى ربما يرفع هذه المنقولات عن مستواها الحقيقى، و يمنع- و لو جزئيا- من تقييمها تقييما واقعيا و سليما، يعطيها حجمها الطبيعى فى ميزان الاعتبار و الواقع.

و ما هو المبرر لتقديس كهذا؟! ما دام لم يثبت بعد أن هذا هو كلام النبى صلى الله عليه و آله وسلم أو موقفه، أو من صفاته و شؤونه، و ما إلى ذلک.

إن إعطاء هذه الصوره عن نبى الإسلام الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، و هو القدوه و الأسوه، لهو الخيانه العظمى للتاريخ، و للأمه، و للإنسانيه جمعاء، و لا زلنا نتجرع غصص هذه الخيانه، و نهيم فى ظلماتها.

الخطه الخبيثه:

و أما لماذا كل هذا الإفتراء على الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم)، فنعتقد: أن الأمر لم يكن عفويا، بل كان ثمه خطه مرسومه تهدف إلى طمس معالم الشخصيه النبويه، و التعتيم على خصائصها الرساليه الفذه، ليكون ذلک مقدمه لهدم الإسلام من الأساس، خصوصا من قبل الحكم الأموى البغيض و أعوانه.

و نذكر هنا بعض الأمثله التى تظهر بعض فصول هذه الخطه التى تستهدف الإسلام و رموزه، و شخصيه النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله) بالذات، و هى التاليه:

سياسات ضد نبى الإسلام صلى الله عليه و آله وسلم :

1- إنهم يذكرون عن زيد بن على بن الحسين (عليهما السلام)، أنه قال: إنه شهد هشام بن عبد الملک، و النبى يسبّ عنده؛ فلم ينكر ذلک

هشام، و لم يغيّره (1).

2- ذكروا فى ترجمه خالد بن سلمه المخزومى المعروف ب (الفأفاء): أنه كان مرجيا، و يبغض عليا، و أنه كان ينشد بنى مروان الأشعار التى هجى بها المصطفى صلى الله عليه و آله وسلم . و خالد هذا يروى عنه أصحاب الصحاح الست ما عدا البخارى (2)!!

3- إن عمرو بن العاص لم يرض بضرب نصرانى يشتم النبى الأعظم (صلى اللّه عليه و آله و سلم) (3).

4- و قد ذكر الكميت: أنه كان إذا مدح النبى صلى الله عليه و آله وسلم اعترض عليه جماعه، و لم يرضوا بذلک، فهو يقول:

إلى السراج المنير أحمد لا يعدلنى عنه رغبه، و لا رهب

عنه إلى غيره، و لو رفع الناس إلىّ العيون، و ارتقبوا

و قيل: أفرطت بل قصدت و لوعنّفنى القائلون، أو ثلبوا

إليک يا خير من تضمنت الأرض، و إن عاب قولى العيب

لجّ بتفضيلک اللسان و لوأكثر فيک الضجاج و اللجب و لعل الكميت رحمه اللّه قد أحسّ أن وراء هذه السياسه أمرا عظيما، حيث يقول:

رضوا بخلاف المهتدين و فيهم مخبّأه أخرى تصان و تحجب ه.

1- كشف الغمه للأربلى ج 2 ص 352 عن دلائل الحميرى، و الكافى ج 8 ص 395 و تيسير المطالب فى أمالى الإمام أبى طالب ص 108 و قاموس الرجال ج 4 ص 270.

2- راجع: بحوث مع أهل السنه و السلفيه ص 101 و تهذيب التهذيب ج 3 ص 96 و دلائل الصدق ج 1 ص 29. و للعلامه المظفر تعليق هنا لا بأس بمراجعته.

3- الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 3 ص 193 و الإصابه ج 3 ص 195 عن البخارى فى تاريخه.

و لا يمكن تفسير (المخبأه) التى تصان و تحجب بأنها تفضيل الخليفه على الرسول؛ لأن ذلک لم يكن مخبأ، بل صرح به ولاه و أعوان الأمويين، كالحجاج بن يوسف، و خالد القسرى، كما سنرى.

فلا بد أن تكون هذه المخبأه هى طمس دين اللّه، و إزاله معالمه، و تشويه الصوره الحقيقيه لنبى الرحمه صلى الله عليه و آله وسلم ، و إزاله معالم الشخصيه النبويه بصوره نهائيه، من أذهان الناس.

5- حدّث مطرّف بن المغيره: أن معاويه قال للمغيره فى سياق حديث ذكر فيه معاويه ملک أبى بكر، و عمر، و عثمان، و أنهم هلكوا فهلک ذكرهم:

(و إن أخا هاشم يصرخ به فى كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمدا رسول اللّه، فأى عمل يبقى مع هذا لا أم لک؟! لا و اللّه، إلا دفنا دفنا) (1).

و يقال: إن هذه القضيه بالذات هى السبب فى إقدام المأمون فى سنه 212 ه على النداء بلعن معاويه، لو لا أنهم أقنعوه بالعدول عن ذلک (2) فراجع.

و نقول:

إن المغيره الذى ضرب الزهراء حتى أدماها، كما عن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن ذلک الرجل الذى يرجع إلى دين، أو يهمّه أمر ذكر5.

1- الموفقيات ص 577 و شرح النهج للمعتزلى ج 5 ص 129 و 130 و مروج الذهب ج 3 ص 454 و كشف الغمه للأربلى ج 2 ص 44 و كشف اليقين فى فضائل أمير المؤمنين ص 474 و قاموس الرجال ج 9 ص 20 و بهج الصباغه ج 3 ص 193.
2- مروج الذهب ج 3 ص 454 و 455.

النبی صلی الله علیه و آله وسلم ؛ فإن حال المغیره فی قله الدین و مجانبه الحق معلوم (1).

و لکن (ویل لمن کفّره نمرود)، فإن المغیره الرجل الداهیه لم یستطع تحمل جهر معاویه بهذا الأمر، و رأی فیه مجازفه خطیره، تجرّ معاویه، و کل من یسیر فی رکابه إلی أخطار جسام، لا یمکن التکهن بعواقبها، فأحب المغیره أن ینسحب بنفسه لیسلم بجلده، لو کان ثمه ما یخاف منه، أو لعله أحسّ فی ولده مطرّف بعض الإیمان، فاتقاه و ذکر له هذا الأمر بصوره تشنیعیه ظاهره.

و خلاصه الأمر: إن المغیره إنما یهتم بمصلحته الشخصیه بالدرجه الأولی، لا بمصلحه معاویه.

و قد یکون أحسّ من معاویه: أنه یرید عزله، و تولیه غیره، أو أنه کان فی نفسه موجده علیه، بسبب عزله إیاه، فذکر عنه ما کان أسرّه إلیه، أو أن ذلک قد کان منه قبل أن یولیه معاویه الکوفه !!

6- روی أحمد بن أبی طاهر فی کتاب: (أخبار الملوک): أن معاویه سمع المؤذن یقول: (أشهد أن محمدا رسول اللّه) فقال:

(للّه أبوک یا ابن عبد اللّه، لقد کنت عالی الهمه، ما رضیت لنفسک إلا أن یقرن إسمک باسم رب العالمین (2)).

فهذا النص یؤید النص السابق، و یوضّح لنا مدی تبرّم معاویه بهذا الأمر، و أنه یعتبر ذکر رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی الأذان إنما هو من صنیع رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم نفسه. أما أن یکون ذلک بوحی من اللّه فذلک آخر ما یفکر أو یعترف به معاویه.

7- ثم هناک محاولاتهم الجاده للمنع من التسمی بإسم رسول1.

1- راجع: قاموس الرجال ج 9 ص 84- 90 لتقف علی بعض حالات المغیره.
2- شرح نهج البلاغه للمعتزلی ج 10 ص 101.

اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و قد نجحوا فى ذلک بعض الشى ء كما يعلم، بالمراجعه (1).

8- يقول العنزى (سمعت أبا برزه و خرج من عند عبيد اللّه بن زياد، و هو مغضب فقال:

ما كنت أظن أن أعيش حتى أخلف فى قوم يعيرونى بصحبه محمد صلى الله عليه و آله وسلم ، قالوا: إن محمديّكم هذا الدحداح إلخ ... (2)).

9- و قد رأى مروان أبا أيوب الأنصارى واضعا وجهه على قبر النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فقال له: أتدرى ما تصنع؟!

فقال أبو أيوب: نعم، جئت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و لم آت الحجر (3).

ما أشبه الليله بالبارحه:

و ها نحن نجد نفس هذا الإتجاه الأموى يتبلور بصوره أصرح و أقبح فى نهج بعض الفرق التى تدعى لنفسها قيمومه على الإسلام و على مقدساته و رموزه، حيث إنها ما فتئت تعمل على المنع من التبرک بآثار النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله)، و تجهد فى طمس كل الآثار و المعالم الإسلاميه، و إزالتها بطريقه أو بأخرى، و بمبرر، و بلا مبرر. و تحكم بالكفر على هذا الفريق، و بالشرک على ذاک، لا لشى ء إلا لأنهم لا يوافقونهم فى المعتقد، و فى الرأى. و أمر هذه الفرقه أشهر من أن يذكر.3.

1- راجع: الغدير ج 6 ص 309 عن عمده القارى ج 7 ص 143.
2- مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 421.
3- مسند أحمد ج 5 ص 422 و مستدرک الحاكم ج 4 ص 515 و تلخيصه للذهبى مطبوع بهامشه، و صححاه. و مجمع الزوائد ج 4 ص 2 و وفاء الوفاء ج 4 ص 1359 و شفاء السقام ص 126 و المنتقى لإبن تيميه ج 2 ص 261/ 263.

سنّه النبی صلی الله علیه و آله وسلم أم سنّه غیره؟!:

أما قیمه سنّه النبی صلی الله علیه و آله وسلم لدیهم فیوضحها:

1- أنه حینما أنکر أبو الدرداء علی معاویه أکله الربا، أو شربه بآنیه الذهب و الفضه، و احتج علیه بقول رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، أجابه معاویه بقوله:

أما أنا فلا أری به بأسا.

فأخذ أبو الدرداء علی نفسه أن لا یساکن معاویه فی أرض هو فیها.

و کان ذلک فی زمن عمر بن الخطاب، فلما بلغه ذلک لم یزد علی أن أرسل إلی معاویه ینهاه عن فعل ذلک، و لکنه لم یعنفه علی ما صدر منه، و لا عاقبه، و لا عزله عن عمله (1).

و بالمناسبه فإننا نشیر هنا إلی أن أبا الدرداء لم یلتزم بما قطعه علی نفسه، حیث إنه قد ساکن معاویه بعد ذلک، و صار من أعوانه لما تسلط علی الناس، و ابتزهم أمرهم.

2- و کان عثمان قد أحدث الصلاه: فی منی أربعا، و لم یقصرها کما کان یفعل رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فاعتل عثمان مره، فطلبوا من علی (علیه السّلام) أن یصلی بالناس، فقال (علیه السّلام): إن شئتم صلیت لکم صلاه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، یعنی رکعتین.

قالوا: لا، إلا صلاه أمیر المؤمنین- یعنون عثمان- أربعا.0.

1- موطأ مالک ج 2 ص 135/ 136 (المطبوع مع تنویر الحوالک) و سنن البیهقی ج 5 ص 280 و راجع ص 278 و 277. و راجع: المصادر التالیه: شرح النهج للمعتزلی ج 5 ص 130 و سنن النسائی ج 1 ص 279 و 277 و اختلاف الحدیث للشافعی (مطبوع بهامش الأمم) ج 7 ص 23 و مسند أحمد ج 5 ص 319 و صحیح مسلم ج 5 ص 43 و الجامع لأحکام القرآن ج 3 ص 350.

فأبى (1).

3- و قال البعض عن الشافعيه: (و العجب، منهم من يستجيز مخالفه الشافعى لنص له آخر، فى مسأله بخلافه، ثم لا يرون مخالفته لأجل نص رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم) (2).

و ما ذلک إلا لأن شأن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن لدى هؤلاء فى المستوى اللائق به، كما هو ظاهر.

و يقول أبو زهره: (وجدنا مالكا يأخذ بفتواهم (أى الصحابه) على أنها من السنه، و يوازن بينها و بين الأخبار المرويه إن تعارض الخبر مع فتوى صحابى. و هذا ينسحب على كل حديث عنه صلى الله عليه و آله وسلم ، حتى و لو كان صحيحا) (3).

و إجراء حكم المتعارضين من قبل مالک بين فتوى الصحابى، و بين الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم هو الذى دفع الشوكانى إلى مهاجمه كل من يعتبر أقوال الصحابه حجه كقول النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فراجع ما قاله فى هذا المورد إن شئت (4).

و قد ذكرنا، طائفه من النصوص الداله على أنهم يرون للصحابه حق التشريع. و يرى بعض الصحابه أن هذا حق لهم فى كتابنا: الحياه السياسيه للإمام الحسن (عليه السلام) (5). و سيأتى بعض من ذلک فى فصل: معايير لحفظ الإنحراف.0.

1- المحلى ج 4 ص 270 و ارجع: ذيل سنن البيهقى لإبن التركمانى ج 3 ص 144.
2- مجموعه الرسائل المنيريه ص 32.
3- ابن حنبل لأبى زهره ص 251/ 255 و كتاب مالک لأبى زهره أيضا ص 290.
4- ابن حنبل لأبى زهره ص 254/ 255 عن إرشاد الفحول للشوكانى ص 214.
5- راجع: الحياه السياسيه للإمام الحسن (عليه السلام) ص 86- 90.

بغض قریش لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم :

و قد رأینا قریشا رغم تظاهرها بالإسلام لم تزل تکّن الحقد و البغض لرسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ؛ باستثناء أفراد قلیلین منهم. و قد ظهر ذلک جلیا واضحا حینما حاول صلی الله علیه و آله وسلم أن ینصب علیا إماما فی حجه الوداع، فی منی أو عرفات، و قد روی بأسانید صحیحه: أن الناس قد ترکوه بسبب ذلک، و صارحهم بقوله: ما بال شق الشجره التی تلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم أبغض إلیکم من الشق، الآخر (1). و قد حصل ذلک و النبی صلی الله علیه و آله وسلم راجع من مکه إلی المدینه؛ فراجع ذلک فی کتابنا: (الغدیر و المعارضون) إن شئت.

الخلیفه الأموی أفضل من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم :

و کان من سیاسات الأمویین تفضیل الخلیفه الأموی علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، یقول الجاحظ:

1- (فاحسب أن تحویل القبله کان غلطا، و هدم البیت کان تأویلا، و احسب ما روی من کل وجه: أنهم کانوا یزعمون: أن خلیفه المرء فی أهله أرفع عنده من رسوله إلیهم) (2).

2- و یقول أیضا عن بنی هاشم: (و لم یجعلوا الرسول دون6.

1- راجع علی سبیل المثال: الإحسان فی تقریب صحیح ابن حبان (ط مؤسسه الرساله) ج 1 ص 444 و مسند أحمد ج 4 ص 16 و المعجم الکبیر للطبرانی ج 5 ص 50- 52 و کشف الأستار عن مسند البزار ج 4 ص 206 و مجمع الزوائد ج 10 ص 408 عن أحمد عن ابن ماجه بعضه، و کنز العمال ج 10 ص 305 عن الدارمی، و ابن خزیمه، و ابن حبان، و مسند الطیالسی ص 182 و حیاه الصحابه ج 3 ص 9 عن أحمد.
2- رسائل الجاحظ ج 2 ص 16.

الخلیفه) (1). أی کما فعله الأمویون.

3- قال الجاحظ: خطب الحجاج بالکوفه، فذکر الذین یزورون قبر رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم بالمدینه، فقال: تبالهم، إنما یطوفون بأعواد و رمّه بالیه.

هلّا طافوا بقصر أمیر المؤمنین عبد الملک؟ ألا یعلمون: أن خلیفه المرء خیر من رسوله؟.

یقول المبرّد: إن ذلک مما کفّرت به الفقهاء الحجاج. و أنه إنما قال ذلک و الناس یطوفون بالقبر. و هذه القضیه معروفه و مشهوره (2).

4- و کتب الحجاج إلی عبد الملک: إن خلیفه الرجل فی أهله أکرم علیه من رسوله إلیهم، و کذلک الخلفاء یا أمیر المؤمنین أعلی منزله من المرسلین) (3).

5- قال خالد بن عبد اللّه القسری، و ذکر النبی صلی الله علیه و آله وسلم :

أیما أکرم رسول الرجل فی حاجته، أو خلیفته فی أهله،7.

1- آثار الجاحظ ص 205.
2- راجع: النصائح الکافیه ص 81 عن الجاحظ، و الکامل فی الأدب ج 1 ص 222 ط النهضه بمصر، و شرح النهج للمعتزلی ج 15 ص 242 و البدایه و النهایه ج 9 ص 131 و سنن أبی داود ج 4 ص 209 و العقد الفرید ج 5 ص 51 و الإشتقاق ص 188 و وفیات الأعیان ج 2 ص 7 و الإلمام ج 4 ص 313/ 314 و فیه أن ذلک هو سبب خروجهم مع ابن الأشعث، و راجع تهذیب تاریخ دمشق ج 4 ص 72 و بهج الصباغه ج 5 ص 291 و 319 و 338 عن العقد الفرید، و عن کتاب افتراق بنی هاشم، و عبد شمس للجاحظ.
3- العقد الفرید ج 2 ص 354 و ج 5 ص 51 و راجع ص 52 و راجع: البدایه و النهایه ج 19 ص 131 و تهذیب تاریخ دمشق ج 4 ص 72 و بهج الصباغه ج 5 ص 317.

يعرّض: أن هشاما خير من النبى صلى الله عليه و آله وسلم (1).

6- و يقول خالد القسرى أيضا: و اللّه لأمير المؤمنين أكرم على اللّه من أنبيائه (عليهم السلام) (2).

7- و زعم خالد القسرى أيضا: أن عبد اللّه بن صيفى سأل هشاما، فقال: يا أمير المؤمنين، أخليفتك فى أهلك أحب إليك و آثر عندك، أم رسولك؟!

قال هشام: بل خليفتى فى أهلى.

قال: فأنت خليفه اللّه فى أرضه و خلقه، و محمد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إليهم؛ فأنت أكرم على اللّه منه.

فلم ينكر هذه المقاله من عبد اللّه بن صيفى، و هى تضارع الكفر.

إنتهى كلام خالد (3).

8- و قد ادعى الحجاج: (أن خبر السماء لم ينقطع عن الخليفه الأموى (4).

و كان الحجاج يرى: أن عبد الملك بن مروان معصوم (5)، بل كان يرى نفسه: أنه لا يعمل إلا بوحى من السماء و ذلک حينما أخبروه: أن أم أيمن تبكى لإنقطاع الوحى بموت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم (6). و لا عجب بعد5.

1- الأغانى ج 19 ص 60.
2- الأغانى ج 19 ص 60 و راجع: تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 82.
3- الأخبار الطوال ص 346.
4- تهذيب تاريخ دمشق ج 4 ص 72.
5- العقد الفريد ج 5 ص 25.
6- تهذيب تاريخ دمشق ج 4 ص 73، و راجع: الإمام الصادق و المذاهب الأربعه ج 1 ص 115.

هذا إذا عرفنا أن البعض يقول: إن من خالف الحجاج فقد خالف الإسلام (1).

على خطى الحجاج:

و الذى يلفت نظرنا هنا: أننا نجد الوهابيين ينفذون السياسات الأمويه هذه بأمانه و دقه حتى إن زعيمهم محمد بن عبد الوهاب يقول عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم : (إنه طارش).

و بعض أتباعه يقول بحضرته، أو يبلغه فيرضى: عصاى هذه خير من محمد، لأنه ينتفع بها فى قتل الحيه و العقرب، و نحوها، و محمد قد مات، و لم يبق فيه نفع، و إنما هو طارش (2).

نظره الأمويين إلى الحرم و الكعبه:

أما بالنسبه إلى رأيهم فى الكعبه، و زمزم، و مقام إبراهيم و غيرها من المقدسات، فذلك أوضح من الشمس و أبين من الأمس. و يتضح ذلك من النصوص التاليه:

1- كان خالد القسرى قد أخذ بعض التابعين، فحبسه فى دور آل الحضرمى بمكه، فأعظم الناس ذلك و أنكروه، فخطب، فقال: قد بلغنى ما أنكرتم من أخذى عدو أمير المؤمنين و من حاربه. و اللّه، لو أمرنى أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبه حجرا حجرا لنقضتها. و اللّه، لأميره.

1- لسان الميزان ج 6 ص 89.
2- كشف الإرتياب ص 139 عن خلاصه الكلام ص 230 و الطارش هو: الرسول فى الحاجه.

المؤمنين أكرم على اللّه من أنبيائه (عليهم السلام) (1).

2- قال المدائنى: كان خالد يقول: لو أمرنى أمير المؤمنين لنقضت الكعبه حجرا حجرا، و نقلتها إلى الشام (2).

3- و أعظم من ذلک و أشد خطرا، و أعظم جرأه على اللّه عز و جل:

أن الحجاج لم يكتف فى حربه لإبن الزبير برمى الكعبه بأحجار المنجنيق، حتى رماها- و العياذ باللّه- بالعذره أيضا لعنه اللّه و أخزاه (3).

4- كما أن الوليد ابن يزيد الأموى قد أنفذ مجوسيا ليبنى على الكعبه مشربه للخمر. كما و ذهب فى عهد هشام إلى مكه و معه خمر، و قبه ديباج على قدر الكعبه، و أراد أن ينصب القبه على الكعبه، و يجلس فيها، فخوفه أصحابه من ثوره الناس، حتى امتنع (4).

5- و تقدم قول الجاحظ: أن هاشما تفخر على بنى أميه بأنهم لم يهدموا الكعبه (5). و أنهم: (أعادوا على بيت اللّه بالهدم، و على حرم المدينه بالغزو، فهدموا الكعبه، و استباحوا الحرمه ... إلخ) (6).

مقام إبراهيم (ع):

و قد روى عبد الرزاق عن الثورى، عن مغيره، عن أبيه، قال:6.

1- الأغانى ج 19 ص 20 و راجع: تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 82.
2- الأغانى ج 19 ص 59.
3- عقلاء المجانين ص 178 و الفتوح لإبن أعثم ج 2 ص 486.
4- بهج الصباغه ج 5 ص 340 عن الطبرى و الأغانى.
5- آثار الجاحظ ص 205.
6- رسائل الجاحظ ج 2 ص 16.

رأيت الحجاج أراد أن يضع رجله على المقام- مقام إبراهيم- فيزجره عن ذلك محمد ابن الحنفيه، و ينهاه عن ذلك.

أضاف الزمخشرى: أن ابن الحنفيه قال: (و اللّه، لقد كنت عزمت إن أرادنى أن أجتذب عنقه فأقطعها) (1).

زمزم أمّ الخنافس:

قال الأصمعى: قال أبو عاصم النبيل: ساق خالد (أى القسرى) ماء إلى الكعبه؛ فنصب طستا إلى جانب زمزم، ثم خطب فقال:

قد جئتكم بماء العاديه، و هو لا يشبه أمّ الخنافس، يعنى زمزم (2).

و قال خالد القسرى لعامله ابن أمّى: أيما أعظم، ركّيتنا؟ أم زمزم؟

فقال له: أيها الأمير، من يجعل الماء العذب النقاح مثل الملح الأجاج؟!

و كان يسمّى زمزم: أمّ الجعلان (3).

بين الخليفه الأموى و إبراهيم الخليل:

و قال أبو عبيده: خطب خالد (أى القسرى) يوما فقال: إن إبراهيم خليل اللّه استسقى ماء فسقاه اللّه ملحا أجاجا. و إن أمير المؤمنين استسقى اللّه ماء، فسقاه عذبا نقاخا (4).0.

1- المصنف للصنعانى ج 5 ص 49 و ربيع الأبرار ج 1 ص 843 و طبقات ابن سعد ج 5 ص 84.
2- تهذيب تاريخ دمشق ج 5 ص 82.
3- الأغانى ج 19 ص 59.
4- الأغانى ج 19 ص 60.

الحج إلى صخره بيت المقدس:

و يذكر المؤرخون أنه:

حين استولى ابن الزبير على مكه و الحجاز بادر عبد الملك بن مروان إلى: (منع الناس من الحج، فضجّ الناس، فبنى القبه على الصخره، و الجامع الأقصى؛ ليشغلهم بذلك عن الحج، و يستعطف قلوبهم. و كانوا يقفون عند الصخره، و يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبه، و ينحرون يوم العيد، و يحلقون رؤوسهم) (1).

و قد قال عبد الملك عن الصخره: هذه صخره الرحمان التى وضع عليها رجله (2).

و كان ابن مسعود، و عائشه، و عروه بن الزبير، و ابن الحنفيه، و ابن عمر، ينكرون ما يقوله أهل الشام عن الصخره، من أن اللّه وضع قدمه عليها (3).

فذكر ابن مسعود هنا و هو إنما توفى فى خلافه عثمان، يشير إلى أن أهل الشام الذين رباهم معاويه، كانوا يقولون بهذه المقاله فى وقت متقدم جدا، حتى اضطر هؤلاء الأعلام إلى الإعلان عن إنكارهم لهذا الأمر، بما فيهم ابن مسعود.

و قد اعترف البعض ببناء عبد الملك بن مروان لقبه الصخره، لكنه8.

1- البدايه و النهايه ج 8 ص 280 و 281 و راجع: الأنس الجليل ج 1 ص 272 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 161 و مآثر الأنافه ج 1 ص 129 و حياه الحيوان الكبرى ج 1 ص 66 و السنه قبل التدوين ص 502- 506.
2- التوحيد و اثبات صفات الرب ص 108.
3- الأباضيه، عقيده و مذهبا ص 98.

زعم: أن ذلک قد کان لأجل أنه رأی عظم قبه القمامه و هیئتها، فخشی أن تعظم فی قلوب المسلمین (1).

و لکنه کما تری تأویل بارد، و تخیّل فاسد، إذ لماذا اختار قبله الیهود لإزاله ذلک من قلوب المسلمین؟! و لماذا لا یختص ذلک بالمسجد الأقصی دون سواه؟ و لماذا منع الناس من الحج إلی الکعبه؟ و لماذا الطواف، و النحر، و الحلق، و الوقوف، إلخ؟!

ثم لماذا تحویل القبله عن الکعبه إلی بیت المقدس علی الظاهر، کما سنری؟! و لماذا؟ و لماذا؟

تحویل القبله:

ثم إنهم قد حولوا قبله المسلمین، کما ینص علیه الجاحظ.

و الظاهر هو: أنهم قد حولوها إلی بیت المقدس تجاه الصخره، التی هی قبله الیهود، کما ربما یقتضیه ما تقدم.

قال الجاحظ: (... حتی قام عبد الملک بن مروان، و ابنه الولید، و عاملهما الحجاج، و مولاهما یزید بن أبی مسلم، فأعادوا علی البیت بالهدم، و علی حرم المدینه بالغزو، فهدموا الکعبه، و استباحوا الحرمه، و حولوا قبله واسط).

إلی أن قال: (... فاحسب: أن تحویل القبله کان غلطا، و هدم البیت کان تأویلا، و احسب ما رووا من کل وجه: أنهم کانوا یزعمون ...

إلخ ...) (2).6.

1- أحسن التقاسیم ص 159.
2- رسائل الجاحظ ج 2 ص 16.

و يقول الجاحظ أيضا: (و تفخر هاشم بأنهم لم يهدموا الكعبه، و لم يحولوا القبله، و لم يجعلوا ... إلخ) (1).

و مما يدل على تحويل قبله واسط أيضا: أن أسد بن عمرو بن جانى، قاضى واسط، (قد رأى قبله واسط رديئه، فتحرّف فيها، فاتهم بالرفض) (2). فأخبرهم أنه رجل مرسل من قبل الحكام ليتولى قضاء بلدهم.

و نقول:

أولا: إن الظاهر هو أن تحويل القبله كان إلى صخره بيت المقدس، التى جعل الحج أولا إليها، بعد أن منع الحج إلى مكه و الكعبه. كما تقدم.

بل لقد ادعى البعض: أن القبله أساسا قد كانت قبل الهجره إلى الصخره (3).

و ثانيا: إنه يظهر من قصه قاضى واسط: أن غير الشيعه قد قبلوا بالأمر الواقع، وجروا على ما يريده الحكام. و الشيعه، وحدهم هم الذين رفضوا ذلک، حتى أصبح تحرى القبله مساوقا للاتهام بالرفض.

و ثالثا: لعل تحويل القبله إلى بيت المقدس يفسر لنا ما ورد من استحباب التياسر لأهل العراق خاصه، و هم الذين كان الحجاج يحكمهم من قبل بنى أميه. أى ليكونوا أقرب إلى الكعبه حينئذ. غير أن أئمه أهل0.

1- آثار الجاحظ ص 205.
2- نشوار المحاضرات ج 6 ص 36 و تاريخ بغداد ج 7 ص 16.
3- راجع: الكشكول للبهائى ط مصر ص 98 و تاريخ الخميس ج 1 ص 367 و السيره الحلبيه ج 2 ص 130.

البیت (علیهم السلام) لم یتمکنوا من الجهر و التصریح بهذا الأمر، فأشاروا إلیهم باستحباب التیاسر، ثم لما کانوا یسألونهم عن السبب فی ذلک تراهم یبررونه بما یبعد الشبهات عنهم (1).

و لکن ذلک، فیما یظهر لم یدم طویلا، فقد التفت خصوم الشیعه إلی ذلک، و لذا تراهم یتهمون کل من یتحری القبله بالرفض، کما تقدم.

تأویلات سقیمه:

یقول البعض: إن السر فی استحباب التیاسر هو أن علامات القبله لأهل العراق لم تکن کافیه لتعیینها بدقه، بحیث تجعل التوجه إلی سمت شخص الکعبه، فکان استحباب التیاسر مکملا لتلک العلامات.

و لکن هذا مرفوض، و لا یمکن قبوله، إذ أنه لو صح هذا لوجب الحکم بوجوب التیاسر لا استحبابه.

و قال بعض آخر: إن السر فی ذلک هو أن سعه الحرم من أحد جوانبه، أزید من الجوانب الأخری.

و نقول:

أولا: إنه إذا کان اللازم هو التوجه إلی شخص الکعبه، فإن سعه الحرم و ضیقه لا أثر له فی شی ء من ذلک.

ثانیا: و لو سلمنا: أن المطلوب هو التوجه إلی الحرم، فإن سعته من أحد الجوانب لیست بمقدار یستحب معه التیاسر الموجب للإبتعاد عنه مئات الأمیال أو أکثر أو أقل.ه.

1- راجع: وسائل الشیعه کتاب الصلاه، أبواب القبله.

كعبه المتوكل فى سامراء:

و بالمناسبه فها هو الخلف العباسى يقتدى بذلك السلف الأموى، فإن الخليفه المتوكل، الذى استحق من البعض لقب (محى السنه) قد اقتدى بسلفه الأمويين، فبنى فى سامراء كعبه، و جعل طوافا، و اتخذ منى و عرفات، حتى يحج إليها أمراء جيشه، و لا يفارقوه (1).

الحجاج و القرآن:

عن سلمه بن كهيل قال: (اختلفت أنا و ذرّ المرهبى (من عبّاد أهل الكوفه، و من رجال الصحاح الست) فى الحجاج، فقال: مؤمن، و قلت:

كافر.

قال الحاكم: و بيان حجته ما أطلق فيه مجاهد بن جبير فيما حدثناه من طريق أبى سهل أحمد القطان، عن الأعمش قال: و اللّه، لقد سمعت الحجاج بن يوسف يقول:

يا عجبا من عبد هذيل (يعنى عبد اللّه بن مسعود) يزعم أنه يقرأ قرآنا (أو قال: يزعم أن قرآنه) من عند اللّه. و اللّه، ما هو إلا رجز من رجز الأعراب، و اللّه لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه)

و زاد ابن عساكر و غيره: (و لأخلين منها (أى من قراءه ابن مسعود) المصحف و لو بضلع خنزير، أو لأحكنّها من المصحف، و لو بضلع خنزير).

و قد استفظع ابن كثير هذا الكلام من الحجاج، فراجع البدايهه.

1- راجع: أحسن التقاسيم ص 122- 123 و لكن يحتمل أن يكون المقصود هو المعتصم العباسى، فإن فى عباره المقدسى بعضا من الإبهام. و سواء كان المتوكل هو الذى فعل ذلك أو المعتصم، فإن النتيجه واحده.

و النهايه (1).

خليفه أموى ينتقم من المصحف:

و يذكر المؤرخون: أن الخليفه الأموى الوليد بن يزيد لعنه اللّه، قرأ ذات يوم: وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ (2)، فرمى المصحف بالنشّاب، و هو يقول:

تهددنى بجبار عنيدفها أنا ذاک جبار عنيد

إذا ما جئت ربک يوم حشرفقل يا رب خرقنى الوليد (3)

لا يجرؤ الناس على الصلاه:

و لا نجازف إذا قلنا: إنه فى عهد الخلفاء الذين سبقوا خلافه على أمير المؤمنين (عليه السلام) قد كانت السيطره و الهيمنه لتلک الفئه التى لم تكن تقيم للدين وزنا. و أصبح الجو العام هو جو الإستهزاء و السخريه بالدين و بالمتدينين، مع عدم اهتمام ظاهر من السلطات بردع هذا الفريق من الناس، و مكافحتهم لأسباب مختلفه.

و كشاهد على ذلک نذكر: أن حذيفه بن اليمان، يقول:9.

1- مستدرک الحاكم ج 3 ص 656 و تلخيص المستدرک للذهبى (مطبوع بهامشه) نفس الجلد و الصفحه و تهذيب تاريخ دمشق ج 4 ص 72 و الغدير ج 10 ص 51 عنهما و البدايه و النهايه ج 9 ص 128 عن أبى داود و ابن أبى خيثمه، و راجع: بهج الصباغه ج 5 ص 317.
2- سوره إبراهيم/ 15.
3- راجع: بهج الصباغه ج 5 ص 339 و ج 3 ص 193 و الحور العين ص 190 و مروج الذهب ج 3 ص 226، و الأغانى ط دار إحياء التراث ج 7 ص 49.

(ابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سرا) (1).

مع أن حذيفه كان صحابيا جليلا، و كان من كبار القواد الذين كان لهم دور هام فى فتوحات بلاد فارس، و قد توفى فى أوائل خلافه الإمام على أمير المؤمنين (عليه السّلام)، أى بعد البيعه له (عليه السلام) بالخلافه بأربعين يوما على ما قيل.

فإذا كان أمثال حذيفه لا يستطيعون الإعلان بصلاتهم، فما ظنک بالأعم الأغلب من الناس الذين لم يكن لهم مقام و لا مكانه حذيفه و نفوذه؟!.

ما هو إلا ملک!:

و يذكر ابن شبّه: (أن شريح بن الحارث النميرى، الذى كان عامل رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم على قومه، ثم عامل أبى بكر، فلما قام عمر (رض) أتاه بكتاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فأخذه و وضعه تحت قدمه، و قال: لا، ما هو إلا ملک، إنصرف) (2).

التحالف على هدم الإسلام:

و آخر نص نذكره فى هذا السياق هو ما ذكره الزمخشرى، من أن أمويا و أنصاريا تفاخرا؛ فذكر له الأموى الأمويين الذين توفى النبى صلى الله عليه و آله وسلم و هم عمال له.

فقال الأنصارى: صدقت، و لكنهم حالفوا أهل الرده على هدم الإسلام.6.

1- صحيح مسلم ج 1 ص 91 و صحيح البخارى ج 2 ص 116.
2- تاريخ المدينه لإبن شبه، المجلد الأول ص 596.

فكأنما ألقمه حجرا (1).

غيض من فيض:

كان ما تقدم من النصوص غيضا من فيض، مما يدل على رأى و اعتقاد و سياسه الحكام تجاه الإسلام، و رموزه، و مقدساته. و تجاه الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم .

و لكنه ليس هو كل شى ء، فثمه نصوص بالغه الكثره تدل على ذلك أو تشير إليه.

و حيث إن استيعابها خارج عن حدود الطاقه، فإننا نكتفى بما أوردناه لننتقل فى بحثنا إلى ما يزيد الحقيقه وضوحا، و يستكمل ملامح الصوره التى أريد طمسها، بطريقه أو بأخرى، و لسبب أو لآخر. فنقول:

الدوافع و الأهداف:

و أما لماذا يحاولون النيل من المقدسات الإسلاميه، و بالأخص من شخصيه الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله)، و الحط من كرامته، فلعل ذلك يعود إلى الأمور التاليه:

1- الكيد السياسى الأموى ضد الهاشميين، خصومهم قديما و حديثا، بما فيهم النبى صلى الله عليه و آله وسلم نفسه، و الذى أصبح هو مصدر العزه و الشرف و المجد لكل أحد، و لا سيما الهاشميين.

2- تبرير كل انحرافات و تفاهات الهيئه الحاكمه، و التقليل من بشاعه ما يرتكبونه من موبقات فى أعين الناس. على اعتبار: أنه ليس ثمه9.

1- ربيع الأبرار ج 1 ص 708/ 709.

فواصل كبيره بين مواقف و تصرفات هؤلاء، و بين تصرفات و مواقف الرجل الأول و المثال، فهى و إن اختلفت كميه و شكلا، و لكنها لا تختلف مضمونا و هدفا.

3- إراده دفن هذا الدين، و القضاء عليه نهائيا، ما دام أنه يضرّ بمصالحهم، و يقف فى وجه شهواتهم، و أهوائهم و مآربهم، إلا فى الحدود التى لا تضرّ فى ذلک كله، بل تبرره و تقويه، و ترفده و تنمّيه.

4- الحصول على بعض ما يرضى غرورهم، و يؤكد شوكتهم و عزتهم، و يظهر قوتهم و جبروتهم.

5- عدم وجود قناعه كافيه لدى الكثيرين منهم بأن محمدا صلى الله عليه و آله وسلم نبى مرسل حقا، و قد صرّح بذلک أمير المؤمنين (عليه السلام) (1).

و هو أيضا ما عبّر عنه يزيد الفجور و الخمور صراحه بقوله، حين تمثّل بشعر ابن الزبعرى:

لعبت هاشم بالملک فلاخبر جاء و لا وحى نزل و قد غنّى ابن عائشه هذه الأبيات أمام الوليد، فقال له:

أحسنت و اللّه، إنى لعلى دين ابن الزبعرى يوم قال هذا الشعر (2).

و قال الوليد بن يزيد:

تلعّب بالخلافه هاشمى بلا وحى أتاه و لا كتاب

فقل للّه يمنعنى طعامى و قل للّه يمنعنى شرابى (3)،-

1- راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 20 ص
2- تاريخ الأمم و الملوک ج 6 ص 337 و بهج الصباغه ج 3 ص 194.
3- الحور العين ص 190 و مروج الذهب ج 3 ص 216 و بهج الصباغه ج 5 ص 339 و ج 3 ص 194 و البيت الثانى مقتبس من بيت قاله أبو بكر بن أبى قحافه،-

و قال بعد أن ذكر الخمر:

فلقد أيقنت أنى غير مخلوق لنار

سأروض الناس حتى يركبوا أير الحمار

ذروا من يطلب الجنه يسعى لتبار (1) 6- هذا كله بالإضافه إلى حقد دفين على الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم ، و بغض حقيقى له، بسبب ما فعله بآبائهم، و إخوانهم، و عشائرهم، الذين حاربوا الإسلام و كادوه بكل ما قدروا عليه. و قد ظهر ذلک منهم بصوره واضحه حينما أراد صلى الله عليه و آله وسلم أن يصرّح بإمامه أخيه، و وصيه، و ابن عمه على (عليه السلام)، و يأخذ البيعه له منهم، فقال لهم صلى الله عليه و آله وسلم حينئذ: ما بال شق الشجره التى تلى رسول اللّه أبغض إليكم من الشق الآخر. حسبما قدمناه عن قريب.6.

1- الحور العين ص 190/ 191 و الأغانى ط دار إحياء التراث ج 7 ص 46.

الفصل الثانى: سياسات تستهدف الجذور:

اشاره

الأسوه و القدوه:

إن من المقبول، و المسلّم به لدى الجميع، نظريا على الأقل: أن قول النبى صلى الله عليه و آله وسلم ؛ و فعله، و تقريره حجه، و دليل على الحكم الشرعى، و قد قال تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ (1). و قال: ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (2).

و ذلک یعنى: أنه لا بد من تتبع أقواله، و أفعاله و مواقفه صلى الله عليه و آله وسلم ، لمعرفه ما يتوجب على المكلفين معرفته فى نطاق التزامهم بالحكم الشرعى، و التأسى بالرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم .

كما أن ذلک یعنى: أن النبى صلى الله عليه و آله وسلم معصوم فى كل قول أو فعل، أو موقف يصدر عنه، و لا تختص عصمته بمقام التبليغ القولى للأحكام، كما ربما يوهمه بعض ما يزعمونه فى هذا المقام.

و لأجل ذلک فإن من المفترض أن يتناقل الناس كل ما يصدر عن7.

1- الأحزاب/ 21.
2- الحشر/ 7.

النبی صلی الله علیه و آله وسلم من قول و فعل عبر الأجیال، و أن یدوّنوه و یحفظوه، و أن یجمعوه و یفسروه، لا سیما و أن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم نفسه قد ذکر: أنه قد أوتی القرآن و مثله معه.

و کان جبرائیل (علیه السلام) ینزل علیه صلی الله علیه و آله وسلم ، فیعلمه السنه کما یعلمه القرآن (1). و لا نری أننا بحاجه إلی ذکر ما یدل علی ذلک، فإنه بحمد اللّه أکثر من أن یحاط به.

الحث علی کتابه الحدیث:

هذا، و قد حثّ (صلی اللّه علیه و آله) علی کتابه و روایه ما یصدر عنه من علوم و معارف، و قد وصل إلینا من ذلک الشی ء الکثیر، مما هو مبثوث فی عشرات المصادر و المراجع (2).ر-

---

1- راجع الزهد و الرقائق (قسم ما رواه نعم بن حماد) ص 23 و الکفایه فی علم الروایه ص 12،
2- راجع علی سبیل المثال لا الحصر ما یلی: جامع بیان العلم ج 1 ص 76 و 34 و 85 و 84 و 72 و ج 2 ص 34 و کشف الأستار ج 1 ص 109 و تیسیر المطالب فی أمالی الإمام أبی طالب ص 44 و الغدیر ج 8 ص 154 و تحفه الأحوذی (المقدمه) ج 1 ص 34 و 35 و مروج الذهب ج 2 ص 294 و البحار ج 2 ص 144 و 152 و 47 و ج 71 ص 139 و 130 و البدایه و النهایه ج 1 ص 6 و ج 5 ص 194 و تقیید العلم ص 65- 70 و 72 و 85 و 86 و 88 و 89 و میزان الإعتدال ج 1 ص 653 و لسان المیزان ج 2 ص 298 و ج 4 ص 21 و ج 1 ص 172/ 173 و وفاء الوفاء ج 2 ص 487 و مسند أحمد ج 1 ص 100 و 238 و ج 2 ص 248/ 249 و 403 و 162 و 192 و 215 و ج 4 ص 334 و ج 5 ص 183 و المعجم الصغیر ج 1 ص 162 و 114 و الإستیعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج 4 ص 106 و فتح الباری ج 1 ص 184 و 182 و 199 و 203 و 246 و 247 و العقد الفرید ج 2 ص 219 و البیان و التبیین ج 2 ص 38 و سنن الدارمی ج 1 ص 125- 127 و ذکر-

الصحابه و غیرهم یکتبون الحدیث:

و قد کتب الصحابه، و کتب غیرهم، ممن عاش فی القرن الأول الهجری الکثیر الکثیر عنه صلی الله علیه و آله وسلم ، و کانوا یأمرون و یحثون غیرهم علی الکتابه أیضا، و کان کثیر منهم یملک صحفا و کتبا یجمع فیها طائفه من أحادیث الرسول (صلی اللّه علیه و آله) و سننه (1). و قد سافر کثیر منهم و من7-

---

1- إن کل ما تقدم یمکن مراجعته فی عدد من المصادر التی ذکرناها فی الهامش المتقدم، و نزید علی ذلک ما یلی: بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص 222- 229 عن مصادر کثیره موردا فهرسا للصحف و الکتب للصحابه و التابعین و راجع: الجامع الصحیح للترمذی، کتاب الأحکام باب الیمین مع الشاهد و علوم الحدیث و مصطلحه ص 2 پ- 23 و جامع العلم ج 1 ص 84 و 75 و ج 2 ص 34 و تذکره الحفاظ ج 1 ص 23 و 42 و 123 و المحجه البیضاء ج 5 ص 302 و المصنف للصنعانی ج 11 ص 183 و 425 و 259 و ج 8 ص 41 و التراتیب الإداریه ج 2 ص 246 و 247-

التابعين إلى الأقطار المختلفه فى طلب حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم (1).ر.

1- راجع: الرحله فى طلب الحديث ص 110 و ما بعدها إلى آخر الكتاب و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 208- 210 عن العديد من المصادر و حياه الصحابه ج 3 ص 223 حتى ص 226 عن العديد من المصادر.

عمر و أبو بکر کتبا الحدیث:

و حتی الخلیفه أبو بکر، فإنه قد کتب عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وسلم خمس مئه حدیث، لکنه عاد فمحاها فور وفاته صلی الله علیه و آله وسلم (1).

و قد کان الصحابه یعقدون حلقات المذاکره لحدیث رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی المسجد، و قد یصل عدد بعض الحلقات إلی أکثر من ثلاثین رجلا، و ذلک فی أول إمره عمر بن الخطاب (2).

بل إن عمر بن الخطاب نفسه قد کتب- فیما یروی عنه- لعتبه بن فرقد بعض السنن (3)، و وجد فی قائم سیفه صحیفه فیها صدقه السوائم (4).

و إن کنا نعتقد: أن هذا النص یهدف إلی مساواته برسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، حیث قد رووا: أنه قد وجد فی قائم سیف رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم صحیفه مشابهه (5).

علی (ع) و ولده و شیعته:

اشاره

أما أمیر المؤمنین علی (علیه السّلام)، الذی لم یکن یفارق رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی سفر و لا حضر، إلا فی غزوه تبوک، فقد کان مهتما بروایهل.

1- راجع: تذکره الحفاظ ج 1 ص 5 و کنز العمال ج 10 ص 174 عن مسند الصدیق لعماد الدین ابن کثیر، عن الحاکم. و راجع: النص و الإجتهاد ص 151 و مکاتیب الرسول ج 1 ص 61 الطبعه الأولی و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص 221.
2- راجع: حلیه الأولیاء ج 1 ص 331 و حیاه الصحابه ج 2 ص 710.
3- مسند أحمد ج 1 ص 16.
4- الکفایه فی علم الروایه ص 354.
5- راجع مکاتیب الرسول.

و تدوين حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم اهتماما بالغا حتى لقد قيل له:

ما بالک أکثر أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم حديثا؟!

فقال: کنت إذا سألته أنبأنى، و إذا سکتّ ابتدأنى (1).

و قد کتب عليه الصلاه و السلام عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم کتبا کثيره، و قد توارثها عنه الأئمه من ولده (2).

و قد واصل هؤلاء الأئمه الأطهار التشجيع على التزوار، و تذاکر الحديث حتى لا يدرس، و حثّوا على کتابه العلم و تناقله، و حفظه فى موارد کثيره (3). حتى إن الزهرى- و کان قد ترک الحديث- لما سمع من الحسن6-

---

1- أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودى) ج 2 ص 98 و ترجمه الإمام على (عليه السلام)، لإبن عساکر (بتحقيق المحمودى أيضا) ج 2 ص 456.

2- لقد ذکر العلامه الأحمدى فى کتابه مکاتيب الرسول ص 71- 89 طائفه من المصادر لذلک لکنه قد أضاف عشرات النصوص و المصادر الأخرى، التى سوف يجدها القارئ فى الطبعه الثانيه لکتابه المذکور. و يمکن مراجعه: الوسائل، کتاب القضاء، و کتاب الحدود، و الکافى ج 7 ص 77 و 94 و 98 و ج 2 ص 66 و کنز العمال ج 1 ص 337 و رجال النجاشى ص 255 و أدب الإملاء و الاستملاء ص 12 و حياه الصحابه ج 3 ص 521/ 522 و مسند أحمد ج 1 ص 116 و الغدير ج 8 ص 168 و المراجعات ط الأعلمى ص 305 و 306 و ربيع الأبرار ج 3 ص 294 و البحار ج 72 ص 274 و راجع: صحيح البخارى ط سنه 1309 ه. ج 1 ص 20/ 21 و البدايه و النهايه ج 5 ص 251 و راجع: طبقات ابن سعد ج 5 ص 77 و علوم الحديث لإبن الصلاح ص 161 و الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (متنا و هامشا) ص 132 و تقييد العلم ص 88 و 89 و الرحله فى طلب الحديث ص 130.

3- راجع: بحار الأنوار ج 2 ص 152 و 153 و 50 و سنن الدارمى ج 1 ص 130 و علل الحديث ج 2 ص 438 و تقييد العلم ص 89- 91 و 104 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 222 و 223 و 246 و 247 و 257 و 259 و ربيع الأبرار ج 3 ص 326-

بن عماره قولا لعلى (عليه السلام) يحث فيه على نشر العلم، عاد فحدث الحسن بن عماره فى مجلسه ذاک أربعين حديثا (1).

و عن على: قيّدوا العلم، قيدوا العلم. مرتين (2).

و عنه (عليه السلام): قيدوا العلم بالكتاب (3).

أما شيعه على و أهل بيته، فأمرهم فى الإلتزام بتدوين العلم و نشره أوضح من الشمس، و أبين من الأمس، و لا نرى أننا بحاجه إلى إثبات ذلک (4).

ملاحظه هامه:

لقد كان على (عليه السلام) أعلم أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و كان5.

1- الأذكياء ص 101.
2- تقييد العلم ص 89.
3- تقييد العلم ص 90.
4- راجع على سبيل المثال لا الحصر: رجال النجاشى ص 3 و 4 و الطبقات الكبرى ج 6 ص 220 و ج 5 ص 77 و ج 2 قسم 2 ص 123 و ج 7 قسم 1 ص 14 و تأسيس الشيعه لعلوم الإسلام ص 280، و المراجعات ط الأعلمى ص 306 و راجع: الضعفاء الكبير للعقيلى ج 2 ص 29 و 96 و 224 و أحوال الرجال ص 116 و 192 و شرح النهج للمعتزلى ج 12 ص 78 و تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 234 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 259 و 324/ 325 و الإصابه ج 1 ص 213 و الغدير ج 9 ص 130 و راجع: شرف أصحاب الحديث ص 95.

باب مدينه علمه، و كان أكثر أصحابه صلى الله عليه و آله وسلم حديثا عنه، و قد كتب عنه العديد من الكتب، و إلخ ...

و لكننا إذا راجعنا ما رووه عنه فى كتبهم، فإننا لا نجد إلا أقل القليل، بل إننا نجد لأبى هريره الذى لم يلتق برسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم إلا أشهرا يسيره أضعاف ما روى هؤلاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

و يكفى أن نذكر قول أبى ريّه رحمه اللّه هنا أن ما روى عن على (عليه السلام) هو مئه و ثمانيه و خمسون حديثا، و روى عن أبى بكر مئه و ثمانيه و أربعون حديثا. أما ما روى عن أبى هريره فهو 5374 حديثا (1) فتبارک اللّه أحسن الخالقين!!

فى الإتجاه المضاد:

و نجد فى مقابل ذلک كله تيارا قويا كان و لا يزال يرفض الحديث عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، سواء على مستوى الروايه له، أو كتابته، أو العمل به.

و يمكن الحديث عن هذا الإتجاه فى مرحلتين، ربما يقال: إنهما تختلفان من حيث الدوافع و الأهداف، و إن كانتا تلتقيان من حيث الآثار و النتائج.

الأولى: فى زمن الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله).

و الثانيه: بعد وفاته عليه و على آله الصلاه و السلام.

و نحن نتكلم عن هاتين المرحلتين، مع رعايه جانب الإختصار، و الإحاله على المراجع و المصادر مهما أمكن. فنقول:5.

1- راجع: أضواء على السنه المحمديه ص 224 و 225.

المنع من الحديث فی عهد الرسول صلی الله علیه و آله وسلم :

اشاره

لقد ظهرت ملامح الإتجاه الرافض للحدیث عن الرسول صلی الله علیه و آله وسلم ، و لکتابته لدی قسم من المسلمین، لا جمیعهم، و یمکن أن نقول: إنهم قریش علی وجه الخصوص. و معها من لفّ لفّها، ممن یری رأیها، و یتعامل معها، و یری مصالحه مرتبطه بصوره أو بأخری بمصالحها.

و قد کانت حجه قریش لإعتراضها علی من کان یکتب کلامه صلی الله علیه و آله وسلم هی: أنه صلی الله علیه و آله وسلم بشر یرضی و یغضب. فقد یتکلم و الحاله هذه بما لا یتفق مع الحق و الواقع. و قد شکا البعض قریشا لأجل ذلک إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، فأمره (صلی اللّه علیه و آله) بأن یکتب کل ما یتفوه به علیه الصلاه و السلام؛ فإنه لا یخرج من بین شفتیه إلا ما هو حق و صدق (1).

دوافع هذه السیاسه:

و لعل دوافع هؤلاء إلی اتخاذ هذا الموقف هی:

1- إن الکثیرین منهم کانوا موتورین و حاقدین علی الإسلام، و علی نبیه الأکرم (صلی اللّه علیه و آله)، و علی المسلمین. و إن کانوا یتظاهرون8.

1- راجع: تیسیر المطالب فی أمالی الإمام أبی طالب ص 44، و تقیید العلم ص 80 و انظر ص 74 و 77 و 78 و 79 و 82 و تحفه الأحوذی ج 1 ص 35 (من المقدمه) و سنن الدارمی ج 1 ص 125 و سنن أبی داود ج 3 ص 318 و مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 162 و 192، و نقله فی هامش تقیید العلم ص 81 عن المصادر التالیه: المحدث الفاصل ج 4 ص 2 و عن الإلماع ص 26 و عن جامع بیان العلم ج 1 ص 71 و عن معالم سنن أبی داود ج 4 ص 184 و تیسیر الوصول ج 3 ص 176 و حسن التنبیه ص 93 و راجع: المستدرک ج 1 ص 105 و 104 و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص 218.

بخلاف ما تنطوى عليه نفوسهم و جوانحهم بعد أن اتضح لهم: أنه لا يسعهم إلا التسليم للأمر الواقع، و كذلک فعلوا ريثما تسنح لهم الفرصه للوثبه، و تسديد الضربه- كما قال أبو سفيان: و الآن لو كان لى رجال-.

2- الحسد لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم على ما آتاه اللّه من فضله، و عدم رغبتهم فى أن يروا الناس يتأسون بنبيهم، و يطبقون أعمالهم و سلوكهم على أعماله صلى الله عليه و آله وسلم و سلوكه، و لا يريدون أن يتناقل الناس سيرته، و أقواله، و مواقفه صلى الله عليه و آله وسلم .

3- ضعف الإعتقاد لدى الكثيرين منهم، و لا سيما من أسلم لتوّه بنبوه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و لا يرون فى ذلک أيه فائده أو عائده.

المنع عن الحديث بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم :

اشاره

أما بعد وفاته صلى الله عليه و آله وسلم ، و تسلّم قريش لإزمه الحكم و السلطان، فقد رأت أن مصلحتها تكمن فى المنع من روايه حديث الرسول، و من كتابته، و من العمل به. بل و جمع كل ما كتب فى عهده صلى الله عليه و آله وسلم ، ثم إحراقه بالنار.

و هكذا كان. و قد تابعت سياساتها هذه بقوه و بحزم كما سنرى.

أهداف هذه السياسه:

اشاره

و أما عن دوافع هذه السياسه و أهدافها، ثم ما نجم عن ذلک من آثار و نتائج فذلک ما سوف نفصله فى فصل مستقل يأتى إن شاء اللّه تعالى، بعد إلقاء نظره موضحه على المسار العام لهذه السياسه.

البادره الأولى: حسبنا كتاب اللّه:

و غنى عن البيان هنا: أن أول مواجهه مباشره و صريحه لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى هذا الخصوص، و منعه هو شخصيا من كتابه ما

يريد، هى ما

جری فی مرض موته (صلی اللّه علیه و آله)، فما عرف ب (رزیه یوم الخمیس)، حینما أراد صلی الله علیه و آله وسلم أن یکتب کتابا للأمه لکی لا تضل بعده، فصدرت من بعض الحاضرین کلمات غیر لائقه فی حق النبی الأقدس (صلی اللّه علیه و آله)، ثم جاء الرفض القاطع و الجازم لکل ما یکتب فی کلمه عمر الشهیره له صلی الله علیه و آله وسلم :

(حسبنا کتاب اللّه)

ثم کثر التنازع و اللغط من الحاضرین، فأمرهم صلی الله علیه و آله وسلم ، بالقیام عنه، و القضیه معروفه و مشهوره، و قد وردت بها صحاح الأخبار و الآثار (1) کما تنبأ صلی اللّه علیه و آله، کما سیأتی فی آخر هذا الجزء إن شاء اللّه تعالی.

البادره الثانیه:

ثم أحرق أبو بکر خمس مئه حدیث، حسبما أسلفنا فکان هو الواضع الأول لرکیزه سیاسه إحراق حدیث النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله و سلم).

ذروه هذه السیاسه:

اشاره

ثم کانت خلافه عمر بن الخطاب، فکان التحرک فی هذا الإتجاه أکثر دقه، کما کان أکثر شمولیه و استقصاء، حتی لیخیل إلیک: أن هذا الأمر هو أعظم ما کان یشغل بال الخلیفه، و یقضّ مضجعه، فکان یتابع0.

1- راجع: صحیح البخاری ج 4 ص 5 و 173 و ج 1 ص 22 و صحیح مسلم ج 5 ص 76 و مسند أحمد ج 6 ص 47 و 106 و 116 و ج 1 ص 90 و 22 و 29 و 32 و 336 و 335 و ج 3 ص 346 و تهذیب تاریخ دمشق ج 6 ص 451 و المصنف لعبد الرزاق الصنعانی ج 5 ص 438 و 439 و راجع المصادر التی فی کتابنا: صراع الحریه فی عصر المفید الطبعه الأولی ص 80.

هذا الأمر، و يحث عليه ثم يراقب و يعاقب و يتخذ القرارات و الإجراءات بصوره ظاهره و مستمره و دؤوبه.

و قد أرسل بأوامره القاضيه بإقلال الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و بأن لا يكون هذا الحديث ظاهرا، و بتجريد القرآن عن الحديث، أرسل بها إلى جميع الأقطار و الأمصار. و كان يوصى بذلک و لآته، و بعوثه و جيوشه. و لم يزل يشيعهم بهذه الوصايا (1).

و قد كانت سياساته فى هذا المجال دقيقه و مدروسه، و تصعيديه.

فهو يطلب ذلک و يوصى به باستمرار، فإذا روى أحد حديثا طالبه بالبينه و الشهود، كما فعل مع أبى بن كعب و أبى موسى، و إن لم يكن لديه بينه، عاقبه و نكل به. فإذا وجد أحدا يصر على روايه الحديث هدّده بالطرد، و النفى إن لم ينفع معه التهديد و الضرب (2).ن-

---

1- راجع: البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج 1 ص 480 و غريب الحديث لإبن سلام ج 4 ص 49 و حياه الشعر فى الكوفه ص 253 و الغدير ج 6 ص 294 و 263 و الأم ج 7 ص 308 و فيه قال قرظه لا أحدّث حديثا عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم أبدا و راجع: سنن الدارمى ج 1 ص 85 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 16 و مستدرک الحاكم ج 1 ص 102 و جامع بيان العلم ج 2 ص 120 و تذكره الحفاظ ج 1 ص 3 و شرح النهج للمعتزلى ج 3 ص 120 و كنز العمال ج 2 ص 83 و الحياه السياسيه للإمام الحسن ص 78 و 79 و شرف أصحاب الحديث ص 90 و 91 و 88 و حياه الصحابه ج 3 ص 257 و 258 و طبقات ابن سعد ج 6 ص 7.

2- الحياه السياسيه للإمام الحسن (عليه السلام) للمؤلف. و راجع: أضواء على السنه المحمديه و شيخ المضيره، و السنه قبل التدوين، و أبو هريره للسيد عبد الحسين شرف الدين رحمه اللّه، و راجع: بحوث مع أهل السنه و السلفيه، و أى كتاب يبحث حول أبى هريره أو يترجم له. و راجع أيضا: الكنى و الألقاب ج 1 ص 180 و قواعد فى علوم الحديث ص 454 و شرف أصحاب الحديث ص 92 و 93 و 123 و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 88 عن المجروحون ج 1 ص 12 و حديث طلب البينه من-

إحراق حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم :

و فی خطوه تصعیدیه حاسمه و حازمه یطلب الخلیفه الثانی عمر بن الخطاب من الصحابه أن یأتوه بما کانوا قد کتبوه عن النبی (صلی اللّه علیه و آله)، بحجه أنه یرید جمع الحدیث النبوی، و کتابته، حتی لا یندرس.

فبقی شهرا و هو یجمع مکتوبات الصحابه، ثم قام بإحراق ما اجتمع لدیه محتجّا لعمله هذا بقوله.

مثناه کمثناه أهل الکتاب؟!

و الظاهر أن الصحیح: (مشناه کمشناه أهل الکتاب) (1) و قد اشتبه ذلک علی النساخ لعدم النقط فی السابق، و تقارب رسم الکلمتین).

و فی نص آخر أنه قال: (ذکرت قوما کانوا قبلکم، کتبوا کتبا فأکبوا علیها، و ترکوا کتاب اللّه. و إنی- و اللّه- لا أشوب کتاب اللّه بشی ء أبدا)

أو قال: لا کتاب مع کتاب اللّه.

و کتب إلی الأمصار: (من کان عنده شی ء منها فلیمحه).

و مهما یکن من أمر فلقد بلغ من تشدّد الخلیفه فی هذا الأمر: أنهم یذکرون فی ترجمه أبی هریره: أنهم ما کانوا یستطیعون أن یقولوا: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم : حتی قبض عمر (2).1-

---

1- المشناه: روایات شفویه، دونها الیهود، ثم شرحها علماؤهم. فسمی الشرح جمارا، ثم جمعوا بین الکتابین، فسمی مجموع الکتابین: (الأصل و الشرح)، المشناه و جمارا ب (التلمود).
2- راجع ما تقدم، کلا أو بعضا فی المصادر التالیه: سیر أعلام النبلاء ج 2 ص 601-

و بكلمه موجزه: إن سياسه عمر القاضيه بالمنع من روايه الحديث و من تدوينه تعتبر من البديهيات التاريخيه و من الواضحات، فلا حاجه إلى ذكر النصوص، و الإكثار من الشواهد.

بل قيل: إنه (يعنى عمر) ضرب من نسخ كتب دانيال، و أمره بمحوها (1).4.

1- راجع: تقييد العلم ص 51 و تاريخ عمر بن الخطاب ص 145 و كنز العمال ج 1 ص 332/ 333 و 336 عن العديد من المصادر و المصنف للصنعانى ج 6- ص 114.

و ضرب الذی جاءه بکتاب وجده فی المدائن حینما فتحوها(1).

و أما بالنسبه لأمره عمرو بن العاص بحرق مکتبه الإسکندریه (2) و إتلاف کتب کثیره وجدوها فی بلاد فارس (3). فقد شکک فیه الشهید العلامه المطهری (4)، و إن کنا لا نوافقه علی کثیر مما قاله فی هذا المجال. و لبحث ذلک مجال آخر.

الصلیبیون و التراث العلمی الإسلامی:

و بالمناسبه فإننا نشیر إلی جریمه نکراء ارتکبها الصلیبیون الحاقدون ضد التراث العلمی للبشریه، حیث یذکر موندی فی تاریخه: أن ما أحرقه الأسبان من کتب قرطبه قد بلغ ملیونا و خمسین الف مجلد، عدا عما أتلفوهن.

1- راجع: کنز العمال ج 1 ص 335.

2- تاریخ الحکماء ص 354- 356 و تاریخ التمدن الإسلامی المجلد الثانی ص 46 و 48 و 49 عن تاریخ مختصر الدول ط اکسفورد ط سنه 1663 لکن حذف ذلک من الطبعه الکاثولیکیه فی بیروت سنه 1958 م مع تصریحهم فی المقدمه بأنهم قد أکملوا ما نقص من طبعه أکسفورد بما حصلوا علیه من نسخ أخری. و راجع کتابنا: دراسه و بحوث فی التاریخ و الإسلام ج 1 ص 22. و الغدیر ج 6 ص 298 عن القفطی، و زیدان و عن الوفاء و الإعتبار ص 28.

3- و راجع: المقدمه لإبن خلدون ص 480 و 38 و راجع: کشف الظنون ج 1 ص 33. و الغدیر ج 6 ص 298 عن المصادر التالیه: کشف الظنون ج 1 ص 25 و 446 و تاریخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزی ص 107 و شرح النهج للمعتزلی ج 3 ص 122 و کنز العمال ج 1 ص 95.

4- کتاب سوزی اسکندریه و إیران. و خدمات مقابل السلام و إیران.

مما عثروا عليه فى أقاليم الأندلس (1).

أما ويلس، فيرى: أنهم قد أحرقوا مليون و خمسه آلاف مجلد فقط.

و فى وفيات الأسلاف: أن أسقف طليطله قد أحرق من الكتب الإسلاميه ما ينوف على ثمانين ألف كتاب. و أن الإفرنج لما تغلبوا على غرناطه قد أحرقوا من الكتب النفيسه ما يتجاوز مليون كتاب (2).

(و قال بعض المؤرخين المصريين: إن الباقى من الكتب التى ألفها المسلمون ليس إلا نقطه من بحر مما أحرقه الصليبيون، و التتر، و الأسبان) (3).

و لما فتح الإفرنج طرابلس فى أثناء الحروب الصليبيه أحرقوا مكتبتها بأمر الكونت برترام سنت جيل، و يقال: إنها كانت تحتوى على ثلاثه ملايين مجلد (4).

و أضاف جرجى زيدان: و فعل الأسبان نحو ذلك بمكتبات الأندلس لما استخرجوها من أيدى المسلمين فى أواخر القرن الخامس عشر (5).

حجه عمر تصبح حديثا نبويا!!:

و مهما يكن من أمر فإننا نلاحظ هنا: أن الكلمات التى استخدمها عمر بن الخطاب كمبرر أمام الناس لتنفيذ نواياه تجاه حديث رسولق.

1- راجع: التراتيب الإداريه ج 2 ص 453/ 454.
2- التراتيب الإداريه ج 2 ص 454.
3- التراتيب الإداريه ج 2 ص 454/ 455.
4- راجع: تاريخ التمدن الإسلامى المجلد الثانى، جزء 3 ص 51.
5- المصدر السابق.

اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، مثل قوله:

من كان عنده شى ء منها فليمحه، قد أصبحت بعين ألفاظها تقريبا، و بنفس صياغتها حديثا ينسب إلى النبى الأكرم (صلى اللّه عليه و آله)، فراجع و قارن (1).

و هكذا بالنسبه لاستدلاله على صحه ما أقدم عليه بأن الأمم السالفه قد ضلت بسبب عكوفها على أقوال علمائها و تركها كتاب اللّه (يعنى التوراه)!! فإنه قد أصبح هو الآخر حديثا يروى عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، يقول أبو هريره فجمعناها فى صعيد واحد، فألقيناها فى النار (2).

و راجع أيضا ما رووه عن على أمير المؤمنين (عليه السّلام) فى هذا المجال (3).

و قد نسى هؤلاء الوضاعون الأغبياء: أن وجود حديث من هذا القبيل عن الرسول صلى الله عليه و آله وسلم يسد الطريق على عمر بن الخطاب للتفكير فى كتابه السنن، و تجد الكثيرين يعترضون عليه حينما طلب منهم أن يأتوه بما6.

1- راجع و قارن مع كلمات عمر التقدمه ما رووه عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى مجمع الزوائد ج 1 ص 150 و 151 و مسند أحمد ج 3 ص 12 و 21 و 39 و 56 و ج 5 ص 82 و تأويل مختلف الحديث ص 286 و الأسرار المرفوعه ص 9 و مناهل العرفان ج 1 ص 361 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 248 و البدايه و النهايه ج 2 ص 132 و علوم الحديث لإبن الصلاح ص 160 و الباعث الحثيث فى شرح اختصار علوم الحديث (متنا و هامشا) ص 132 و تقييد العلم ص 29- 34 و 93 و صحيح مسلم ج 8 ص 229 و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 218. و راجع أيضا جميع ما قدمناه من مصادر فى الصفحات السابقه.

2- تقييد العلم ص 34 و راجع ص 33.

3- جامع بيان العلم ج 1 ص 76.

كتبوه: بأن هذا يخالف أمر النبی صلی الله علیه و آله وسلم بمحو ما كتب.

كما أن حدیثا كهذا یجعل وجود حدیث مكتوب عند الصحابه أمرا متعذرا، إلا إذا فرض أنهم أو كثیر منهم لا یأبهون لأوامر النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله)، و لا لنواهیه.

أو یكون المقصود هو إظهار المنافقین الذین خالفوا أوامر النبی صلی الله علیه و آله وسلم فی هذا الأمر. و إذا كان المنافقون هم أهل تلك الأحادیث المجموعه، فإن حدیثهم لا قیمه له. كما أن المنافقین لا بد أن یلتفتوا إلی وجه الخدعه لهم، و لسوف لن یقروا علی أنفسهم بأمر فیه إدانه و إهانه لهم.

التقلید و المحاكاه:

و نسجل هنا: أننا نجد: أن استدلال الخلیفه الثانی لصحه ما أقدم أو یرید أن یقدم علیه، من المنع من كتابه و روایه حدیث النبی صلی الله علیه و آله وسلم بما تقدم ذكره، قد صار هو الإستدلال التقلیدی لكل الذین جاؤا بعد عمر، و حرصوا علی العمل بسنته، و تنفیذ سیاساته، فراجع النصوص التاریخیه المختلفه فیما یرتبط بهذه الناحیه (1).

المنع من العمل بالسنه أیضا:

و لم یقتصر الأمر علی المنع من روایه و كتابه حدیث النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، بل تعدّاه إلی ما هو أهم و أكثر، و أدهی و أمرّ، و هو المنع عن العمل و الجری علی السنه النبویه الشریفه، حیث رأینا أن الخلیفه یضرب الناس إذا رآهم یصلون بعد العصر (2). و لما ضرب زید بن خالد الجهنی لأجل ذلک،ه.

1- راجع علی سبیل المثال: تقیید العلم ص 53- 57 و راجع ص 61.
2- راجع: المصنف للصنعانی ج 2 ص 429 و 430 و 432 و 433 و راجع سائر المجامیع الحدیثه و الروائیه لأهل السنه و الجماعه.

و قال له زيد: إنه لا يدعهما بعد إذ رأى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يصلّيهما، قال له عمر:

(لو لا أنى أخشى أن يتخذها الناس سلّما إلى الصلاه حتى الليل لم أضرب فيهما) (1).

كما أن أبا أيوب الأنصارى كان يصلى قبل خلافه عمر ركعتين بعد العصر، فلما استخلف عمر تركهما، فلما توفى ركعهما.

فقيل له: ما هذا؟

فقال: إن عمر كان يضرب الناس عليهما (2).

فإذا كان مثل أبى أيوب لا يجرؤ على العمل بما سنّه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فما ظنك بغيره من الناس العاديين، الذين ليس لهم ما لأبى أيوب من احترام و تقدير و مكانه لدى صحابه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم .

كما أننا لم نفهم ما هو المحذور فى أن يصلى الناس حتى الليل!! حتى جاز لعمر ضرب الناس لأجل ذلك!!

و أخيرا ... فقد روى: أن عمر قد همّ أن يمنع الناس عن كثره الطواف. و قال:

(خشيت أن يأنس الناس هذا البيت، فتزول هيبته من صدورهم) (3).4.

1- المصنف للصنعانى ج 2 ص 432 و مجمع الزوائد ج 2 ص 223 عن أحمد و الطبرانى، و عن كنز العمال ج 4 رقم 4123 و 4784 و راجع مسند أحمد ج 4 ص 115.
2- المصنف ج 2 ص 433 و فى هامشه عن كنز العمال و عن محمد بن نصر فى قيام الليل. الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 1 65 المنع من العمل بالسنه أيضا: ..... ص : 64
3- تاريخ الخميس ج 1 ص 124.

أضف إلى ما تقدم أن الصحابى الجليل، حذيفه بن اليمان يقول:

(ابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سرا) (1).

و حذيفه إنما توفى فى أوائل خلافه على (عليه السّلام)، بعد البيعه له (ع) بأربعين يوما، على ما قيل.

و هو من القوّاد الكبار الذين كان الحكّام قبل على (عليه السّلام) يعتمدون عليهم فى فتوحاتهم، و له مكانته المرموقه و دوره الكبير فيما بين الشخصيات الفاعله فى النظام القائم.

فقوله المتقدم يدل على أن الأجواء العامه كانت ضد المؤمنين، و أن السيطره كانت لأناس لا يهمّهم أمر الدين فى شى ء، بل كان المؤمنون يتعرضون للسخريه و الاستهزاء، تماما كما هو الحال بالنسبه لطغيان الفسّاق و الفجّار فى بعض البلاد الإسلاميه اليوم، مع عدم ظهور اهتمام من الحكام بردعهم و مكافحتهم، لأسباب مختلفه.

حبس كبار الصحابه فى المدينه:

و فى هذا الإتجاه بالذات يقدم الخليفه الثانى على خطوه أخرى أيضا، و هي: أنه جمع الصحابه من الآفاق، و طالبهم بما أفشوه من حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، ثم أمرهم بالمقام عنده، و أن لا يفارقوه ما عاش، و منعهم من مغادره المدينه، فبقوا فيها إلى أن مات (2).ن-

---

1- صحيح مسلم ج 1 ص 91 و صحيح البخارى ج 2 ص 116.
2- حياه الصحابه ج 3 ص 273 و 272 و ج 2 ص 40 و 41. و يمكن الإستفاده فى هذا الأمر من المصادر التاليه: تاريخ الأمم و الملوك ج 3 ص 426 حوادث سنه 35 ه. و مروج الذهب ج 2 ص 321 و 322 و مستدرك الحاكم ج 3 ص 120 و ج 1 ص 110 و كنز العمال ج 10 ص 180 عن ابن-

و قد أضاف سببا آخر إلى إفشائهم حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فذكر أنه إنما يمنعهم من المشاركه فى الغزو؛ حتى لا يفسدوا عليه أصحاب محمد صلى الله عليه و آله وسلم (1).

نعم ... لقد رووا عن الخليفه أنه فعل ذلک، رغم أنه هو نفسه يقول للناس- كما قيل- إنه إنما يرسل إليهم العمال؛ ليعلموهم دينهم و سنتهم (2).

الخلف عن السلف:

و لم يقتصر الأمر فى المنع عن الحديث روايه و كتابه إلخ .. على زمان أبى بكر و عمر، فإن الذين جاؤا بعدهما من خلفاء بنى أميه، إبتداء من عثمان، ثم معاويه، فمن تلاه من الخلفاء: قد اتبعوا نفس الطريقه،م.

1- مستدرک الحاکم ج 3 ص 120 و أنوار الهدايه ص 124 و حياه الصحابه ج 2 ص 40 و 41 عن كنز العمال ج 7 ص 139 و عن الطبرى ج 5 ص 134.
2- حياه الصحابه ج 3 ص 485 عن مجمع الزوائد ج 5 ص 211 و عن مستدرک الحاکم ج 4 ص 439 و عن کنز العمال ج 8 ص 209 و عن أحمد، و ابن سعد، و مسدّد، و ابن خزيمه، و البيهقى و غيرهم.

و ساروا على نفس النهج، فى المنع عن الحديث إلا حديثا كان على عهد عمر (1).

و أصبحت كتابه الحديث عيبا عند الناس، كما عن أبى المليح (2).

بل لقد رووا عن ابن الحنفيه أنه قال: (إياكم و هذه الأحاديث، فإنها عيب عليكم، و عليكم بكتاب اللّه إلخ ...) (3).

لا قرآن، و لا سنه:

و لكن و رغم توصيه ابن الحنفيه الآنفه بكتاب اللّه و قبل و فوق ذلك وصايا النبى صلى الله عليه و آله وسلم و الوصى (ع) به أيضا، و رغم أن النبى (صلى اللّه عليه و آله) كان يعلّم أصحابه الآيات من القرآن، و يوقفهم على ما فيها من علم و عمل، و ما فيها من حلال و حرام، و ما ينبغى أن يقف عنده (4).

ثم ما روى عنه صلى الله عليه و آله وسلم من أنه قال: تعلموا القرآن، و التمسوا غرائبه.

و غرائبه فرائضه، و فرائضه حدوده، و حدوده حلال و حرام، و محكم و متشابه إلخ .. (5).ى.

1- راجع: الطبقات الكبرى لإبن سعد ج 3 قسم 1 ص 206 و ج 2 ص 336 و مسند أحمد ج 4 ص 99 و تذكره الحفاظ ج 1 ص 7 و كنز العمال ج 10 ص 179 و 182 عن ابن عساكر، و ابن سعد و أضواء على السنه المحمديه ص 47 عن جامع بيان العلم ج 1 ص 64 و 65 و راجع: الغدير ج 10 ص 351 و شرف أصحاب الحديث ص 1.
2- راجع: التراتيب الإداريه ج 2 ص 249.
3- طبقات ابن سعد ج 5 ص 70.
4- راجع: التراتيب الإداريه ج 2 ص 279 عن أحمد، و طبقات ابن سعد و الطبرانى فى الأوسط، و الهيثمى و صححه.
5- التراتيب الإداريه ج 2 ص 279 عن الجامع الكبير عن الديلمى.

و ما روی عن عمر أنه قال حین وفاه النبی صلی الله علیه و آله وسلم : حسبنا کتاب اللّه- کما تقدم- ثم مبادرته حین تولّیه الخلافه إلی المنع من تدوین الحدیث و روایته، و إلخ ..

نعم رغم ذلک کله، فإننا لا نجد لدی رواد هذه السیاسه کبیر اهتمام بالقرآن، و تعلیمه، و تفسیره للناس، بل نجد عکس ذلک تماما، فإن عمر بن الخطاب نفسه کان یمنع الناس من السؤال عن معانی القرآن، و یضرب و یعاقب من یسأل عن شی ء منه، و ما فعله بصبیغ حیث ضربه ماءه ثم مئه حتی اضطربت الدماء فی ظهره و فی رأسه، و منع الناس من الکلام معه، و من مجالسته، فمکث حولا علی ذلک حتی أصابه الجهد، و لم یزل وضیعا فی قومه حتی هلک، و کان سید قومه (1).

و قد بقی ابن عباس سنه کامله أو سنتین لا یجرؤ علی سؤال عمر عن آیه فی کتاب اللّه (2)، رغم ما کان له من المکانه عنده.6.

1- راجع فی ذلک و غیره: تاریخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزی ص 146- 148 و راجع: کشف الأستار عن مسند البزار ج 3 ص 70 و مجمع الزوائد ج 8 ص 113 و حیاه الصحابه ج 3 ص 258 و 259 و الغدیر ج 6 ص 290- 293 عن المصادر التالیه: إحیاء علوم الدین ج 1 ص 30 و سنن الدارمی ج 1 ص 54 و 55 و تهذیب تاریخ دمشق ج 6 ص 384 و تفسیر ابن کثیر ج 4 ص 232 و الإتقان ج 2 ص 5 و کنز العمال ج 1 ص 228 و 229 عن نصر المقدسی، و الأصبهانی، و ابن الأنباری، و اللالکائی و غیرهم. و الدر المنثور ج 6 ص 111 و 321 و فتح الباری ج 8 ص 17 و ج 13 ص 230 و الفتوحات الإسلامیه ج 2 ص 445.

2- راجع: البخاری ط سنه 1309 ه. ج 3 ص 133 فی موضعین و التراتیب الإداریه ج 2 ص 377 و تاریخ عمر ص 157 و الغدیر ج 6 ص 292 و 293 عن کتاب العلم لأبی عمر ص 56.

قراءه القرآن أيضا مرفوضه:

بل إن عمر كان لا يرغب فی كثره القرّاء للقرآن أيضا، فقد كتب إليه أبو موسى بعده ناس قرأوا القرآن، فحمد اللّه عمر. ثم كتب إليه فی العام القابل بعده هی أكثر من العدّه الأولی، ثم كتب إليه فی العام الثالث.

فكتب إليه عمر يحمد اللّه علی ذلک، و قال: إن بنی إسرائيل إنما هلكت حينما كثرت قراؤهم (1).

و نلاحظ: أن هذه العباره الأخيره هی من سنخ استدلاله للمنع من كتابه الحديث!! فاقرأ، و اعجب بعد هذا ما بدا لک!!

هذا .. و من المفارقات هنا: أن نری هذا الخليفه بالذات يسمح لكعب الأحبار أن يقرأ التوراه آناء الليل و أطراف النهار، كما سنری!!

الدقه فی التنفيذ:

و قد كان للإهتمام الذی أولاه الحكام للمنع من روايه الحديث و كتابته، و مالمسه الناس من جدّيه و إصرار فی تنفيذ هذه السياسه، و متابعه فصولها بدقه و حزم من قبل شخص الخليفه الثانی، الذی كان قوله و رأيه فی العرب نافذا و مقبولا- قد كان لذلک تأثيرات سريعه و حاسمه، علی صعيد الإلتزام التام بالتعليمات الصادره لهم فی هذا الخصوص؛ فهذا أبو موسی الأشعری (و كذلک أنس بن مالک (2)) بمجرد أن أحسّ أن عمر يفكر فی أمر مّا فی هذا الإتجاه، يمسک عن الحديث حتی يعلم ما أحدثه عمر.

و لنا أن نظن ظنا قويا: أنهما كانا علی علم مسبق بما كان الخليفه2.

1- كنز العمال ج 10 ص 161 و 162.
2- راجع: مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 393 و 372.

قد عقد العزم علیه فی هذا الصدد، و أراد ترویض الناس علی قبول ذلک، و الإلتزام به.

بل لقد بلغ بهم التحاشی عن حدیث رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم حدّا مثیرا للدهشه، حتی إن عبد اللّه بن مسعود- و هو الصحابی المعروف- کانت تأتی علیه السّنه لا یحدث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم بشی ء (1).

بل لقد قال عمرو بن میمون: (صحبت عبد اللّه بن مسعود سنین فما سمعته یروی حدیثا إلا مره واحده) ثم ذکر الحدیث الذی رواه (2).

و یقول الشعبی: (قعدت مع ابن عمر سنتین، أو سنه و نصفا، فما سمعته یحدث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم إلا حدیثا.

أو قال: جالست ابن عمر سنتین فما سمعته یحدث عن رسول اللّه شیئا (3).

و کان زید بن أرقم إذا طلبوا منه أن یحدثهم یزعم أنه کبر و نسی (4).

و قال عمرو بن میمون الأودی:

(کنا جلوسا بالکوفه، فجاء رجل و معه کتاب، فقلنا: ما هذا؟2.

1- راجع: صفه الصفوه ج 1 ص 405 و الطبقات الکبری لإبن سعد ج 3 ص 156 ط صادر و فی ط لیدن ج 3 قسم 1 ص 110/ 111 و المستدرک علی الصحیحین ج 3 ص 314 و تلخیص المستدرک للذهبی (مطبوع بهامشه) نفس الصفحه، و حیاه الصحابه ج 3 ص 271 و حیاه الشعر فی الکوفه ص 253.
2- أصول السرخسی ج 1 ص 342.
3- راجع: سنن الدارمی ج 1 ص 84 و مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 157 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 15 و حیاه الصحابه ج 3 ص 271 و الغدیر للعلامه الأمینی ج 10 ص 65 و ج 6 ص 294.
4- مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 370 و 371 و 372.

قال: كتاب دانيال.

فلو لا أن الناس تحاجزوا عنه لقتل. و قالوا: كتاب سوى القرآن؟!) (1).

و كيف لا يقتله الناس، و هو قد خالف سنّه عمر فى حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و تجاوز سياساته تجاهه؟! فإنه و لا شك قد ارتكب جريمه نكراء!! و جاء ببدعه صلعاء!!.

ثم إننا لا ندرى ماذا كان يوجد فى ذلک الكتاب المنسوب الى دانيال النبى عليه السلام. و لعل الذين اعترضوا على هذا الكتاب كانوا لا يعرفون شيئا عن مضمون ذلک أيضا.

إلى متى؟!:

هذا، و قد استمر المنع من روايه الحديث و تدوينه سارى المفعول- بصوره أو بأخرى- إلى زمن الخليفه الأموى عمر بن عبد العزيز، الذى تولى الخلافه فى مطلع القرن الثانى (فى صفر سنه 99 ه) لفتره و جيزه انتهت بموته فى رجب سنه 101 ه.

فقد أظهر عمر بن عبد العزيز هذا رغبه فى جمع الحديث، فأمر محمد بن عمرو بن حزم بأن يكتب له حديث النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، أو سنه ماضيه، أو حديث عمره بنت عبد الرحمان (2).

و مراده بالسنه الماضيه هى سنّه أبى بكر، و عمر، و عثمان، كما0.

1- تقييد العلم ص 57 و فى هامشه عن: ذم الكلام للهروى ص 27.
2- راجع: تقييد العلم ص 105 و 106 و تدريب الراوى ج 1 ص 90 عن البخارى فى أبواب العلم. و راجع: ذكر أخبار أصبهان، و طبقات ابن سعد ج 2 قسم 2 ص 134 و ج 8 ص 353 ط ليدن و العراق فى العصر الأموى ص 150.

سنشير إليه. و إنما أراد حديث عمر لأجل الوصول الى حديث عائشه كما هو معلوم، و لا ندرى: إن كان طلب الخليفه هذا قد نفّذ أو لا. و لكن الزهرى المتوفى سنه 124 ه. قد كتب له طائفه من الروايات، فأرسل إلى كل بلد دفترا من دفاتره التى كتبها له.

و قد كانت هذه المحاوله أيضا ضعيفه و محدوده جدا، (1) و لا تستطيع أن تعيد لحديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم دوره و حيويته فى الناس كما هو واضح.

و رووا أيضا: أن أبا الزناد كتب سنن الحج لهشام بن عبد الملک، و ذلک فى سنه 106 ه. (2) لکن ليس ثمه ما يدل على أن ذلک قد وصل إلى أيدى الناس، و تداولوه.

بل إن ما كتبه الزهرى لم نجد له أثرا ملموسا فيما بين أيدينا من تراث مكتوب ليمكننا تقييمه و الحكم عليه.

و مهما يكن من أمر، فإن من المؤكد: مفعول المنع من تدوين الحديث قد انتهى فى أواسط القرن الثانى، و أن الحركه الواسعه لتدوين الحديث قد بدأت فى أواسط القرن الثانى للهجره، على يد ابن جريج،0.

1- راجع: السنه قبل التدوين ص 364 و 332 و جامع بيان العلم ج 1 ص 76 و 91 و 50 و 88 و 92 و الطبقات الكبرى لإبن سعد ج 7 ص 447 و المصنف للصنعانى ج 9 ص 337 و سنن الدارمى ج 1 ص 126 و حليه الأولياء ج 3 ص 363 و تدريب الراوى ج 1 ص 90 و ذكر أخبار أصبهان ج 1 ص 312 و تاريخ الخلفاء ص 261 و تذكره الحفاظ ج 1 ص 169 و 170 و 203 و تحفه الأحوذى (المقدمه) ج 1 ص 33 و 40 و راجع: صحيح البخارى ط سنه 1309 ه. ج 1 ص 19 و الخطط للمقريزى ج 2 ص 333 و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 226 و 227.
2- الكنى و الألقاب ج 1 ص 80 و الكامل فى التاريخ ج 5 ص 130.

و مالک بن أنس، و الربیع بن صبیح، و الثوری، و الأوزاعی، و غیرهم (1).

و أما البدایات الضعیفه و المحدوده لکتابه الحدیث، فقد حصلت قبل ذلک، لکنها کانت محکومه للظروف العامه، و الخوف من التعرض إلى الأذى بسبب ذلک. و لم یصل إلینا و لا إلى الناس من ذلک إلا النزر القلیل، الذی لا یسمن و لا یغنی من جوع.ل.

1- راجع: بحوث فی تاریخ السنه المشرفه. و السنه قبل التدوین ص 337 و راجع: الجرح و التعدیل ج 1 ص 184 و تدریب الراوی ج 1 ص 189 و الخطط للمقریزی ج 2 ص 333 و تاریخ الخلفاء ص 261 و تذکره الحفاظ ج 1 ص 170 و 169 و 160 و 191 و 203 و فتح الباری (المقدمه) ص 4 و 5 و کشف الظنون ج 1 ص 237 و النجوم الزاهره ج 1 ص 351 و تحفه الأحوذی المقدمه ج 1 ص 25 و 26 و 28 ففی کل ذلک و فی غیره تجد ما یفید فی هذا المجال.

الفصل الثالث: أين؟ و ما هو البديل؟!

اشاره

من الذی یفتی الناس؟!

و بعد ما تقدم، فقد کان لا بد للناس، الذین یدینون بهذا الدین، و یریدون أن یطبقوا أحکامه و شرائعه علی حرکاتهم و سلوکهم و مواقفهم- لا بد لهم- من مرجع یرجعون إلیه، لیفتیهم فی أمور دینهم، و یبیّن لهم أحکامه، من دون أن یتعرض لروایه عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، لا من قریب، و لا من بعید.

و بدیهی، أنه لا یمکن السماح لکل الناس بالتصدی للفتوی؛ لأن ذلک یحمل معه مخاطر کبیره و خطیره، و یجعل السلطه فی مواجهه مشاکل صعبه، و یضعها أمام إحراجات لا طاقه لها بها. و ذلک حینما تتعارض فتاواهم و تتناقض. أو حینما تصدر عن بعض الناس فتاوی قد یعتبرها الحکام و من یدور فی فلکهم مضرّه فی مصالحهم فی الحکم، أو فی غیره.

و هذا الأمر یحمل معه أجواء الإستدلال و الإحتجاج، و التأیید و الرّد، ثمّ الإدانه، و تسفیه الأراء.

و معنی ذلک هو:

العوده إلی طرح النصوص القرآنیه، و الکلمات و المواقف النبویه،

كوسائل اقناع و احتجاج، فيكون ما فرّوا منه قد عادوا فوقعوا فيه.

مع ما فى ذلک من إضعاف لمواقع و لرموز لا تريد لها السلطه أن تضعف، بأيه صوره كانت. و يأتى إضعافها و ضعفها بإتضاح أنها فى درجه أدنى من حيث المعرفه و العلم بالقرآن و السنه، و أحكام الدين، و تعاليم الشريعه.

ثمّ هو يتسبب بالإحساس بالغبن، و بالمظلوميه بالنسبه لأولئک الذين يملكون المؤهلات الحقيقيه للفتوى، حين يكون التعامل معهم، و الموقف منهم، و من كل ما يقدمونه من علم صحيح و نافع لا يختلف عن الموقف مما يقدمه أولئک الجهله الأغبياء، الذين لا يملكون من التقوى ما يمنعهم عن الإفتاء بغير علم و لا هدى، و لا كتاب منير.

أضف إلى ذلک: أن هذا من شأنه أن يضعف الثقه بالسلطه، التى انتهجت هذه السياسه، و شجّعت هذا الإتجاه.

هذا كله، عدا عن أن الحكم يريد أن يتبّنى اتجاها فكريا خاصا و متميزا، يخدم أهدافه الخاصه و العامه. و يريد أن يزرع فى الناس مفاهيم، و يحملهم على اعتقادات، و يلزمهم بأحكام لا يدع لهم مناصا من الإلتزام بها، و الجرى عليها و تبنّيها، فى مختلف الظروف و الأحوال. و لن يكون ذلک ميسورا له فى ظل هذه الحريه فى الفتوى، و فى الإستدلال عليها.

حصر الفتوى فى نوعين من الناس:

اشاره

و لأجل ذلک، فقد كان من الطبيعى أن لا يسمحوا بالفتوى إلا لنوعين من الناس.

الأول: الأمراء، و ذلک فى الأمور الحسّاسه، فيما يبدو.

الثانى: أشخاص بأعيانهم، يمكنهم تسويق فكر السلطه، بصوره أو

بأخرى.

و لأجل توضيح ذلک فإنّنا نشیر إلی کلا النوعین باختصار، فنقول:

أولا: الأمراء:

أما بالنسبه للأمراء؛ فإنّنا نقرأ فی التاریخ: أن عمر بن الخطاب قد أنکر علی بعضهم بقوله:

(کیف تفتی الناس، ولست بأمیر؟! ولی حارّها من ولی قارّها) (1).

و کان ابن عمر إذا سئل عن الفتوی قال: إذهب إلی هذا الأمیر، الذی تقلّد أمور الناس، و وضعها فی عنقه (2).

و قد امتنع ابن عمر عن إفتاء سعید بن جبیر، و قال: یقول فی ذلک الأمراء (3).

و قد أطلقوا علی الفتوی إسم (صوافی الأمراء).

فعن المسیّب بن رافع قال: کان إذا ورد الشی ء من القضاء، و لیس فی الکتاب، و لا فی السنّه، سمی (صوافی الأمراء)؛ فدفع إلیهم إلخ ...4.

1- راجع: جامع بیان العلم ج 2 ص 175 و 203 و 194 و 174 و منتخب کنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج 4 ص 62 و سنن الدارمی ج 1 ص 61 و الطبقات الکبری لإبن سعد ج 6 ص 179 و 258 و المصنف للصنعانی ج 8 ص 301 و ج 11 ص 328 و راجع ص 231 و أخبار القضاه لوکیع ج 1 ص 83 و تهذیب تاریخ دمشق ج 1 ص 54 و راجع: حیاه الصحابه ج 3 ص 286 و کنز العمال ج 1 ص 185 و راجع ص 189 عن عبد الرزاق، و ابن عساکر، و ابن عبد البر، و الدینوری فی المجالسه.
2- التراتیب الإداریه ج 2 ص 367.
3- الطبقات الکبری لإبن سعد ج 6 ص 174.

و روی هشام بن عروه عن أبیه: أنه ربما سئل عن الشی ء فیقول:

هذا من خالص السلطان.

و عن ابن هرمز: أدرکت أهل المدینه، و ما فیها الکتاب و السّنّه.

و الأمر ینزل، فینظر فیه السلطان (1).

و زید بن ثابت یکتب لمعاویه فی الجد: ذلک مما لم یکن یقضی فیه إلا الأمراء (2).

ثانیا: المسموح لهم بالفتوی من غیر الأمراء:

اشاره

و أما بالنسبه للأشخاص المسموح لهم بالفتوی: فإنما سمحوا بالفتوی بل و بالروایه أیضا لأشخاص رأوا: أن لدیهم من المؤهلات ما یکفی للإعتماد علیهم، و یطمئن لإلتزامهم بالخط المعین، و المرسوم، بصوره مقبوله و معقوله.

أما من وجدوه غیر قادر علی ذلک، فقد استبعدوه، حتی و إن کان منسجما معهم، فی خطه السیاسی، أو فی طریقه تفکیره، و أسلوب حیاته. و نذکر من هؤلاء:

1- عائشه:

فإننا نجد مروان بن الحکم یحاول التأکید علی الدور الأساس لأم المؤمنین عائشه فی هذا المجال؛ فهو یقول:8.

1- جامع بیان العلم ج 2 ص 174.
2- بحوث مع أهل السنه و السلفیه ص 238.

(كيف يسأل أحد و فينا أزواج نبينا و أمهاتنا) (1).

و إنما قلنا: إنه يقصد خصوص عائشه فى كلامه هذا، لأنها هى التى كانت تتصدى للروايه و الفتوى من بين أمهات المؤمنين بصوره رئيسيه، و هى بنت الخليفه الأول أبى بكر، و مدلّله الخليفه الثانى عمر بن الخطاب، و لم يعرف عن أى من نساء النبى صلى الله عليه و آله وسلم سواها: أنهن تصدين للروايه و الفتوى إلا فى حالات قليله جدا، و كانت أم سلمه تتصدى لروايه شى ء عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم لم يكن يعجب أمثال مروان، و لا كان يروق لهم كثيرا.

و قد كانت عائشه تفتى على عهد عمر، و عثمان، و إلى أن ماتت.

و كان هذان الخليفتان يرسلان إليها فيسألانها عن السنن (2).

و فى نص آخر: كانت عائشه قد استقلت بالفتوى فى خلافه أبى بكر، و عمر، و عثمان، و هلم جرّا، إلى أن ماتت (3).

مناقسون لعائشه:

و نجد من بعض الطموحين من الشباب الذين تهتم السلطه بإعطائهم دورا من نوع ما، تشكيكا بل و رفضا لما تدعيه عائشه و محبوها من علم و اطلاع كامل على أحوال رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم و أوضاعه، فهذا زيد بن ثابت يقول:9.

1- المصنف للصنعانى ج 1 ص 166 و راجع: كشف الأستار عن مسند البزار ج 2 ص 196 و مجمع الزوائد ج 4 ص 324.
2- حياه الصحابه ج 3 ص 298 عن الطبقات الكبرى ج 4 ص 189.
3- حياه الصحابه ج 3 ص 288/ 289 عن الطبقات الكبرى لإبن سعد ج 4 ص 189.

(نحن أعلم برسول اللّه من عائشه) (1).

كما أن عائشه نفسها كانت لا ترتاح إذا رأت للآخرين دورا فاعلا فى نطاق الفتوى و الروايه، و لعل هذا هو ما يفسر لنا شكواها لإبن اختها عروه بن الزبير من أن أبا هريره الذى كان يحاول إثارتها بجلوسه إلى جانب حجرتها، ليحدّث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، قالت عائشه لعروه:

ألا يعجبك أبو هريره!! جاء فجلس إلى جانب حجرتى يحدث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، يسمعنى ذلك!! و كنت أسبح، فقام قبل أن أقضى سبحتى، لو جلس حتى أقضى سبحتى لرددت عليه إلخ ... (2).

2- زيد بن ثابت:

و ممن كان يسمح له بالفتوى أيضا: زيد بن ثابت، و كان مترئسا بالمدينه فى القضاء، و الفتوى، و القراءه، و الفرائض فى عهد عمر، و عثمان (3)

و نرى أن ذلك يرجع إلى موقفه السلبى من على أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم إلى دوره فى تقويه سلطان الحكم القائم، كما سيأتى إن شاء اللّه تعالى فى هذا الكتاب، حين الحديث عن تعلّم زيد للغه5.

1- مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 5 ص 185.
2- مسند أحمد ج 6 ص 157 و راجع: صحيح مسلم ج 8 ص 229 و فتح البارى ج 7 ص 390 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 607 عن مسلم و عن أبى داود رقم 3655 و اختصره الترمذى برقم 3643 و عن البخارى فى المناقب ج 6 ص 422 و السنه قبل التدوين ص 462 عن الإجابه لإيراد ما استدركته عائشه على الصحابه ص 135 و حياه الصحابه ج 2 ص 705 عن البخارى، و أحمد، و أبى داود.
3- حياه الصحابه ج 3 ص 288 عن الطبقات الكبرى لإبن سعد ج 4 ص 175.

العبرانيه، بعد الحديث عن غزوه حمراء الأسد.

3- عبد الرحمان بن عوف:

(كان عبد الرحمان بن عوف ممن يفتى فى عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و أبى بكر، و عمر، و عثمان بما سمع من النبى صلى الله عليه و آله وسلم) (1).

و موقف ابن عوف من على فى قضيه الشورى، و صرفه الأمر عن على (عليه السلام) إلى عثمان بطريقه ذكيه و مدروسه، معروف، و لا يحتاج إلى مزيد بيان.

4- أبو موسى الأشعرى:

و كان أبو موسى الأشعرى- كما يقولون- لا يزال يفتى بما أمره النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى زمن أبى بكر، ثم فى زمن عمر، فبينما هو قائم عند الحجر يفتى الناس بما أمره رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ؛ إذ جاءه رجل فسارّه:

أن لا تعجل بفتياک، فإن أمير المؤمنين قد أحدث فى المناسک شيئا.

فطلب أبو موسى حينئذ من الناس: أن يأتمّوا بعمر، و يتركوا ما كان يفتيهم به.

ثم سأل الخليفه عن الأمر؛ فحققه له (2).

فأبو موسى إذن، كان يرى: أن سنّه عمر مقدمه على ما سنّه اللّه3.

1- حياه الصحابه ج 3 ص 287 عن الطبقات الكبرى لإبن سعد كاتب الواقدى، و عن منتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج 5 ص 77.
2- راجع: مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 4 ص 393.

و رسوله الذی لا ینطق عن الهوی، إن هو إلا وحی یوحی!!.

و لعله یستند فی ذلک إلی ما رووه عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم من أنه قال:

لو لم أبعث فیکم لبعث عمر!!.

أو إنه قال: انه ما أبطأ عنه صلی الله علیه و آله وسلم الوحی إلا ظن أنه نزل فی آل الخطاب!!.

و غیر ذلک مما اختلقته ید السیاسه، و زینه لهم الحب الأعمی (1).

5- السماح لأبی هریره بعد المنع:

قال أبو هریره: (بلغ عمر حدیثی، فأرسل إلیّ؛ فقال: کنت معنا یوم کنا مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی بیت فلان؟

قال: قلت: نعم، و قد علمت لم تسألنی عن ذلک!!.

قال: و لم سألتک؟

قلت: إن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم قال یومئذ: من کذب علیّ متعمدا فلیتبوأ مقعده من النار.

قال: أما إذن، فاذهب فحدث) (2).

و من المعلوم: أن عمر کان قد منع أبا هریره من التحدیث (3)، و لکنه لما بلغه حدیثه، و أعجبه أرسل إلیه، و أبلغه سماحه له بالتحدیث، کما6.

1- راجع: کتاب الغدیر للعلامه الأمینی رحمه اللّه.
2- البدایه و النهایه ج 8 ص 107 و راجع: سیر أعلام النبلاء ج 2 ص 603 و السنه قبل التدوین ص 458.
3- راجع: سیر أعلام النبلاء ج 2 ص 600/ 601 و 602/ 603 و البدایه و النهایه ج 8 ص 106.

ترى !!.

و لا بد لنا من أن نتساءل عن تلک الخصوصيات التى لو اشتمل عليها الحديث لأعجب الخليفه، و يكافى ء من يأتى بها بالسماح بما هو ممنوع على من سواه، من جلّه أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)!!

محاوله فاشله لهم مع على «عليه السلام»:

و قد بذلت محاوله لفرض الرأى فى مجال الفتوى، و العمل بالسنه على على أمير المؤمنين (عليه السلام)، فوجدوا منه الموقف الحازم، و الحاسم؛ فكان التراجع منهم و الإعتذار.

فقد روى العياشى عن عبد اللّه بن على الحلبى، عن أبى جعفر، و أبى عبد اللّه (عليهما السلام)، قال:

حج عمر أول سنه حج، و هو خليفه، فحج تلک السنه المهاجرون و الأنصار و كان على قد حج فى تلک السنه بالحسن و الحسين (عليهما السلام)، و بعبد اللّه بن جعفر، قال: فلما أحرم عبد اللّه لبس إزارا ورداء ممشّقين- مصبوغين بطين المشق- ثم أتى، فنظر إليه عمر، و هو يلبى، و عليه الإزار و الرداء، و هو يسير إلى جنب على (عليه السلام)، فقال عمر من خلفهم:

ما هذه البدعه التى فى الحرم؟

فالتفت إليه على (عليه السلام)، فقال له: يا عمر، لا ينبغى لأحد أن يعلمنا السنّه!

فقال عمر: صدقت يا أبا الحسن. لا و اللّه، ما علمت أنكم هم (1).9.

1- تفسير العياشى ج 2 ص 38 و البحار ج 96 ص 142 و تفسير البرهان ج 2 ص 49.

من له الفتوى بعد عهد الخلفاء الثلاثه:

و إذا استثنينا الفتره التى تولّى فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) شؤون المسلمين، فإن الذين تصدّوا للفتوى بعد ذلک العهد ما كانوا من الشخصيات الطليعيه فى المجتمع الإسلامى، بل إن بعضهم لا يعدّ حتى من أهل الدرجه الثانيه أو الثالثه.

و بعض هؤلاء أو كلهم لم يكن يسمح لهم بالفتوى فى عهد الخلفاء الثلاثه: أبى بكر، و عمر، و عثمان.

يقول زياد بن ميناء:

(... كان ابن عباس، و ابن عمر، و أبو سعيد الخدرى، و أبو هريره، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و جابر بن عبد اللّه، و رافع بن خديج، و سلمه بن الأكوع، و أبو واقد الليثى، و عبد اللّه بن بحينه، مع أشباه لهم من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يفتون بالمدينه، و يحدثون عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، من لدن توفى عثمان إلى أن توفّوا.

و الذين صارت إليهم الفتوى منهم: ابن عباس، و ابن عمر، و أبو هريره، و جابر بن عبد اللّه) (1).

حظر الروايه على ابن عمر، و ابن عمرو:

و لا بد لنا هنا من تسجيل تحفّظ على ما ذكره زياد بن ميناء بالنسبه لكل من عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص.2.

1- حياه الصحابه ج 3 ص 288 عن الطبقات الكبرى ج 4 ص 187 و راجع: سير أعلام النبلاء ج 2 ص 606/ 607 و فى هامشه أشار إلى طبقات ابن سعد ج 2 ص 372.

فأما بالنسبه إلى ابن عمر فقد رووا: أن معاويه قال له:

(لئن بلغنى أنک تحدث لأضربن عنقک) (1).

و أما بالنسبه لعبد اللّه بن عمرو بن العاص؛ فإنما كان يسمح له بالروايه و الفتوى قبل حرب صفّين- على ما يظهر- ثم منعه معاويه من الروايه بعدها. و قد استمر هذا المنع إلى عهد يزيد بن معاويه أيضا (2).

أسباب المنع:

أما عن أسباب منعهما من الروايه فإنّنا نقول:

أما عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، فإنه كان يروى أحاديث رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) فى معاويه، كقوله صلى الله عليه و آله وسلم عنه: لا أشبع اللّه بطنه.

و قوله صلى الله عليه و آله وسلم عنه. و عن أبيه، و أخيه: اللهم العن القائد، و السائق، و الراكب.

و قوله صلى الله عليه و آله وسلم : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت حين يموت، و هو على غير سنّتى. فطلع معاويه.

و أن تابوت معاويه فى النار فوق تابوت فرعون.

و قوله صلى الله عليه و آله وسلم : يموت معاويه على غير الإسلام (3).ک.

1- صفين للمنقرى ص 220 و راجع: قاموس الرجال ج 9 ص 17 و الغدير ج 10 ص 352.
2- راجع: مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 167 و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير و الحديث ص 151 و الغدير ج 10 ص 352.
3- راجع ما تقدم فى: صفين للمنقرى ص 217- 220 و فى قاموس الرجال، ترجمه معاويه، و راجع الغدير للعلامه الأمينى، و غير ذلک.

و أما عبد اللّه بن عمرو بن العاص، فإنه قد أحرج معاويه فى صفّين بحديث قتل الفئه الباغيه لعمّار.

و بحديث: أنه سيكون ملک من قحطان.

فقال معاويه لابيه، عمرو: ألا تغنى عنّا مجنونک؟ (1).

شواهد أخرى:

و من الشواهد على أن الحكام كانوا يواجهون كل من روى حديثا يضرّ بحكومتهم و سياساتهم بصرامه و قسوه ما ذكروه عن الخليفه المهدى العباسى، من أنه أمر بقتل رجل لروايته حديثا رأى المهدى أنه يضرّ فى حكمه و سلطانه، ثم لما عرف أن ذلک الراوى إنما يرويه عن الأعمش، قال:

(و يلى عليه، لو عرفت مكان قبره لأخرجته، فأحرقته بالنار) (2).

و سأل سعيد بن سفيان القارى عثمان بن عفان عن مسأله، فقال:

فهل سألت أحدا قبلى؟!

فقلت: لا.9.

1- راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودى) ج 2 ص 312/ 313 و راجع: 317 و الجزء الأول (قسم سيره النبى صلى الله عليه و آله وسلم) ص 168 و راجع ص 169 و الطبقات الكبرى لإبن سعد ج 3 ص 253 ط صادر و نقله المحمودى فى تعليقاته على أنساب الأشراف عن ابن أبى شيبه. و راجع: تذكره الخواص ص 93 و الفتوح لإبن أعثم ج 3 ص 268. و راجع: تاريخ الأمم و الملوک ج 5 ص 41 ط دار المعارف. و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص 150.
2- روضه العقلاء لإبن حبان ص 159.

قال: لئن استفتيت أحدا قبلى، فأفتاك غير الذى أفتيتك به ضربت عنقه إلخ ... (1).

أضف إلى ما تقدم: أن معاويه الذى كان يتعامل بالربا، قد حاول أن يمنع عباده بن الصامت من روايه حديث عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) حول تحريم الربا، فلم يفلح (2).

كما أنهم قد منعوا أبا ذر من الفتيا- منعه عثمان- فلم يمتنع (3) فواجهوه بأنواع كثيره من الأذى، و المحن و البلايا، حتى مات غريبا مظلوما فى الربذه، منفاه (4).

و قد تقدم عن قريب أن أبا موسى الأشعرى يطلب من الناس أن يتركوا ما كان يحدثهم به مما سمعه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و يأخذوا بما أحدثه لهم عمر. فراجع.

و خلاصه الأمر:

إن الحكام إنما كانوا يسمحون بالفتوى لأشخاص بأعيانهم، و يمنعون من عداهم من ذلک إلا إذا اطمأنوا إلى أنه من مستوى يؤهله لأن ينسجم فى ما يفتى به، و يرويه مع مقاصد الحكم و أهدافه، كما كان1.

1- تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 54 و حياه الصحابه ج 2 ص 390/ 391 عنه.
2- تهذيب تاريخ دمشق ج 7 ص 215 و الغدير ج 10 ص 185 عنه و فى الغدير نصوص أخرى للقضيه عن موطأ مالک، و صحيح مسلم و سنن البيهقى و الجامع لأحكام القرآن، و شرح النهج للمعتزلى و سنن النسائى، و اختلاف الحديث للشافعى، و مسند أحمد و غير ذلک فليراجعه طالب ذلک.
3- راجع: حليه الأولياء ج 1 ص 160 و صحيح البخارى ج 1 ص 15 ط سنه 1309.
4- راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج 1 ص 111- 141.

الحال بالنسبه لأبى هريره.

و حتى لو سمحوا للبعض بممارسه دوره الفتوائى، فأن ذلک يبقى مرهونا بهذا الإنسجام، فإذا ما أخلّ به أحيانا، و لو عن غير قصد، فإنه يمنع من الحديث، و لو بلغ إلى درجه الإضرار فإنه يهدد بالقتل، و الضرب، بل و ينفى إلى أبغض البلاد إليه.

كما كان الحال بالنسبه لعبد اللّه بن عمرو بن العاص، و ابن عمر، و أبى ذر، حسبما ألمحنا إليه.

لا بد من أساليب أخرى:

ثم إن الحكام قد رأوا: أن كل ذلک لا يكفى لإشباع رغبه الناس فى التعرف على الدين، و على عقائده و مفاهيمه، و أحكام. و لسوف تبقى لدى الناس الرغبه و الإهتمام، بنيل معارفه و التعرف على ما فيه من شرائع و أحكام، و من سيره و تاريخ، و عقائد و سياسات و غيرها.

و قد أصبح الإهتمام بذلک محسوسا و ملموسا، فلا بد من معالجه الأمر، بحكمه و رويه و حنكه.

و قد كان من الواضح: أن مجرد إعطاء الفتاوى لا يكفى، فقد كان ثمه حاجه إلى تثقيف الناس، فى مجالات، و شؤون و مناحى مختلفه:

تاريخيه، و سياسيه، و تربويه، و عقيديه و غيرها.

فاتجهوا إلى اعتماد أساليب أخرى، رأوا أنها قادره على حلّ هذا المشكل، و تساعدهم على الخروج من هذا المأزق، الذى وجدوا أنفسهم فيه.

و نذكر هنا بعضا من مفردات هذه الأساليب، التى اعتمدوها لسدّ الخلل و رأب الصدع، فنقول:

تشجيع الشعر و الشعراء:

إن من الواضح: أن الشعر العربى له تأثير السحر على روح، و عقل و عواطف الإنسان العربى، الذى ينجذب إليه، و يقبل بكل مشاعره و أحاسيسه عليه.

و من الواضح: أن هذا الأمر يجعل الشعر قادرا على القيام بدور فاعل و قوى فى مجال الإستئثار بقسط من الإهتمام لدى فريق كبير من الناس.

فلماذا إذن لا يعطى للشعر هذا الدور، ليخفف من الأعباء التى أصبحت ترهق كاهل الحكم، فى هذا الاتجاه.

و لأجل ذلک نجد أن المبادره لتنشيط الاتجاه الأدبى، و الاهتمام بالشعر، قد جاءت من قبل نفس الخليفه الذى تبنّى السياسات التى أشرنا إليها تجاه الحديث و القرآن، و نفّذها بدقه، و رسّخها بحزم، و حافظ عليها بقوه.

فأمر بكتابه الشعر، و الإحتفاظ به، فدوّنوا ذلک عندهم، و كانت الأنصار تجدّده إذا خافت بلاه (1).

بل لقد روى لنا مالک فى موطئه، فى أواخر كتاب الصلاه أنه بلغه:

أن عمر بن الخطاب بنى رحبه فى ناحيه المسجد، تسمى (البطيحاء) و قال:

(من كان يريد أن يلغط، أو ينشد شعرا، أو يرفع صوته، فليخرج إلى هذه الرحبه) (2).0

1- الأغانى ط ساسى ج 4 ص 5 و 6.
2- التراتيب الإداريه ج 2 ص 300.

و حاول أن يكتب شعر الشعراء، فكتب إلى المغيره بن شعبه بالكوفه، يطلب منه أن يجمع الشعراء، و يستشهدهم ما قالوا من الشعر فى الجاهليه، و الإسلام، و يكتب بذلك إليه (1).

و قال عمر بن الخطاب أيضا: تعلّموا الشعر، فإن فيه محاسن تبتغى، و مساوى ء تتّقى (2).

ثم أكدت ذلك عائشه أم المؤمنين، حيث قالت: (عليكم بالشعر، فإنه يعرب ألسنتكم) (3).

و لسنا ندرى إن كانت ترى: أن القرآن وحده، لم يكن يكفى لإعراب ألسنتهم؟ أو أن عمر كان يرى: أن ما فى القرآن لا يكفى الناس فيما يبتغونه من محاسن.

تعلّم الأنساب:

و رغم أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) قد قال عن علم الأنساب- حسبما روى عنه-: إنه علم لا يضرّ من جهله، و لا ينفع من علمه، و كذا روى عنه بالنسبه لعلم العربيه، و الأشعار، و أيام الناس (4).

إنّنا رغم ذلك نجد الخليفه الثانى عمر بن الخطاب قد رتب إعطاء الجند على أساس قبلى، يرتكز على ملاحظه أنساب الناس، و انتماءاتهم9.

1- التراتيب الإداريه ج 2 ص 255 عن كنز العمال ج ص 176 و عن الخطط للمقريزى ج 4 ص 143.
2- زهره الآداب ج 1 ص 58.
3- التراتيب الإداريه ج 2 ص 300.
4- التراتيب الإداريه ج 2 ص 301 و 302 و 230 عن إحياء العلوم و غيره. و راجع: الأنساب للسمعانى ج 1 ص 9.

العرقيه (1).

ثم هو يخطط البصره و الكوفه على أساس قبلى أيضا.

و كان يحث على تعلّم الأنساب، مضمنا كلامه ما يتوافق مع التوجهات المقبوله و المعقوله، فيقول:

(تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم) (2).

و الملفت للنظر هنا: أن هذه العباره نفسها قد نسبت إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم (3).

و ربما يكون النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد قال ذلک، فاستعان عمر بن الخطاب بهذا القول لتنفيذ سياساته فى التمييز العنصرى، و إجرائها، و لم يعد الأمر يقتصر على صله الرحم، كما هو المفروض.

و مهما يكن من أمر، فإن معاويه أيضا قد اختار دغفل بن حنظله السدوسى، ليعلم ولده يزيد (لعنه اللّه) علم الأنساب (4) لا علم الفقه، و لا القرآن، و لا أحكام الدين.

أما الهدف من نسبه كلمه عمر إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم فربما يكون هو إعطاءها حيويه و فاعليه، لتجد طريقها إلى وعى الناس، و إلى حياتهم العمليه بيسر و سهوله.

و قد دافع البعض عن سياسه عمر فى توجيه الناس نحو تعلم8.

1- راجع كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى
2- التراتيب الإداريه ج 2 ص 302 و الأنساب للسمعانى ج 1 ص 11، و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 166 عنه.
3- التراتيب الإداريه ج 2 ص 301 و 231.
4- الإستيعاب، و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 168.

الأنساب، معتبرا أنه لا بد من معرفه نسب النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و قریش، لأن الخلافه لا تجوز إلا فی قریش، و إلا لادّعاها من لا تحل له، هذا بالإضافه إلی ما یترتب علی ذلک من أحکام الزواج و المواریث (1).

أسرار الاعذار:

هکذا یتمکن هؤلاء الذین لم یقفوا علی حقیقه، و أبعاد و أسرار سیاسه الخلیفه، أو أنهم یتجاهلونها عن سابق عمد و إصرار- هکذا یتمکنون- من اختلاق الأعذار، التی ربما لا یتمکن الکثیرون من السذج و البسطاء من اکتشاف خطلها و زیفها فی الوقت المناسب!!

علی أننا لا نجد أنفسنا مبالغین إذا قلنا: إن أمثال هؤلاء المتمحلین لمثل هذه الأعذار الواهیه إنما یریدون إصابه عصفورین بحجر واحد.

فهم فی نفس الوقت الذی یبعدون فیه أذهان الناس عن معرفه الحقیقه التی یخشون من ظهورها للناس، فیما یرتبط بسیاسات حکام یحترمونهم، تستهدف طمس حدیث و سنه النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، بالاضافه الی سیاسات لهم تجاه القرآن أیضا.

فإنهم یکونون قد أعطوا أمورا ثبت زیفها و خطلها صفه الواقعیه، بحیث تبدو کأنها من الأمور المسلّمه، التی لا مجال للشک و الشبهه فیها.

و ذلک حینما یفترضون أن أمر الإمامه لم یحسم، و أنه لیس موقوفا علی النص، و إنما هی شائعه فی جمیع بطون قریش. و أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم لم یعیّن الإمام و الخلیفه بعده، بإسمه و صفته، و حسبه و نسبه، و لم یبایعه المسلمون فی غدیر خم، و لیس ثمه تعد علی أحد فی هذا الأمر، و لا اغتصاب لحق، قرره اللّه و رسوله فی موارد و مناسبات کثیره، و بطرق7.

1- بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص 167.

و أساليب مختلفه و متنوعه.

فلا بد من تعلم الأنساب حتى إذا اغتصب أمر هذه الأمه، و تغلّب متغلب- فلا بد من متابعته و إطاعته، بعد التحقق من نسبه القرشى- مهما كان جبارا و عاتيا، و ظالما و جانيا ...

هكذا زيّنت لهم شياطينهم، و ابتكرته لهم نفوسهم الماكره، و أهواؤهم الداعره، و سيلقون غدا جزاءهم الأوفى يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم.

البديل الاكثر نجاحا و الامثل:

أما البديل الذى كان أكثر نجاحا فى تحقيق ما يصبوا إليه الحكام، فقد كان هو:

(علوم أهل الكتاب).

و حيث إن هذا البديل قد كان أبعد أثرا، و أكثر انتشارا، فلا لا بد لنا من أن نورد بعض التفصيلات التى ربما تكون ضروريه لتكوين نظره واقعيه عن حقيقه ما جرى. فنقول:

نظره العرب الى أهل الكتاب:

إننا كتمهيد لما نريد أن نقوله نذكر: أن العرب قبل الإسلام كانوا صفر اليدين من العلوم و المعارف، كما هو ظاهر لا يخفى، و سيأتى التصريح به من أمير المؤمنين (عليه السّلام) و من غيره.

و كانوا يعتمدون فى معارفهم و لا سيما فيما يرتبط بالنبوات، و الأنبياء و تواريخهم، و تواريخ الأمم، على أهل الكتاب بصوره رئيسيه، و كانوا مبهورين بالأحبار و الرهبان بصوره قويه و ظاهره، و يعتبرونهم أهم مصدر

للمعرفه لهم. بل هم ينظرون إليهم نظر التلميذ إلى معلمه بكل ما لهذه الكلمه من معنى.

و قد رأينا: أن قريشا ترسل رسولا إلى أحبار يهود المدينه، للسؤال عن أمر النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، باعتبار أنهم أهل الكتاب الأول، و عندهم من علم الأنبياء ما ليس عند قريش (1).

و يقول ابن عباس: (إنما كان هذا الحى من الأنصار- و هم أهل وثن- مع هذا الحى من يهود- و هم أهل كتاب- و كانوا يرون لهم فضلا عليهم فى العلم؛ فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم) (2).

و سيأتى: أنهم كانوا يستشيرون أهل الكتاب فى أمر الدخول فى الإسلام، و يعملون بمشورتهم أيضا.

الإسلام يرفض هيمنه اهل الكتاب:

و قد حاول القرآن و نبى الإسلام تخليص العرب من هيمنه أهل الكتاب، بالإستناد إلى ما من شأنه أن يزعزع الثقه بما يقدمونه من معلومات، على اعتبار أنها لا تستند إلى أساس، بل هى محض افتراءات و مختلقات من عند أنفسهم. و هذا الأمر وحده يكفى لعدم الثقه بهم، و بكل ما يأتون به.ه.

1- سنن أبى داود ج 2 ص 249 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 261 و راجع: الإسرائيليات فى كتب التفسير ص 109 و راجع: الدر المنثور ج 2 ص 172 عن ابن إسحاق، و ابن جرير.
2- تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 71/ 72 و الإسرائيليات فى كتب التفسير ص 108 عنه.

فقد قال تعالی عنهم: إنهم يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ* (1).

و انهم: يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا (2).

و إنهم رغم أنهم يعرفون النبی صلی الله علیه و آله وسلم كما يعرفون أبناءهم، و يجدونه مكتوبا عندهم فی التوراه و الإنجيل، فإنهم ينكرون ذلک بالكليه، و ذلک حسدا من عند أنفسهم. كما يستفاد من بعض الآيات القرآنيه الشريفه.

و قد تحدّث اللّه سبحانه عن صفات اليهود، و مكرهم و غشهم، و غير ذلک ما من شأنه تقويض الثقه بهم، فی كثير من الآيات و المواضع القرآنيه. و استقصاء ذلک يحتاج إلی توفر تام، و جهد مستقل.

و من جانب آخر، فإننا نجد إصرارا أكيدا من الرسول الأكرم صلی الله علیه و آله وسلم علی إبعاد أصحابه عن الأخذ من أهل الكتاب، و عن سؤالهم عن شی ء من أمور الدين.

فنهی (صلی اللّه علیه و آله) عن قراءه كتب أهل الكتاب (3).

و قال لأصحابه: لا تسألوا أهل الكتاب عن شی ء، فإنهم لن يهدوكم، و قد أضلوا أنفسهم (4).ل-

---

1- النساء/ 46 و راجع أيضا: سوره البقر/ 75 و النساء/ 41 و المائده/ 13.
2- البقره/ 79.
3- أسد الغابه ج 1 ص 235.
4- المصنف للصنعانی ج 10 ص 312 و ج 6 ص 110 و فی 112 عن ابن مسعود و كذا فی ج 1 ص 213 و كشف الأستار ج 1 ص 79 و مجمع الزوائد ج 1 ص 174 و 173 و راجع: غريب الحديث لإبن سلام ج 4 ص 48 و فتح الباری ج 13 ص 281 عن أحمد و البزار و ابن أبی شيبه و حول كراهه النبی لهم أن يسألوا أهل-

و قد اتضح لكل أحد: أنه صلى الله عليه و آله وسلم كان يحب مخالفتهم فی كثير من الأشياء (1)، حتى قالت اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه (2).

و قد استأذنه عبد اللّه بن سلام بأن يقيم على السبت، و أن يقرأ من التوراه فی صلاته، فلم يأذن له (3). و سيأتی أنه لم يطع النبی صلى الله عليه و آله وسلم فی ذلک أيضا.

مدارس «ماسكه»:

و قد كان من المفروض: أن يستجيب المسلمون لإراده اللّه و رسوله هذه، لا سيما، مع التعليل و التوضيح الذی يذكره القرآن، و نبی الإسلام لهذا المنع، كقوله صلى الله عليه و آله وسلم : لن يهدوكم، و قد أضلوا أنفسهم، أو قوله: إنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، و غير ذلک.

و لكن الأمر الذی يثير عجبنا هو أننا نجد: أن بعض مشاهير الصحابه يستمر على التعلم من أهل الكتاب. و كان بعضهم- كالخليفه الثانی عمر بن الخطاب- يقصدهم إلى مدارسهم فی المدينه، و تسمى (ماسكه).0.

1- راجع: صحيح البخاری ج 2 ص 195 فی موضعين، و المصنف للصنعانی ج 11 ص 154 و ستأتی بقيه المصادر فی الجزء الثالث من هذا الكتاب حين الحديث حول صيام يوم عاشوراء.
2- سنن أبی داود ج 2 ص 250 و السيره الحلبيه ج 2 ص 15 و مسند أبی عوانه ج 1 ص 312 و المدخل لإبن الحاج ج 2 ص 48.
3- راجع: السيره الحلبيه ج 1 ص 230.

و كان هو أكثر الصحابه اتيانا لهم. و زعموا أنهم يحبونه لأجل ذلك (1).

الاصرار الى حد الاغتصاب:

و قد جاء عمر بن الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه و آله وسلم بترجمه للتوراه، و جعل يتلوها على النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و وجه النبى صلى الله عليه و آله وسلم يتمعّر- أى يتقبّض- و قال له رسول اللّه:

(أمهوّكون أنتم؟! لقد جئتكم بها نقيه بيضاء، و اللّه، لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعى) (2).2.

1- راجع حول ذلك: جامع بيان العلم ج 2 ص 123/ 124 و كنز العمال عن كلامه و عن الشعبى و عن قتاده و السدى ج 2 ص 228 و الدر المنثور ج 1 ص 90 عن ابن جرير، و مصنف ابن أبى شيبه، و مسند إسحاق بن راهويه، و ابن أبى حاتم. و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص 107 و 108. و كون اسم مدارس اليهود (فاشله) مذكور فى مصادر أخرى.

2- للحديث ألفاظ مختلفه و له مصادر كثيره، فراجع على سبيل المثال: المصنف للصنعانى ج 10 ص 113 و ج 6 ص 112 و ج 11 ص 111 و تقييد العلم ص 52 و فى هامشه عن مصادر أخرى و جامع بيان العلم ج 2 ص 52/ 53 و راجع ص 50 و الفائق ج 4 ص 116 و مسند أحمد ج 3 ص 387 و 470/ 471 و ج 4 ص 266 و غريب الحديث ج 4 ص 48/ 49 و ج 3 ص 28 و 29 و البدايه و النهايه ج 2 ص 133 و قال: تفرد به أحمد و إسناده على شرط مسلم و لسان الميزان ج 2 ص 408 و كنز العمال ج 1 ص 233 و 234 عن عده مصادر و البحار ج 73 ص 347 و ج 2 ص 99 ط مؤسسه الوفاء، و الدعوات للراوندى ص 170 و أسد الغابه ج 3 ص 126/ 127 و ج 1 ص 235 و النهايه فى اللغه ج 5 ص 282 و ميزان الإعتدال ج 1 ص 666 و مجمع الزوائد ج 1 ص 182 و 174 و 173 و سنن الدارمى ج 1 ص 115 و 116 و المقدمه لإبن خلدون ص 436 و الضعفاء الكبير ج 2 ص 21 و صفه الصفوه ج 1 ص 184 و اليهود و اليهوديه ص 14 و السيره الحلبيه ج 1 ص 230 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 229 و راجع: كشف الأستار ج 1 ص 79 و فتح البارى ج 13 ص 281 عن أحمد، و ابن أبى شيبه، و البزار و الإسرائيليات فى كتب التفسير ص 86 و أضواء على السنه

المحمديه ص 162 و القصاص و المذكرين ص 10 و أصول السرخسى ج 2 ص 102.

و هكذا فعلت حفصه- حسبما يروى- مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، و هكذا أيضا كان موقفه صلى الله عليه و آله وسلم منها (1).

و لم يكتف صلى الله عليه و آله وسلم بالقول و بالتغيّظ على من يأخذ من أهل الكتاب، بل باشر إتلاف ما كتبوه عنهم بنفسه.

فقد روى أن عمر بن الخطاب جاء إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم بشى ء كتبه عن أحد اليهود، فجعل صلى الله عليه و آله وسلم ، يتتبعه رسما رسما، يمحوه بريقه، و هو يقول:

(لا تتبعوا هؤلاء؛ فإنهم قد هوكوا و تهوكوا، حتى محا آخره حرفا حرفا) (2).

كل ذلک لم ينفع:

و لكن ما يؤسف له هو أنه رغم صراحه القرآن، و رغم جهود النبى صلى الله عليه و آله وسلم لمنع الناس من الأخذ من أهل الكتاب، فقد استمر كثيرون على الأخذ عنهم. و التلمّذ على أيدى من أظهر الإسلام منهم، كما سنشير إليه ان شاء اللّه تعالى. و قد شجعتهم السلطات على روايه أساطيرهم بأساليب و طرق مختلفه. كما سنرى.

عود على بدء:

و بعد ما تقدم نقول: إنهم حين منعوا الناس من السؤال عن معانى4.

1- المصنف للصنعانى ج 11 ص 110 و ج 6 ص 113 و 114.
2- حليه الأولياء ج 5 ص 136 و كنز العمال ج 1 ص 334.

القرآن، و روايه حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و كتابته، و واجهتهم مشكله إيجاد البديل، و رأوا: أن الحل الأفضل هو توجيه الناس إلى ما عند أهل الكتاب، فإن ذلك ينسجم مع الخلفيات التى كانت لدى الكثيرين، و يدفع الآخرين للتعرف على ما عند هؤلاء الناس من عجائب و غرائب، ثم هو يخفف من حده الضغوطات التى يتعرضون لها فيما يرتبط باهتمام الناس بالمعارف الدينيه.

و تبقى مشكله الفتوى، و هى مشكله سهله الحل، و قد وجدوا لها التدبير المناسب و المعقول بنظرهم، كما سنرى.

أما كيف وجهوا الناس نحو علوم أهل الكتاب، فذلك هو الأمر المهم و الحساس، الذى لا بد لنا هنا من الإشاره إلى بعض فصوله و شواهده، فنقول:

المرسوم العام:

لقد كان لا بد لهم بادى ء ذى بدء من إعطاء روايه الإسرائيليات جوازا شرعيا، مستندا إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، ليقبله الناس، و ليكون حجه على من يريد أن يعترض، فكان أن أصدروا مرسوما عاما، منسوبا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يقول:

(حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج).

كما رواه عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و أبو هريره، و أبو سعيد الخدرى (1).4.

1- راجع: صحيح البخارى ج 2 ص 165 ط سنه 1309 ه. و المصنف للصنعانى ج 6 ص 109 و 110 و ج 10 ص 310 و 311 و 312 و هوامشه و الجامع الصحيح ج 5 ص 40 و سنن أبى داود ج 3 ص 322 و سنن الدارمى ج 1 ص 136 و مسند أحمد ج 3 ص 46 و 13 و 56 و ج 2 ص 214 و 159 و 202 و 474 و 502 و مشكل الآثار ج 1 ص 40 و 41 و ذكر أخبار أصبهان ج 1 ص 149 و كشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 109 و الأسرار المرفوعه ص 9 و المجروحون ج 1 ص 6 و مجمع الزوائد ج 1 ص 151 و المعجم الصغير ج 1 ص 166 و كنز العمال ج 10 ص 129 و

135 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 224 و 225 و 226 و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص 90 و 91 و 92 و 100 و 103 و 105 و تفسير القرآن العظيم ج 1 ص 4 و 221 و البدايه و النهايه ج 1 ص 6 و ج 2 ص 132 و 133 و تقييد العلم ص 30 و 31 و 34 و شرف أصحاب الحديث ص 15 و 14.

و بذلک یکونون قد سمحوا لأهل الکتاب بأن ینشروا أساطیرهم، و یشیعوا أباطیلهم، و ذلک بصوره شرعیه، و رسمیه، و لا یمکن الإعتراض علیها، لا سیما، و أنهم قد دعموا ذلک بمزاعم أخری من قبیل ما زعموه من أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم کان یحدثهم عن بنی إسرائیل عامه لیله، حتی یصبح (1).

و قولهم: إنه صلی الله علیه و آله وسلم قد أمر عبد اللّه بن سلام بقراءه القرآن و التوراه، هذا لیله هو، و هذا لیله (2).

اصل الحدیث:

و الظاهر هو أن حدیث: حدثوا عن بنی إسرائیل و لا حرج، لیس کذبا کله، بل هو- فیما نظن- تحریف للکلمه المأثوره عن رسول4.

1- راجع: سنن أبی داود ج 3 ص 322 و مجمع الزوائد ج 1 ص 191 و ج 8 ص 264 و مشکل الآثار ج 1 ص 41 و مسند أحمد ج 4 ص 444 و ص 437 و البدایه و النهایه ج 2 ص 132 و 133 و التراتیب الإداریه ج 2 ص 238 و 345 عن أبی داود و ابن خزیمه، و أحمد، و الطبرانی، و الهیثمی.
2- راجع: ذکر أخبار أصبهان ج 1 ص 84.

اللّه صلى الله عليه و آله وسلم :

حدثوا عنى و لا حرج، و من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

حسبما رواه أبو هريره !! و أبو سعيد الخدرى، و أنس ... (1).

و الأولان بالإضافه إلى ابن عمرو بن العاص هم الذين ينسب إليهم ذلك الحديث المحرف. إلا أن يكون المراد من الحديث: حدثوا بما حدثكم به من مخازى و إنحرافات بنى اسرائيل و لا حرج، و يكون هؤلاء الناس قد اساؤا فهم هذا الحديث، و استفادوا منه لتنفيذ سياساتهم و مآربهم.

خطوه اخرى على الطريق:

و بعد هذا التمهيد، فقد كان من الطبيعى أن نتوقع منهم التقدم خطوه أخرى باتجاه إعطاء إمتيازات لأهل الكتاب، فقد سمح الخليفه الثانى لكعب الأحبار بأن يقرأ التوراه آناء الليل و النهار (2).

افتراض لا يجدى:

و نريد أن نفترض مسبقا، و قبل الدخول فى تفاصيل القضايا: أن6.

1- كنز العمال ج 10 ص 128 و 135 و 136 عن أحمد و مسلم، و أبى داود، و ابن عساكر، و صحيح مسلم ج 8 ص 229 المصنف للصنعانى ج 11 ص 260 و تقييد العلم ص 31 و 33 و 34 و 35 و 78.
2- راجع: غريب الحديث ج 4 ص 262 و جامع بيان العلم ج 2 ص 53 و الفصل فى الملل و الأهواء و النحل ج 1 ص 217 و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص 96 و الفائق للزمخشرى ج 2 ص 236.

حدیث: (حدثوا عن بنی إسرائیل و لا حرج)، قد قاله رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم حقیقه، و بلا ریب.

و لکن هذا الافتراض لا یجدی، و لا یثبت به الرخصه بالأخذ عن أهل الکتاب، و الرکون إلیهم، و روایه أباطیلهم، و أساطیرهم.

إذ أن هذا التعبیر إنما یفید جواز نقل ما وصل إلیهم من أخبار بنی إسرائیل الثابته و المعلوم صحتها، مما أخبرهم اللّه و نبیه به. حیث کانوا یتوهمون عدم جواز روایتها و تداولها، فورد الترخیص لهم بذلک.

لا أن یأخذوا عن علماء أهل الکتاب ما یصّدرونه لهم من غثّ و سمین، و صحیح و سقیم.

شیوع الاخذ عن اهل الکتاب:

و مهما یکن من أمر، فإن الناس کانوا یأخذون من کعب الأحبار، الذی کان یحدثهم عن الکتب الإسرائیلیه (1) و عن وهب بن منبه، و عبد اللّه بن سلام، و غیرهم من علماء و أحبار أهل الکتاب، الذین أظهروا الإسلام.

قال الکتّانی: (و أخذ کثیر من علیّه الصحابه عن کعب الحبر معروف) (2).

و لکی لا نکون قد أهملنا الإشاره إلی بعض هؤلاء الذین أخذوا عن أهل الکتاب، فإننا نکتفی بتقدیم نموذج بسیط جدا من أسماء هؤلاء، مع إلماحه فی الهامش إلی نموذج من المصادر أیضا، التی نجد فیها ما یؤید7.

1- راجع: سیر أعلام النبلاء ج 3 ص 489 و البدایه و النهایه ج 1 ص 18.
2- التراتیب الإداریه ج 2 ص 327.

أخذ من ذكرنا أسماءهم عن علماء اليهود و النصارى.

فراجع ما يؤثر فى هذا المجال عن: أبى برده بن أبى موسى الأشعرى، و أبى هريره، و عمر بن الخطاب، و ابنه عبد اللّه بن عمر، و عبد اللّه بن الزبير، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و عطاء بن يسار، و عوف بن مالک، و سعيد بن المسيّب، و زراره بن أوفى، و روح بن نباغ، و عطاء بن يزيد، و شهر بن حوشب، و عبد اللّه بن وهب، و عبد اللّه بن مغفل، و عبد اللّه بن الحرث، و أنس، و عبد اللّه بن حنضله، و أبى الدرداء، و مقاتل بن سليمان، بل لقد نسب ذلک إلى ابن عباس أيضا (1).

هذا إلى جانب عشرات بل مئات آخرين، فراجع تراجم علماء أهل الكتاب، و انظر من روى عنهم ليتضح لک ذلک بصوره جليه (2).ک.

1- راجع فى ذلک كلا أو بعضا: الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص 110 و 117 و 160 و 161 و 126 و 154 و 168 و فجر الإسلام ص 201 و 160 و أضواء على السنه المحمديه ص 110 و 125/ 126 و 172 و 173، و دائره المعارف الإسلاميه ج 1 ص 20 و ج 11 ص 582/ 583 و تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 17 و تهذيب التهذيب ج 8 ص 439 و ج 1 ص 511/ 512 و جامع البيان ج 17 ص 10 و مجله المنار، الجزء الأول، المجلد 26 ص 615 و 783، و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالک) ج 1 ص 131/ 132 و منحه المعبود ج 1 ص 140 و الزهد و الرقائق ص 434 و 534 و ربيع الأبرار ج 1 ص 559 و السيره الحلبيه ج 1 ص 217 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 326 و 327 إختصار علوم الحديث (مع الباعث الحثيث) ص 196 و ميزان الإعتدال ج 4 ص 173 ترجمه مقاتل.
2- راجع تراجمهم فى تهذيب التهذيب للعسقلانى، و سير أعلام النبلاء للذهبى، و ميزان الإعتدال، و لسان الميزان، و تهذيب الكمال، و غير ذلک.

الإرجاعات الصريحه:

و قد كان بعض الصحابه المتأثرون بأهل الكتاب يوصون بأخذ العلم عنهم. فقد روى: أنه حينما حضرت معاذا الوفاه أوصاهم: أن يلتمسوا العلم عند أربعه و هم: سلمان، و ابن مسعود، و أبو الدرداء، و عبد اللّه بن سلام، الذى كان يهوديا فأسلم (1).

و أوضح من ذلك و أصرح ما روى من أن رجلا سأل إبن عمر عن مسأله، و عنده رجل من اليهود، يقال له: يوسف، فقال: سل يوسف، فإن اللّه يقول: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ*.

زاملتا عبد اللّه بن عمرو بن العاص:

و فى سياق الحديث عن الأخذ عن أهل الكتاب بعد أن ترخّص الناس بذلك، و بدأ أحبارهم و علماؤهم فى نشر أساطيرهم بجد و نشاط، نلاحظ: أن بعض الصحابه يكاد يكون متخصصا فى النقل عنهم، و فى نشر أباطيلهم و أساطيرهم.

فها نحن نجد: أن كل من يتحدث عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص لا بد أن يضع فى حسابه: أن يذكر الزاملتين اللتين يدّعى ابن عمرو: أنه قد وجدهما فى حرب اليرموك مملوءتين كتبا من علوم أهل الكتاب، فكان يحدّث عنهما بأشياء كثيره من الإسرائيليات (2).2.

1- راجع: التراتيب الإداريه ج 2 ص 326 و تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 205. الإيضاح ص 456.

2- راجع: البدايه و النهايه ج 1 ص 24 و تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 102 عن مسند أحمد، و عن فتح البارى. و تذكره الحفاظ ج 3 ص 42 و الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص 111 و 146 و 147 و 153 و 207 و 91 و 92.

و قد قرر بعض المؤلفين (1): أن ابن عمرو إنما اعتمد فی الرخصه بذلک علی ذلک المرسوم العام، الذی أشرنا إلیه فیما سبق، و هو:

حدثوا عن بنی إسرائیل و لا حرج.

مع أنه قد تقدم: أن الحدیث- لو صح- فالمقصود به روایه الحدیث الثابت صحته، و المأخوذ من النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، لا من علماء بنی إسرائیل.

بالإضافه إلی احتمال آخر ذکرناه هناک.

لماذا کثره تلامذه کعب الأحبار:

إن من یراجع کتب تراجم الصحابه و التابعین یجد الکثیر من الروایات رواها رواتها عن خصوص کعب الأحبار، و لو بالواسطه، الأمر الذی یشیر إلی کثره تلامذه هذا الرجل، و شده اهتمام فریق من الناس بالأخذ عنه.

و لعل سبب ذلک هو تلک الثقه الکبیره التی أولاه إیاها الخلیفه الثانی، عمر بن الخطاب، کما یعلم من مراجعه کتب الحدیث و التاریخ و التراجم. و قد قرضه الخلیفه أکثر من مره، و من ذلک أنه حینما تزلف له کعب بما راق له، قال:

(... و من قوم موسی أمه یهدون بالحق و به یعدلون) (2).

ثم جاء معاویه بن أبی سفیان لیظهر المزید من الإهتمام بکعب، و لیمنحه المزید من الأوسمه، و کلماته فیه و تقریظاته له معروفه4.

1- الإسرائیلیات و أثرها فی کتب التفسیر ص 111 و 153 و راجع ص 91 و 92.
2- لباب الآداب ص 234.

و مشهوره [(1)](#).

هذا بالإضافه إلى تأثير ذلک المرسوم العام فی ترغیب الناس بما عند أهل الکتاب، حسبما تقدم.

ابو هریره یروی عن کعب:

و قد أفاد کعب من هذه التقریظات، و استخدمها فی جلب المزید من التلامذه إلی حظیرته، و بدأ ینشر علی تلامذته ما شاءت له قریحته، ودعته إلیه أهدافه.

و ترخص الناس فی الروایه عنه، حتی کان أبو هریره یروی عن کعب، کما یروی عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و قد روی حدیثا فی خلق السماوات و الأرض حکموا علیه بأن أبا هریره إنما تلقاه عن کعب [(2)](#).

و یقول بشیر بن سعد- کما روی عنه-: (إتقوا اللّه و تحفّظوا من الحدیث، فو اللّه، لقد رأیتنا نجالس أبا هریره، فیحدث عن رسول اللّه، و یحدثنا عن کعب، ثم یقوم فأسمع بعض من کان معنا یجعل حدیث رسول اللّه عن کعب، و یجعل حدیث کعب عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم) [(3)](#).

فتری: أن أبا هریره یجعل حدیثه عن کعب، إلی جانب حدیثه عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم . و لا یجد غضاضه فی أن یحدث فی مجالسه عنهما معا!!ر.

1- راجع علی سبیل المثال: الإصابه، و التراتیب الإداریه ج 2 ص 426 عن الجاسوس ص 502.
2- راجع: البدایه و النهایه ج 1 ص 17.
3- راجع: البدایه و النهایه ج 8 ص 109 و سیر أعلام النبلاء ج 2 ص 606 و فی هامشه عن تاریخ ابن عساکر ج 19 ص 121 و الإسرائیلیات و أثرها فی کتب التفسیر.

و هذا، ربما يكون السبب فی صدور الإجازه له بالتحديث بعد أن كان ممنوعا من ذلک.

كعب الاحبار حكما:

و سرعان ما أصبح كعب الأحبار شخصيه مرموقه، يحتكم إليها حتى خليفه المسلمين، ليجد عندها الجواب الكافی و الشافی، و الحكم العادل و الفاصل فقد روى المفسرون: أن خلافا وقع بين معاويه و ابن عباس فی قراءه جمله: (عين حمئه). كما يقول ابن عباس. أو: (حاميه) كما يقول معاويه: فاتفقا على تحكيم كعب الأحبار؛ فسألاه: كيف تجد الشمس فی التوراه؟!

فقال: فی طينه سوداء.

فوافق جوابه كلام ابن عباس (1).

و لا ندرى كيف صار كلام كعب دليلا على صحه الآيه القرآنيه بهذا النحو أو بذاک؟.

و من الذى قال: إن كعب الأحبار لم يكن مسبوق الذهن بالآيه القرآنيه، فجاء بنص ينسجم معها حذرا من المواجهه مع صحابه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم لو أنه جاء بما يخالف القرآن.

و يلاحظ: أن معاويه- كما ذكرته روايه فی الدر المنثور- قد أرسل أولا إلى عبد اللّه بن عمرو بن العاص، فوافق معاويه. ثم سأل كعب الأحبار، فأجابه بما وافق ابن عباس (2).م.

1- راجع: تفسير القرآن العظيم ج 3 ص 102 و راجع: الدر المنثور ج 4 ص 248 عن عبد الرزاق، و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن أبى حاتم.
2- راجع: الدر المنثور ج 4 ص 248 عن عبد الرزاق و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم.

و فی نص آخر: أن المخالفه کانت بین ابن عباس، و عمرو بن العاص [(1)].

مع أن ابن عمرو یأخذ من کتب أهل الکتاب، کما کان یأخذ کعب.

برده کعب:

و قد بلغ مقام کعب عند معاویه مبلغا عظیما، جعله یصرّ علیه هو شخصیا بأن یتولی مهمه القصص، کما أسلفنا.

بل لقد صار هذا الرجل من مواضع البرکه لهم، حتی لیقول الکتانی:

(تغالی معاویه فی برده کعب معروف) [(2)].

رشوات کعب:

اشاره

و قد کان کعب یعرف کیف یهیمن علی عقول الناس، و ینال ثقتهم، و یکتسب تأییدهم. و کان أیضا من أعرف الناس بمفاتیح قلوبهم، و کیف؟

و متی؟ و بأیه صوره یوزع الرشاوی علی أتباعه، و المعجبین به، لیحتفظ بولائهم، و حبهم، و ثقتهم إلی أبعد مدی.

و قد تحدثنا عن بعض من ذلک فیما سبق، حین الحدیث عن کید و تهویلات أهل الکتاب. و نشیر هنا إلی بعض آخر من ذلک أیضا، فنقول:

ألف: کعب و خلافه علی «علیه السّلام»:

لقد کان کعب الأحبار علی علم بالتوجهات العامه لسیاسات الحکم.6

1- الدر المنثور ج 4 ص 248 عن سعید بن منصور و ابن المنذر.
2- التراتیب الإداریه ج 2 ص 446.

تجاه على (عليه السّلام) و أهل بيته، و لم يكن ليخفى عليه: أن ثمه خطه لإبعادهم عن الخلافه و إبعادها عنهم بمختلف الأساليب.

و على هذا الأساس نلاحظ: أنه حين استشار عمر كعبا فى أمر الخلافه، و طرح له أسماء المرشحين لها، فلما انتهى إلى اسم على (عليه السلام)، نرى كعبا يرفض أن يكون لعلى (عليه السلام) نصيب فيها، بشده و قوه (1).

و ما ذلک إلا لأنه كان على علم بالسياسات الخفيه فى هذا الإتجاه، و كان يعلم أيضا: أن رفضه هذا كان يروق للخليفه، و ينسجم مع تطلعاته و تدبيراته، و طموحاته المستقبليه.

ب: لقب الفاروق:

و بالنسبه لعمر نفسه، فإننا نجد أهل الكتاب يتزلفون له بطريقه أخرى أيضا، و ذلک حينما منحوه لقب (الفاروق) الذى كان يعجبه و يروق له.

يقول النص التاريخى: (بلغنا: أن أهل الكتاب أول من قال لعمر:

(الفاروق). و كان المسلمون يأثرون ذلک من قولهم. و لم يبلغنا: أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ذكر من ذلک شيئا) (2).

و ربما يظهر من روايه الطبرى: أن الذى سماه بذلک هو كعب).

1- شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 12 ص 81.
2- الطبقات الكبرى لإبن سعد ج 3 قسم 1 ص 193 و تاريخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزى ص 30 و البدايه و النهايه ج 7 ص 133 و تاريخ الأمم و الملوک ط الإستقامه ج 3 ص 267 حوادث سنه 23 و راجع: ذيل المذيل (مطبوع فى آخر تاريخ الطبرى).

الأحبار نفسه (1).

و واضح: أن منح هذا اللقب للخليفه قد يكون رشوه، و قد يكون مكافأه له على إفساحه المجال لأهل الكتاب لنشر ترهاتهم و أباطيلهم فی المسلمین بعد أن حرم المسلمون من حدیث نبیهم روایه و کتابه، و من قرآنهم أیضا، حسبما ألمحنا إلیه.

ج: کعب یقرّض أبا هریره:

و مما یدخل فی هذا السیاق ما قاله کعب الأحبار، و هو یقرّض أبا هریره:

(ما رأیت أحدا لم یقرأ التوراه أعلم بما فیها من أبی هریره) (2).

و لا ندری من أین حصل أبو هریره علی علوم التوراه، و کیف عرف ما فیها دون أن یقرأها. و هل یمکن أن یوجد شخص غیر هذا الرجل یستطیع أن ینال علم شی ء دون أن یطلع علیه، و یعرف ما فیه؟!.

د: محاوله رشوه ابن عباس:

قالوا: کان ابن عباس یقرأ: (فی عین حمئه) فقال کعب: ما سمعت أحدا یقرؤها کما هی فی کتاب اللّه غیر ابن عباس؛ فإننا نجدها فی التوراه: فی حمئه سوداء (3).

و قد تقدم ما یدل علی أن عبد اللّه بن عمرو بن العاص قد ذکر: أنهم.

1- تاریخ الأمم و الملوک ج 3 ص 267.
2- التراتیب الإداریه ج 2 ص 228 و تذکره الحفاظ للذهبی ج 1 ص 36 و سیر أعلام النبلاء ج 2 ص 600 و السنه قبل التدوین ص 433 عن الإصابه ج 7 ص 205.
3- الدر المنثور ج 4 ص 248 عن سعید بن منصور، و ابن المنذر و ابن أبی حاتم.

یوجد فی التوراه نص آخر یختلف عما ذکره کعب الأحبار، فراجع ما ذکرناه تحت عنوان: (کعب الأحبار حکما).

و مهما یکن من أمر فإننا نقول: إن کعبا یرید بکلامه هذا مع ابن عباس: أن یرمی عصفورین بحجر واحد.

فهو من جهه یقدم رشوه إلی ابن عباس، لیکتسب حبه و ثقته، و إعجابه برجل عنده علم التوراه.

و من جهه ثانیه یکون قد کرّس فی أذهان الناس: أن هذه التوراه التی بین أیدیهم هی الکتاب المنزل علی موسی، و لیست محرفه، کما یزعمون، و علی هذا الأساس، فلا بد من تعظیمها، و الإستفاده مما فیها من علوم، و معارف.

ه: کعب یقرّض ابن عمرو بن العاص:

و أما عن تقریظات کعب لعبد اللّه بن عمرو بن العاص، فقد روی عن عبد اللّه بن السلمانی قوله: (إلتقی کعب الأحبار، و عبد اللّه بن عمرو.

فقال کعب: أتطّیر؟!

قال: نعم.

قال: فما تقول:

قال: أقول: اللهم لا طیر إلا طیرک، و لا خیر إلا خیرک، و لا رب غیرک، و لا حول و لا قوه إلا بک.

فقال: أنت أفقه العرب؛ إنها لمکتوبه فی التوراه کما قلت) (1).

و حسبنا ما ذکرناه، فإن المقصود هو الإلماح و الإشاره لا الإستقصاء.ر.

1- الطبقات الکبری لإبن سعد ج 4 ص 268 ط صادر.

سحره بنى اسرائيل يركزون على التوراه:

و إذا رجعنا إلى كتب التاريخ و الحديث فسوف نجد: أن علماء أهل الكتاب كانوا يمارسون على الناس طريقه الإرهاب الفكرى، حيث يظهرون لهم: أنهم يعرفون كل شى ء، لأن التوراه مكتوب فيها كل شى ء، حتى الأرض شبرا شبرا.

قال كعب الأحبار لقيس بن خرشه لاعتراضه عليه، حين أخبره بما يجرى على أرض صفين:

(ما من الأرض شبر إلا مكتوب فى التوراه، الذى أنزل اللّه على موسى، ما يكون عليه، و ما يخرج منه إلى يوم القيامه) (1).

و فى نص آخر قال: (ما من شى ء إلا و هو مكتوب فى التوراه) (2).

و نقول:

إن التوراه التى تحوى كل هذه التفاصيل لا بد أن تكون مئات بل آلاف المجلدات. و لو صح أن توراه موسى كان فيها كل ذلک، فمن الذى يضمن أن تكون التوراه الحاضره هى نفس تلک، و نحن نرى: أنها تفقد كل ذلک الذى يدعون أنه يوجد فيها.

و مهما يكن من أمر، فقد أنشد الحطيئه بيتا من الشعر، فادّعى كعب الأحبار فورا: أنه مكتوب فى التوراه. (3)9.

1- دلائل النبوه للبيهقى ج 6 ص 476 و الدر المنثور للسيوطى ج 3 ص 125 عنه و عن الطبرانى.
2- بحوث مع أهل السنه و السلفيه ص 82 عن أضواء على السنه المحمديه ص 140.
3- المحاسن و المساوى ج 1 ص 199.

و دعوی کعب وجود کثیر مما یتفق أمامه: أنه مذکور فی التوراه بهدف کسب ثقه الناس بعلمه و بمعارفه، و رفع شأن التوراه فی أعینهم، کثیر لا مجال لتتبعه هنا. (1)

تعظیم و تقدیس التوراه:

و من أسالیبهم التی ترمی إلی جعل الناس یقدسون توراتهم المحرفه التی یتداولونها، ما زعموه من أن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) قد قام للتوراه (2).

ثم جاء الحکم بحرمه مس التوراه و الإنجیل للجنب (3).

و کان أبو الجلد الجونی یقرأ القرآن کل سبعه، و یختم التوراه فی سته أیام نظرا؛ فإذا کان یوم ختمها حشد إلی ذلک ناسا. و کان یقول: کان یقال: تنزل عند ختمها الرحمه (4).

کما أن وهب بن منبه قد أجاز النظر فی التوراه و کتابتها (5).

و کانوا یستشهدون لبعض القضایا التاریخیه بأنها قد وردت فیر.

1- راجع علی سبیل المثال: تاریخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزی ص 246 و بهجه المجالس ج 1 ص 368. و الإسرائیلیات و أثرها فی کتب التفسیر و الحدیث ص 95 عن مسند أحمد.
2- راجع: التراتیب الإداریه ج 2 ص 230 عن شرح المنهاج لإبن حجر الهیثمی و غیره.
3- التراتیب الإداریه ج 2 ص 231.
4- الطبقات الکبری لإبن سعد ج 7 ص 161 و التراتیب الإداریه ج 2 ص 228/ 229.
5- التراتیب الإداریه ج 2 ص 288 عن ابن حجر.

التوراه، و من أمثله ذلک: أن ابن دحيه قد کذب الروايه التى تقول: إن هارون مدفون فى أحد؛ لأنه قدم هو و أخوه موسى إلى الحج أو العمره، فمات هناک، فواراه أخوه موسى فيه.

قال ابن دحيه: (هذا باطل بيقين، و إن نص التوراه: أنه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام (1).

اصرار مسلمه اهل الکتاب على العمل بالتوراه:

و تشير النصوص التى بين أيدينا إلى أن الذين أسلموا من أهل الکتاب قد استمروا على تعظيم توراتهم و على العمل ببعض ما فيها- کما ذکره المفسرون لآيه- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ کَافَّةً (2).

و قد روى أن عبد اللّه بن سلام، و ثعلبه، و ابن يامين، و أسد، و أسيد بنى کعب، و سعيد بن عمرو، و قيس بن زيد. و کلهم من يهود. جاؤا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فقالوا: يا رسول اللّه، يوم السبت کنا نعظمه، فدعنا فلنسبت فيه. و إن التوراه کتاب اللّه، فدعنا فلنقم بها بالليل. فنزلت الآيه (3): يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ کَافَّةً

و فى نص آخر: (أن ابن سلام و غيره ممن أسلم من يهود استمروا على تعظيم السبت، و کراهه أکل لحم الإبل، و شرب لبانها؛ فأنکر ذلک عليهم المسلمون. فقالوا: إن التوراه کتاب اللّه، فنعمل به أيضا، فأنزل اللّه تعالى: يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم کافه (4).5.

1- السيره الحلبيه ج 2 ص 216.
2- الدر المنثور ج 1 ص 241 عن ابن أبى حاتم.
3- الدر المنثور ج 1 ص 241 عن ابن جرير.
4- السيره الحلبيه ج 2 ص 115.

ص: 117

و تقدم أن الخليفه الثانى قد سمح لكعب الأحبار بأن يقرأ التوراه آناء الليل و أطراف النهار.

الفصل الرابع: القصاصون يثقفون الناس رسميا:

اشاره

القصص الحق:

إنه لا ريب فى أن القصص حينما يكون حقا، و فى خدمه الحق، و وسيله لتوعيه الناس، و تعريفهم بواجباتهم، فإنه يكون حينئذ محبوبا و مطلوبا للّه تعالى، و قد قال عز من قائل:

إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُ (1).

و حينما طلب الصحابه من النبى صلى الله عليه و آله وسلم أن يقص عليهم، نزل قوله تعالى:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْکَ هذَا الْقُرْآنَ، وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ (2). الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج 1 121 القصص الحق: ..... ص : 121

روى أن سعد الإسكاف قال لأبى جعفر: إنى أجلس فأقص؛ و أذكر حقكم و فضلكم !8.

1- سوره آل عمران/ 62.
2- سوره يوسف/ 3. و راجع: جامع البيان ج 12 ص 90 و الدر المنثور ج 4 ص 3 و الجامع لأحكام القرآن ج 9 ص 118 و راجع ج 15 ص 248.

قال: وددت أن على كل ثلاثين ذراعا قاصا مثلك [(1)].

و كان أبان بن تغلب (قاص الشيعه) [(2)].

و كان عدى بن ثابت الكوفى المتوفى سنه 116 ه. إمام مسجد الشيعه وقاصهم [(3)].

هذا هو رأى الإسلام، و صريح القرآن، و نهج أهل بيت النبوه، و معدن الرساله و موقفهم.

و لكن الأمر بالنسبه لسياسات الآخرين، و أهدافهم من هذا الأمر، لم يكن بهذه البساطه، بل هو يختلف تماما مع هذا الذى ذكرناه بصوره حقيقيه و أساسيه، و لتوضيح ذلک نقول:

الطريقه الذكيه:

سبق أن قلنا: إنه قد كان لا بد للحكم من إشغال العامه، و مل ء الفراغ الروحى و النفسى الذى نشأ عن إبعاد العلماء الحقيقيين عن التعاطى مع الناس، و تثقيفهم و تربيتهم.

و بعد أن استقر الرأى على إعطاء دور رائد لأهل الكتاب فى هذا المجال، فقد اتجه الحكام نحو استحداث طريقه جديده، من شأنها أن تشغل الناس، و تملأ فراغهم، و توجد حاله من الطمأنينه لديهم، مع ما تقدمه لهم من لذه موهومه، و لكنها محببه. مع الإطمئنان إلى أن هذه9.

1- راجع: إختيار معرفه الرجال ص 214/ 215 و جامع الرواه ج 1 ص 353 و تنقيح المقال ج 2 ص 12 و منتهى المقال ص 144 و نقد الرجال ص 148 و قاموس الرجال ج 4 ص 324 و معجم رجال الحديث ج 8 ص 68/ 69.
2- معرفه علوم الحديث ص 136.
3- تاريخ الإسلام للذهبى (حوادث سنه 100- 120 ه) ص 418 و 419.

الطريقه لا تؤدى إلى إحراج الحكام فى شى ء، بطرح أى من الأمور الحساسه، التى لا يريدون التعرض لها، أو المساس بها.

و هذه الطريقه هى السماح بالقصص لمسلمه أهل الكتاب، من الأحبار و الرهبان، حيث ينشرون فى الناس ما شاؤوا من أساطير و ترّهات، و يذهبون بأوهام الناس و خيالاتهم فى آفاق الخواء و الهباء، ثم يقذفون بها فى أقبيه الأحلام الصفيقه، أو فى أغوار النسيان العميقه و السحيقه.

و أهل الكتاب هم أجدر و أبرع من تصدى لهذا الأمر، و أولى من حقق الغايه المنشوده، لأن العرب كانوا إلى عهد قريب يحترمونهم، و يثقون بهم و بعلمهم، و لم يستطع الإسلام- رغم ما قام به من جهود- أن ينتزع هذه النظره التى لا تستند إلى أساس موضوعى من النفوس المريضه أو الضعيفه.

و قد قام أحبار أهل الكتاب بالمهمه التى أوكلت إليهم خير قيام، و حققوا كل أهداف الحكم و الحاكمين، و أهدافا أخرى كانوا هم أنفسهم يسعون إليها، و يعملون ليل نهار فى سبيل الوصول و الحصول عليها. و إذا كانوا فى السابق يعملون فى السر و الخفاء، فها هم اليوم يمارسون نشاطهم جهرا و بطلب من الحكم القائم بالذات.

اعطاء الشرعيه:

و قد مارسوا نشاطهم و دورهم هذا فى ظل قرار رسمى حكومى، يقضى باحتلال أهل الكتاب للمساجد، و أولها مسجد الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) فى المدينه، ليشغلوا الناس بما يقصونه عليهم من حكايا بنى إسرائيل، و أى شى ء آخر يروق لهم، و يخدم الأهداف التى يعملون من أجلها و فى سبيلها.

و كان تميم الدارى، الذى هو فى نظر عمر بن الخطاب خير أهل

المدينه (1) قد طلب من الخليفه الثانى أن يقص، فسمح له، فكان يقص فى مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كل جمعه. فاستزاده يوما آخر فزاده. فلما تولى عثمان زاده يوما آخر أيضا (2).

و كان عمر بن الخطاب يجلس إليه بنفسه، و يستمع إلى قصصه (3).

و يقول البعض: إن تميما إنما أخذ ذلک من اليهود و النصارى (4) مع أن تميما کان فى بادى ء الأمر نصرانيا!!

و قيل: إن أول من قص هو عبيد بن عمير. و ذلک على عهد الخليفه الثانى عمر بن الخطاب (5).ل-

---

1- الإصابه ج 1 ص 215.
2- راجع: المصنف للصنعانى ج 3 ص 219 و تاريخ المدينه لإبن شبه ج 1 ص 11 و 12 و راجع ص 10 و 15 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 446 و تهذيب تاريخ دمشق ج 3 ص 360 و راجع: الخطط للمقريزى ج 2 ص 253. و حول أن عمر قد أمر تميما الدارى بأن يقصّ، و أنه أول من قصّ راجع: الزهد و الرقائق ص 508 و صفه الصفوه ج 1 ص 737 و أسد الغابه ج 1 ص 215 و تهذيب الأسماء ج 1 ص 138 و مسند أحمد ج 3 ص 449 و مجمع الزوائد ج 1 ص 190 و الإصابه ج 1 ص 183 و 184 و 186 و المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 378 و 379 و فيه أنه تعلم ذلک من اليهود و النصارى، و ارجع فى الهامش إلى طبقات ابن سعد ج 1 ص 75 و راجع: الإسرائيليات و أثرها فى كتب التفسير ص 161 و كنز العمال ج 10 ص 171 و 172 عن المروزى فى العلم و عن أبى نعيم، و عن العسكرى فى المواعظ و التراتيب الإداريه ج 2 ص 338 و القصاص و المذكرين ص 20 و 21 و 29 و عن الضوء السارى للمقريزى ص 129 و مختصر تاريخ دمشق ج 5 ص 321.
3- راجع: الزهد و الرقائق ص 508 و القصاص و المذكرين ص 29.
4- المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج 8 ص 378 و 379.
5- راجع: سائر المصادر المتقدمه، و تاريخ المدينه لإبن شبه ج 1 ص 13 و كنز العمال-

و كان معاويه إذا صلى الفجر يجلس إلى القاص، حتى يفرغ من قصصه (1).

كما أن عمر بن عبد العزيز كان يجلس و يستمع إلى القصاص (2).

و كان محمد بن قيس قاصا لعمر بن عبد العزيز بالمدينه (3).

و كان الناس يفخرون بفقيههم و قاصهم: ابن عباس، و عبيد بن عمير (4).

و ما دام أن القصاصين صاروا مصدر فخر للأمه، فمن الطبيعى: أن نرى كثيرين من الأعيان و المعروفين قد تصدوا للقصص أيضا، فعدا عن تصدّى مثل: كعب الأحبار، الذى كان يقص فى عهد معاويه بأمر منه (5).

و كان عمر أيضا يستدعى من كعب الموعظه (6).

و هذا اصطلاح يقصد به القصص، كما يظهر من كتاب: القصاص0.

1- التراتيب الإداريه ج 2 ص 348 عن مروج الذهب ج 2 ص 52.
2- القصاص و المذكرين ص 33.
3- راجع: الجرح و التعديل ج 8 ص 63 و التاريخ الكبير ج 1 ص 212 و تاريخ ابن معين ص 166 و راجع: الحوادث و البدع ص 103 عن المدونه الكبرى، كتاب الوضوء.
4- القصاص و المذكرين ص 46/ 47 و راجع: المعرفه و التاريخ ج 2 ص 33 و الطبقات الكبرى ج 5 ص 445.
5- القصاص و المذكرين ص 25 و راجع: ربيع الأبرار ص 588 و تاريخ المدينه ج 1 ص 8 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 336 عن أحمد، و حسّن الهيثمى أسناده.
6- القصاص و المذكرين ص 30.

و المذكرين، لابن الجوزى.

و كان تبيع بن عامر، و هو ابن زوجه كعب و ربيبه يقص [(1)].

نعم، عدا عمن ذكرنا، فقد كان أبو هريره يقص، و كذا الأسود بن سريع، و محمد بن كعب القرظى، و قتاده، و عطاء، و سعيد بن جبير، و ثابت البنانى، و عمر بن ذر، و أبو وائل، و الحسن البصرى، و غيرهم [(2)].

فراجع المؤلفات التى تعالج موضوع القصص، و القصاصين، ككتاب:

القصاص و المذكرين، و تلبيس إبليس، و قوت القلوب، و غير ذلک لتطلع على أسماء كثيرين ممن كانوا يمارسون القصص فى الصدر الأول.

حتى النساء:

و حتى النساء، فإنهن قد مارسن مهنه القصص، فقد روى ابن سعد: أن أم الحسن البصرى كانت تقص على النساء أيضا [(3)].

اهتمام الحكام بالقصاصين:

و كان الحكام يهتمون بأمر القصاصين بصوره واضحه، و قد تجلى هذا الإهتمام فى جهات عديده:

1- فقد تقدم: أن الخليفه الثانى عمر بن الخطاب كان يجلس إلى القصاصين، و يستمع إليهم، و كذلک معاويه، و عمر بن عبد العزيز.8.

1- تهذيب الكمال ج 4 ص 314.
2- راجع: القصاص و المذكرين ص 44 و 45 و 50 و 58 و 62 و 32 و راجع: المصنف للصنعانى ج 3 ص 220 و المعرفه و التاريخ ج 1 ص 391 و مسند أحمد ج 3 ص 451 و متمم طبقات ابن سعد ص 136.
3- راجع: التراتيب الإداريه ج 2 ص 338.

2- و قد جعلوا للقصاصين جعلا (أى أجرا) على عملهم (1).

و كان عمر بن عبد العزيز- حسبما يقولون- يعطى القاص الذى رتبه للقيام بهذه المهمه دينارين شهريا، فلما ولى هشام بن عبد الملک جعل له سته دنانير (2).

3- كان القصص منصبا رسميا يتدخل فيه الخليفه بنفسه، نصبا و عزلا، كما تقدم عن عمر، و معاويه، و عمر بن عبد العزيز. و سيأتى ما يدل على ذلک أيضا عن عوف بن مالک، و عباده بن الصامت، حيث قالا:

لا يقص إلا أمير، أو مأمور إلخ.

و يدل عليه أيضا كلام غضيف بن الحارث مع عبد الملک بن مروان (3)، فراجع.

و قد ذكر المقريزى طائفه ممن تولوا منصب القصص فى القرون الأولى على التعاقب، فليراجعه من أراد ذلک (4).

أما من كان يقص بدون إذن من الحاكم، فقد كان يعرّض نفسه للمؤاخذه من قبل الحكام (5).

و لعل القاص الذى ينصبه الحاكم هو الذى كان يقال له: (قاص الجماعه) (6).4.

1- تاريخ المدينه لإبن شبه ج 1 ص 15 و 16 و الخطط و الآثار للمقريزى ج 2 ص 254.
2- تاريخ المدينه ج 1 ص 15 و راجع: الحوادث و البدع ص 103.
3- راجع تاريخ المدينه ج 1 ص 10 و مجمع الزوائد ج 1 ص 188.
4- راجع: الخطط و الآثار ج 2 ص 254.
5- راجع: أنساب الأشراف ج 4 قسم 1 ص 34/ 35.
6- راجع: المصنف للصنعانى ج 3 ص 220 و تاريخ المدينه ج 1 ص 16 و 14.

و يشير إلى ذلک: أن أبا الهيثم کان قاص الجماعه فى عهد بنى أميه، فلما جاء بنو العباس عزلوه، فاعترض على ذلک و استنکره (1).

4- إن الخلفاء کما أنهم کانوا يجعلون للجماعه قاصا، فإنهم کانوا يجعلون للجند قاصا أيضا، لأجل تحريکهم، و بعث الحماس فيهم (2) و توجيههم سياسيا، حسبما يتوافق مع أهداف الحاکم و طموحاته.

و قد صرح الحسن بن عبد اللّه: أن الملک هو الذى يتولى منصب قاص الجند (3).

5- لقد کان الخليفه يتدخل حتى فى کيفيه و نوع و مقدار العمل الذى يسمح به القاص، و تقدم أن عمر و عثمان قد عيّنا لتميم الدارى الوقت و المده و المکان. کما أن عمر بن عبد العزيز- الذى تلمّذ على يدى مسلم بن جندب القاص- (4) قد کتب إلى صاحب الحجاز:

أن مر قاصّک: أن يقصّ على کل ثلاثه أيام مره. أو قال:

قاصّکم (5).

6- لقد کان الأمراء أنفسهم يمارسون عمل القصص، حتى قيل- بل لقد جعلوا ذلک روايه عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم - کما عن عباده بن الصامت، و عوف بن مالک:ن.

1- راجع المعرفه و التاريخ ج 2 ص 436.
2- راجع: تمدن إسلام و عرب در قرن جهارم هجرى ج 2 ص 80 و 85 و الجرح و التعديل ج 6 ص 163.
3- راجع: الجيش و القتال فى صدر الإسلام ص 135.
4- راجع: التاريخ الکبير ج 3 ص 354 و المعرفه و التاريخ ج 1 ص 596.
5- القصاص و المذکرين ص 28. لعل الصحيح: أخبار القصاص و المذکرين.

(لا يقص إلا أمير، أو مأمور، أو مختال. أو قال: أو متكلف) (1).

القصاصون فی خدمه سیاسیات الحکام:

و غنی عن القول هنا: أن القصاصین قد قاموا بدور فاعل فی تثبیت دعائم الحکومات الظالمه، و أصبحوا أبواقا لها للدعایه و الإعلام، یشیعون فی الناس ما یرید الحکام إشاعته، مما یخدم مصالحهم، و یوصلهم إلی أهدافهم.

و یکفی أن نذکر هنا:

1- أن معاویه حین جاء لحرب الإمام الحسن (علیه السلام) فی العراق، استصحب معه القصاص؛ فکانوا یقصون فی کل یوم، یحضون أهل الشام عند وقت کل صلاه؛ فقال بعض شعرائهم:

من جسر منبج أضحی غبّ عاشرهفی نخل مسکن تتلی حوله السور (2) 2-
و یقولون أیضا: إن معاویه حینما بلغه: أن علیا (علیه السلام) قنت فدعا علی أهل حربه، أمر القاص الذی یقص بعد الصبح و بعدر.

1- راجع: قوت القلوب ج 2 ص 302 و 303 و کنز العمال ج 10 ص 124 عن الطبرانی و المعجم الصغیر ج 1 ص 216 و تاریخ المدینه لإبن شبه ج 1 ص 8 و 9 و التراتیب الإداریه ج 2 ص 336 عن أحمد، و أبی داود، و الطبرانی فی الکبیر و الأوسط، و الهیثمی. و القصاص و المذکرین ص 25 و 28 و سنن ابن ماجه ج 2 ص 1235 و مسند أحمد ج 4 ص 233 و ج 6 ص 29 و ربیع الأبرار ج 3 ص 588 و سنن الدارمی ج 2 ص 319 و مختصر تاریخ دمشق ج 7 ص 240 و ج 10 ص 338 و 339 و مجمع الزوائد ج 1 ص 190 و النهایه فی اللغه ج 4 ص 70 و لسان العرب ج 7 ص 74 و 75 و عن تحذیر الخواص ص 59. و الحوادث و البدع للطرطوشی ص 101 ط تونس سنه 1959.
2- تاریخ بغداد ج 1 ص 208 و راجع: سیر أعلام النبلاء ج 3 ص 146 و فی هامشه عن ابن عساکر.

المغرب: أن يدعو له و لأهل الشام (1).

3- و كان عبد الملک شکا إلى العلماء!! ما انتشر عليه من أمر رعيته، و تخوّفه من كل وجه، فأشار عليه أبو حبيب الحمصى القاضى بأن يستنصر عليهم برفع يديه إلى اللّه تعالى.

فكان عبد الملک يدعو و يرفع يديه، و كتب بذلک إلى القصاص؛ فكانوا يرفعون أيديهم بالغداه و العشى (2).

4- و كان محمد بن واسع الأزدى من جمله القصاص و الوعاظ فى جيش قتيبه بن مسلم فى خراسان، و كان يقول قتيبه فى حقه: إنه بالنسبه إليه أفضل من ألف سيف و رمح. فراجع (3).

5- قال عبد الملک بن مروان لغضيف بن الحارث:

(إنا قد أجمعنا الناس على أمرين:

قال: و ما هما؟

قال: رفع الأيدى على المنابر يوم الجمعه، و القصص بعد الصبح و العصر إلخ) (4).

6- كما أن القصاصين قد قاموا بدور مهم فى إحداث الفتنه بين السنه و الشيعه فى بغداد، فى زمن عضد الدوله، فمنعهم من القصص.0

1- الخطط للمقريزى ج 2 ص 253 و الولاه و القضاه هامش ص 203 عن رفع الاصر ص 47.
2- الخطط للمقريزى ج 2 ص 254.
3- راجع: البيان و التبيين ج 3 ص 273 و العقد الفريد ج 2 ص 170.
4- مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 105 و تحذير الخواص ص 70.

و ذلک فی سنه 367 ه. (1).

و کذلک جری فی سنه 398 ه. ق. ثم سمحوا لهم بمزاوله أعمالهم بشرط ترکهم التعرض للفتن (2).

جرأه القصاصین و سیطرتهم:

کان القصاصون جریئین علی اللّه و رسوله، فلم یکونوا یتورعون عن وضع الحدیث، حتی لقد قال ابن حبان: (کانوا إذا حلّوا بمساجد الجماعات، و محافل القبائل مع العوام و الرعاع أکثر جساره فی الوضع) (3).

أی فی وضع الحدیث علی لسان رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

و قد حدث ابن عون، فقال: (أدرکت المسجد، مسجد البصره، و ما فیه حلقه تنسب إلی الفقه إلا حلقه واحده تنسب إلی مسلم بن یسار، و سائر المسجد قصاص) (4).

و دعا عطاء بن أبی رباح بخمسه قصاص، فقال: قصوا فی المسجد الحرام. قال: و هو جالس إلی أسطوانه، قال: فکان خامسهم عمر بن6.

1- راجع: البدایه و النهایه ج 11 ص 289 و طبقات الحنابله ج 1 ص 158 و المنتظم ج 7 ص 88 و سیر أعلام النبلاء ج 16 ص 509 و تاریخ الإسلام للذهبی (حوادث سنه 350- 380 ه) ص 153.
2- راجع: المنتظم ج 7 ص 337 و 338 و تاریخ الاسلام للذهبی (حوادث سنه 380- 400 ه) ص 337/ 338 و شذرات الذهب ج 3 ص 149 و 150 و بقیه المصادر فی کتابنا: صراع الحریه فی عصر المفید ص 24 و 25 الطبعه الأولی.
3- عن المجروحین ج 2 ص 30: أ.
4- القصاص و المذکرین ص 16.

ذر (1).

و أما سيطرتهم على عقول الناس، فذلک أوضح من الشمس، و أبين من الأمس، و يوضح ذلک کثير من الحالات و القضايا التى حصلت لبعض المعروفين، الذين کانوا يرفضون طريقتهم، و ينظرون إليهم بعين الريب و الشنآن. و لکن کانت کلماتهم تجذبهم، و أحاديثهم تسحرهم، رغم علمهم بکونها موضوعه و مکذوبه.

و من غريب ما يذکر هنا: أن أم الإمام أبى حنيفه لا تقبل بفتوى ولدها. و لکنها ترضى بقول قاص يقال له: زرعه (2).

کما أن أحد الکبار المعروفين يحتج لبعض الأمور بقول أحد القصاصين من مسلمه أهل الکتاب، و هو تميم الدارى (3).

و حين حاول الشعبى أن ينکر على أحد القصاصين فى بلاد الشام ما يأتى به من ترهات، قامت عليه العامه تضربه، و لم يترکه أتباع ذلک القاص، حتى قال برأى شيخهم نجاه بنفسه (4).

بل لقد بلغ الإحترام و التقديس لمجلس القصص و القصاصين أن تخيل البعض: أن الکلام أثناء القصص لا يجوز، کما لا يجوز الکلام فى خطبه الجمعه، حتى أعلمه عطاء: أن الکلام أثناء القصص لا يضر (5).

و قال مالک: (... و ليس على الناس أن يستقبلوهم8.

1- المصدر السابق ص 32.
2- القصاص و المذکرين ص 90 و تاريخ بغداد ج 3 ص 366.
3- عيون الأخبار لإبن قتيبه ج 1 ص 297.
4- السنه قبل التدوين ص 211 عن تمييز المرفوع عن الموضوع ص 16 ب. و الجامع لأخلاق الراوى و آداب السامع.
5- المصنف للصنعانى ج 3 ص 388.

كالخطيب) (1).

القصاصون على حقيقتهم:

إنه و إن كان كثير من الأعيان و المعروفين كانوا يحضرون مجالس القصاصين، و يستمعون إليهم (2)، و قد استمر ذلک إلى وقت متأخر نسبيا، إلا أن أمرهم قد افتضح، و ظهر لأكثر الناس ما كان خافيا. و بدأ الناس يجهرون بالحقيقه، و يصرحون بها، و نحن نذكر هنا بعضا من ذلک ليتضح الأمر، و يسفر الصبح لذى عينين، فنقول:

1- قال أبو قلابه: (ما أمات العلم إلا القصاص، يجلس الرجل إلى القاص السنه فلا يتعلم منه شيئا) (3).

و قريب من ذلک ما عن أيوب السختيانى (4).

2- لقد ذكر أحد الصحابه لواحد من القصاصين: أن ظهور القصاص كان هو السبب فى ترک الناس لسنه نبيهم، و قطع أرحامهم (5).

3- عن أحمد بن حنبل: أكذب الناس السؤال، و القصاص (6).وت

1- الحوادث و البدع، لأبى بكر محمد بن الوليد الطرطوشى ص 99 ط تونس سنه 1959 م.
2- راجع: القصاص و المذكرين و غيره.
3- ربيع الأبرار ج 3 ص 588 و القصاص و المذكرين ص 107 و راجع ص 108 و أضواء على السنه المحمديه ص 124.
4- السنه قبل التدوين ص 213 عنا لجامع لآداب الراوى و أخلاق السامع ص 147
5- راجع: مختصر تاريخ دمشق ج 10 ص 202 و مجمع الزوائد ج 1 ص 189 و غير ذلک.
6- القصاص و المذكرين ص 83 و راجع: طبقات الحنابله ج 1 ص 253 و عن قوت

4- و قال محمد بن كثير عن القصاص: أكذب الخلق على أنبيائه (1).

5- و صرح البعض: أن السبب فى انتشار الإسرائيليات فى كتب التاريخ و التفسير هم القصاصون (2).

6- و قال إبراهيم الحربى: (الحمد للّه الذى لم يجعلنا ممن يذهب إلى قاص، و لا إلى بيعه، و لا إلى كنيسه) (3).

7- و قال ابن قتيبه: (إن القصاص على قديم الزمان كانوا يميلون وجوه العامه إليهم، و يستدرّون ما عندهم بالمناكير، و الغريب، و الأكاذيب من الحديث) (4).

8- و يقول آخر: (كانوا يضعون الأحاديث فى قصصهم قصدا للتكسب و الإرتزاق، و تقربا للعامه بغرائب الروايات، و لهم فى هذا غرائب و عجائب، و صفاقه، و جدّ لا توصف) (5).

9- و عن أيوب: ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص (6).

10- و لما قص إبراهيم الحربى أخرجه أبوه (7).7.

1- القصاص و المذكرين ص 84 و راجع: تحذير الخواص ص 80.
2- تاريخ المذاهب الإسلاميه ج 1 ص 15.
3- القصاص و المذكرين ص 109.
4- تأويل مختلف الحديث ص 355- 357.
5- الباعث الحثيث ص 85.
6- القصاص و المذكرين ص 85.
7- القصاص و المذكرين ص 107.

مع تفاصيل أخرى:

و لا يقتصر الأمر على ما ذكر، فإنهم يقولون عن القصاصين أيضا:

1- ما هم إلا غوغاء يستأكلون أموال الناس بالكلام (1).

2- إنهم لا يحفظون الحديث (2).

3- إنهم ينسبون ما يسمعونه من الناس إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و يخلطون الأحاديث بعضها ببعض، و يتصنّعون البكاء، و الرعده.

و منهم من يصفّر وجهه ببعض الأدويه، و بعضهم يمسک معه ما إذا شمّه سال دمعه، و يتظاهرون بالصعقه، و يعملون على استماله النساء، و غير ذلک (3).

4- و قد أحدثوا وضع الأخبار (4).

5- و عامه ما يحدّث به القصاص كذب (5).

و حسبک من جرائمهم على الحق و على الدين:

1- أن قصه الغرانيق من صنعهم (6).

2- و منهم من روى: أن يوسف حلّ تكّته، فلاح له أبوه (7).ق.

1- ربيع الأبرار ج 3 ص 589.
2- القصاص و المذكرين ص 62/ 63.
3- راجع: القصاص و المذكرين ص 78 و 79 فما بعدها إلى آخر الباب.
4- القصاص و المذكرين ص 18.
5- المصدر السابق ص 19.
6- القصاص و المذكرين ص 85.
7- المصدر السابق.

3- و أن قصه داود و أوريا من وضعهم (1).

4- و أن قراءه القرآن بالألحان قد جاءت من قبلهم (2).

5- و وضع بعضهم فى ساعه واحده أحاديث كثيره حول فضل صيام يوم عاشوراء، حسب اعترافه (3).

إلى غير ذلک مما لا مجال لتتبعه و استقصائه.

موقف على (ع) من القصاصين:

أما بالنسبه لموقف على (عليه السلام) المتشدد جدا من القصاصين، الذين كان منهم شخصيات مشهوره، و ذات قيمه لدى بعض الفئات، فلسوف يأتى الحديث عنه إن شاء اللّه فى فصل: لا بد من إمام.

و نكتفى هنا بالإشاره إلى موقف السائرين على نهج أمير المؤمنين على (عليه السلام)، و ذلک فى الفقره التاليه.

السائرون على نهج على (ع):

إننا إنصافا للحقيقه و للتاريخ نسجل: أن المواقف السلبيه من القصاصين لمن عدا شيعه أهل البيت (ع) قد جاءت متأخره نسبيا عن موقف أتباع مدرسه أهل البيت (ع)، الذين كانوا يسجلون إنكارهم و إدانتهم لهذا الإتجاه فى صور و مستويات مختلفه.

و قد تجد ذلک قد ورد على صوره نصائح ربما جاءت خافته إلى حد4.

1- المصدر السابق.
2- المصدر السابق ص 96 و 97.
3- المصدر السابق ص 84.

ما، و ذلک انسجاما مع مقتضیات الواقع الذی کان یفرض قدرا من التحاشی عن الجهر بما یخالف سیاسات الحکم، و لو بهذا المستوی الضعیف و الضئیل.

و لا نرید هنا أن نسبر أغوار التاریخ لنلتقط الدلائل و الشواهد الکثیره و الغزیره من هنا هناک، بل نکتفی بذکر نماذج تشیر إلی ذلک، و هی التالیه:

1- روی مسلم بسنده عن عاصم قال:

(کنا نأتی أبا عبد الرحمان السّلمی- و نحن غلمه أیفاع- فکان یقول لنا: لا تجالسوا القصاص غیر أبی الأحوص، و إیاکم و شقیقا. و کان شقیق هذا یری رأی الخوارج، و لیس بأبی وائل) (1).

2- عن عبد اللّه بن خباب بن الأرت قال: مرّ بی أبی، و أنا عند رجل یقص، فلم یقل لی شیئا حتی أتیت البیت. فاتّزر، و أخذ السوط یضربنی، حتی حجره الزنو، و هو یقول:

أمع العمالقه؟! أمع العمالقه؟! ثلاثا. إن هذا قرن قد طلع، إن هذا قرن قد طلع، یقولها ثلاثا (2).

3- بل إن ابن مسعود الذی یقال: إنه یمیل إلی علی (علیه السلام)، رغم أننا نجد: أنه کان یتأثر خطی عمر بن الخطاب بصوره ملفته و واضحه، قد سجّل أیضا إدانته للقصص من أهل الکتاب (3)، فما ظنک بغیره من أهل العلم و المعرفه بالدین؟!9.

1- صحیح مسلم ج 1 ص 15 و القصاص و المذکرین ص 107.
2- القصاص و المذکرین ص 104 و خباب صحابی معروف. و قد مات رحمه اللّه و علی (علیه السلام) فی صفین.
3- مجمع الزوائد ج 1 ص 189.

4- و تقدم قول أبى قلابه: ما أمات العلم إلا القصاص، و أن الرجل يجلس إلى القاص السنه، فلا يتعلم منه شيئا.

5- و تقدم أيضا قول أحد الصحابه: إن القصاص هم السبب فى ترک الناس لسنه نبيهم، و قطيعه أرحامهم.

إلى غير ذلک مما لا مجال لتتبعه و استقصائه.

الفصل الخامس: بين الدوافع و الأهداف و الاثار و النتائج

اشاره

آثار و نتائج:

و قد استمر المنع من كتابه الحديث و روايته عشرات السنين.

و أصبح التحاشى عنه هو الصفه المميزه لعلماء الأمه و طليعتها المثقفه. بل لقد صارت كتابه الحديث عيبا أيضا، حتى فى أوائل عهد بنى مروان (1).

و مضت السنون و الأحقاب، و مات الصحابه الأخيار، بل أوشک التابعون على الإنقراض أيضا.

و نشأت أجيال و أجيال، لم تسمع أحدا يذكر شيئا عن نبيها، و لا عن مواقفه، و تعاليمه، و سيرته و مفاهيمه. و تربت هذه الأجيال على النهج الفكرى الذى أراده لها الحكام و المتسلطون، و الموتورون و الحاقدون، و تلامذه أهل الكتاب، المعجبون بهم.

و ذهب الدين و تلاشى، حتى لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و من الدين إلا رسمه، حسبما روى عن أمير المؤمنين على عليه الصلاهد.

1- راجع: تقييد العلم ص 114 و 110 و راجع سنن الدارمى ج 1 ص 126 و عن المحدث الفاصل ج 4 ص 23 و جامع بيان العلم ج 1 ص 73. كان حكم بنى مروان بعد حكم آل أبى سفيان، الذى انتهى بمعاويه بن يزيد.

و السلام (1)، الذی لم یعش إلا إلی سنه أربعین من الهجره.

ثم ازداد البلاء بعد ذلک، و برح الخفاء، إلی حد الفضیحه، فاضطر عمر بن عبد العزیز إلی القیام بعمل رمزی ضعیف و ضئیل، لم یکن له أی أثر یذکر علی الصعید العملی، علی مستوی الأجیال و الأمه. ثم بدأت الحرکه الحقیقیه باتجاه التدوین فی أواسط القرن الثانی للهجره، حسبما تقدم توضیحه.

و خلاصه الأمر: إن الحال قد تردت خلال أقل من ثلاثین سنه من وفاه النبی صلی الله علیه و آله وسلم إلی ذلک الحد الذی أشار إلیه سید الوصیین (علیه السلام). و طمست معظم معالم الدین، و محقت أحکام الشریعه، کما أکدته نصوص کثیره (2).

و کان ذلک فی حین أن الصحابه و علماءهم کانوا لا یزالون علی قید الحیاه، و کان الناس ینقادون إلی الدین و أحکامه، و یطیعون رموزه و أعلامه.

فکیف تری أصبحت الحال بعد أن فتحت الفتوح، و مصّرت الأمصار، و دخلت أقطار کثیره أو أظهرت الدخول فی الإسلام، تحت و طأه الفتوحات، التی قامت بها السلطه الحاکمه آنذاک. و کان أن تضخمت الحاله السکانیه، و اتسعت رقعه العالم الإسلامی، فی فتره قصیره جدا، و بسرعه هائله.2.

1- راجع: نهج البلاغه الحکمه رقم 369 و الحکمه رقم 190.
2- راجع: المصنف للصنعانی ج 2 ص 63 و مسند أبی عوانه ج 2 ص 105 و البحر الزخار ج 2 ص 254. و کشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 260 و مسند أحمد ج 4 ص 428 و 432 و 441 و 444 و مروج الذهب ج 3 ص 85 و الغدیر ج 8 ص 166 و مکاتیب الرسول ج 1 ص 62.

لقد كان من الطبيعى: أن يأخذ هؤلاء الوافدون جديدا على الإسلام ثقافتهم الدينيه من الناس الذين التقوا بهم، و عاشوا معهم، أو تحت سلطتهم و هيمنتهم.

فإذا كان هؤلاء ضائعين، جهالا بأحكام الشريعه، و بحقائق الدين، فما ظنک بالتابعين لهم و الآخذين عنهم، فإنهم سوف لا يأخذون عنهم إلا ثمرات ذلک الجهل، و آثار ذلک الضياع.

نصوص و شواهد:

و من الشواهد على هول ما حدث:

أننا نقرأ عن عدد من الصحابه و غيرهم: أنهم قد تنبهوا للمأساه، و عبروا عنها بأنحاء مختلفه. و نذكر من ذلک هنا النصوص التاليه:

1- قد تقدم قول أمير المؤمنين (عليه السلام): لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و من الدين إلا رسمه.

2- روى الإمام مالک عن عمه أبى سهيل بن مالک، عن أبيه، أنه قال:

(ما أعرف شيئا مما أدركت الناس عليه إلا النداء بالصلاه) (1).

قال الزرقانى، و الباجى: (يريد الصحابه، و أن الأذان باق على ما كان عليه، و لم يدخله تغيير، و لا تبديل، بخلاف الصلاه، فقد أخرت عن أوقاتها، و سائر الأفعال دخلها التغيير إلخ ...) (2).ى.

1- الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالک) ج 1 ص 93 و جامع بيان العلم ج 2 ص 244.
2- شرح الموطأ للزرقانى ج 1 ص 221 و تنوير الحوالک ج 1 ص 93/ 94 عن الباجى.

3- أخرج الشافعی من طریق وهب بن کیسان، قال: رأیت ابن الزبیر یبدأ بالصلاه قبل الخطبه، ثم قال:

(کل سنن رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم قد غیّرت، حتی الصلاه) (1).

4- یقول الزهری: دخلنا علی أنس بن مالک بدمشق، و هو وحده یبکی، قلت: ما یبکیک؟!

قال: (لا أعرف شیئا مما أدرکت إلا هذه الصلاه، و قد ضیعت) (2).

5- و قال الحسن البصری: لو خرج علیکم أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ما عرفوا منکم إلا قبلتکم) (3).

و نقول: حتی القبله قد غیّرت، و جعلوها إلی بیت المقدس، حیث الصخره قبله الیهود، کما تقدم فی الفصل الأول من هذا الکتاب.

6- و قال أبو الدرداء: (و اللّه لا أعرف فیهم من أمر محمد صلی الله علیه و آله وسلم شیئا إلا أنهم یصلون جمیعا) (4).

7- و عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص؛ أنه قال: (لو أن رجلین من أوائل هذه الأمه خلوا بمصحفیهما فی بعض هذه الأودیه، لأتیا الناس الیوم، و لا یعرفان شیئا مما کانا علیه) (5).1.

1- کتاب الأم للشافعی ج 1 ص 208 و الغدیر ج 8 ص 166 عنه.
2- جامع بیان العلم ج 2 ص 244 و راجع المصادر التالیه: ضحی الإسلام ج 1 ص 365 و الجامع الصحیح ج 4 ص 632 و الزهد و الرقائق ص 31 و فی هامشه عن طبقات ابن سعد ترجمه أنس، و عن الترمذی، و عن البخاری ج 1 ص 141.
3- جامع بیان العلم ج 2 ص 244.
4- مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص 244.
5- الزهد و الرقائق ص 61.

و عن الإمام الصادق (علیه السلام)- و قد ذکرت هذه الأهواء عنده فقال:

(لا و اللّه، ما هم علی شی ء مما جاء به رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) إلا استقبال الکعبه فقط) (1).

8- و حینما صلی عمران بن حصین خلف علی (علیه السلام) أخذ بید مطرف بن عبد اللّه، و قال: لقد صلی صلاه محمد، و لقد ذکرنی صلاه محمد صلی الله علیه و آله وسلم .

و کذلک قال أبو موسی حینما صلی خلف علی (علیه السلام) (2).

الهاشمیون فی زمن السجاد:

8- و أخیرا، فقد ذکروا: أن الناس و الهاشمیین فی زمن السجاد (علیه السلام) إلی أن مضت سبع سنین من إمامه الباقر (علیه السلام) کانوا لا یعرفون کیف یصلون، و لا کیف یحجون (3).7.

1- البحار ج 68 ص 91 و قصار الجمل ج 1 ص 366.
2- راجع: أنساب الأشراف ج 2 ص 180 ط الأعلمی و سنن البیهقی ج 2 ص 68 و کنز العمال ج 8 ص 143 عن عبد الرزاق و ابن أبی شیبه و المصنف للصنعانی ج 2 ص 63 و مسند أبی عوانه ج 2 ص 105 و مسند أحمد ج 4 ص 428 و 429 و 441 و 444 و 400 و 415 و 392 فی موضعین و 432 و الغدیر ج 10 ص 202 و 203 و کشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 260 و البحر الزخار ج 2 ص 254. و عن المصادر التالیه: صحیح البخاری ج 2 ص 209 و صحیح مسلم ج 1 ص 295 و سنن النسائی ج 1 ص 164 و سنن أبی داود ج 5 ص 84 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 296 و فتح الباری ج 2 ص 209 و المصنف لإبن أبی شیبه ج 1 ص 241.
3- کشف القناع عن حجیه الإجماع ص 67.

فإذا كانت الصلاه التى هى عمود الدين، و الركن الأعظم فى الإسلام، و يؤديها كل مسلم خمس مرات يوميا، كان لا يعرف حدودها و أحكامها أقرب الناس إلى مهبط الوحى و التنزيل الذين يفترض فيهم أن يكونوا أعرف من كل أحد بالشريعه و أحكام الدين !، فكيف تكون حاله غيرهم من أبناء الأمه، الذين هم أبعد عن مصدر العلم و المعرفه، و ما هو مدى اطلاعهم على أحكام الشريعه يا ترى؟!.

و إذا كانت أوضح الواضحات قد أصبحت مجهوله إلى هذا الحد، فما هو مدى معرفه الناس، و بالأخص البعيدين منهم عن مصدر العلم و المعرفه، بالأحكام الأخرى، التى يقل الإبتلاء بها، و التعرض لها، و السؤال عنها؟!

لا مبالغه و لا تهويل:

و قد يظن القارئ: أننا نبالغ فى تصويرنا لحقيقه ما تمخضت عنه تلك السياسه الخبيثه تجاه حديث الرسول صلى الله عليه و آله وسلم ، و تجاه القرآن و الإسلام.

و قد يظن مثل ذلک بالنسبه للأقوال الآنفه الذكر التى تقرر: أنه لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و من الدين إلا رسمه. أو لم يبق إلا الأذان بالصلاه، أو أن صلاه النبى صلى الله عليه و آله وسلم أصبحت منسيه حتى من قبل صحابته صلى الله عليه و آله وسلم ، حتى ذكّرهم بها على أمير المؤمنين (عليه السلام) ... إلى آخر ما قدمناه.

و لکننا نأسف حين نقول للقارئ: إن هذه هى الحقيقه، كل الحقيقه، و ليس فيها أى مبالغه، أو تضخيم.

و من أجل التأكيد على ما سبق نورد للقارئ بعض الشواهد و الوقائع لتكون دليلا ملموسا على ما نقول، مع التزامنا القوى فى أن لا نذكر شيئا من تلک الشواهد الكثيره و المتضافره على جهل الخلفاء- باستثناء على

(ع)- بأحكام شرعيه هى من أبده البديهيات، و أوضح الواضحات؛ لأننا نخاف أن توجّه إلينا أصابع الإتهام بالتعصب على هذا أو ذاک، و باراده تسجيل إدانه لهم من موقع التحامل المذهبى عليهم.

مع أننا نطمئن القارئ الكريم بأن العلامه الأمينى رحمه اللّه، قد أغنانا فى كتابه القيّم (الغدير) عن ذلک، لأنه حشد فيه من الوقائع و الشواهد على ذلک الشى ء الكثير، و الكثير جدا، عن مصادر بالغه الكثره و الوثاقه لدى من يتولونهم، و يدافعون عنهم بكل حيله و وسيله.

فضائح لا تطاق:

و الشواهد التى نريد أن نوردها هنا، و تصل إلى حد الفضيحه، هى التاليه:

1- يقول ابن عباس لأهل البصره، و هو على المنبر: أخرجوا صدقه صومكم.

فلم يفهم الناس مراده؛ فطلب أن يقوم من كان من أهل المدينه حاضرا، بتوضيح ذلک للناس؛ (فإنهم لا يعلمون من زكاه الفطره الواجبه شيئا) (1).

كان هذا هو حال البصره، التى مصّرت فى عهد الخليفه الثانى عمر بن الخطاب، فإن أهلها لا يفهمون حتى لغه الشريعه، و لم يعرفوا عن زكاه الفطره شيئا، رغم أن من المفروض أن يكون ذلک من البديهيات، فما ظنک بعد هذا بأولئک الذين تفتح بلادهم، و يعلنون إسلامهم، و هم عشرات الألوف. و ليس لديهم من يعلمهم، و لا من يدلهم و يرشدهم.

و قد كانت لا تزال تضاف إلى الممالک الإسلاميه مناطق واسعه،1.

1- الأحكام فى أصول الأحكام ج 2 ص 131.

و بلاد شاسعه، مملوءه بالسكان، دون أن يتصدى لتعليمهم و تثقيفهم أحد من الناس.

2- و قد كان جيش بأكمله من هؤلاء الفاتحين للبلاد، و المفترض أنهم هم حمله الإسلام إلى سائر الأمم التى تخضع لهم، و تقبل ببسط سلطتهم- إن هذا الجيش- لم يكن فيه أحد يعرف: أن الوضوء على من أحدث، حتى بعث قائدهم، أبو موسى الأشعرى من ينادى فيهم بذلك (1).

مع أن أمر الوضوء من أوضح الواضحات، و يمارسه كل أحد كل يوم عده مرات.

فإذا كان هؤلاء يجهلون ذلک، فما ظنک بالناس الذين يفترض فيهم أن يأخذوا أحكام دينهم و عباداتهم من هؤلاء الجهله بالذات، و هم المعلمون و الأساتذه، و المربون لهم؟!!.

3- لقد أشار الخليفه الثانى إلى أن الناس كانوا يعرفون جهل كبار الصحابه بأحكام الربا، فهو يقول:

(إنكم تزعمون: أنّا لا نعلم أحكام الربا. و لأن أكون أعلمها أحب إلىّ من أن يكون لى مثل مصر، و كورها) (2).

4- كما أن ابن مسعود لم يكن يدرى: أن صرف الفضه بالفضه لا يصلح إلا مثلا بمثل (3).6.

1- حياه الصحابه ج 1 ص 505 عن كنز العمال ج 5 ص 114 و عن معانى الآثار للطحاوى ج 1 ص 27.
2- المصنف للصنعانى ج 8 ص 26 و السنن الكبرى ج 3 ص 23.
3- راجع: المصنف للصنعانى ج 8 ص 123 و 124 و السنن الكبرى ج 5 ص 282، و مجمع الزوائد ج 4 ص 116.

5- و أنکر معاویه أیضا: أن یکون ذلک من الربا (1).

و نقول:

إنه إذا کان الصحابه، حتی الخلیفه الثانی و معاویه، و حتی ابن مسعود المشهور بعلمه و فضله، لا یدرون ذلک، فما حال غیرهم من سائر الناس، فضلا عن أولئک الذین لم یروا النبی صلی الله علیه و آله وسلم و لا عاشوا معه، بل سمعوا باسمه، لا أکثر و لا أقل؟!.

6- لقد شکا أهل الکوفه إلی عمر، سعد بن أبی وقاص: أنه لا یحسن یصلی (2).

7- إن ابن عمر، لا یحسن أن یطلق امرأته، حیث طلقها ثلاثا فی طهر کان واقعها فیه، فاستحمقوه لأجل ذلک (3).

8- إن ابن مسعود قد أفتی رجلا فی الکوفه بجواز أن یتزوج أم زوجته التی طلقها قبل الدخول، ففعل ذلک، و بعد أن ولدت له أم زوجته ثلاثه أولاد، و عاد ابن مسعود إلی المدینه، و سأل عن هذه المسأله، فأخبروه بعدم جواز ذلک، فعاد إلی الکوفه، و أمر ذلک الرجل بفراق تلک المرأه، بعد کل ما حصل (4).9.

1- المصنف للصنعانی ج 8 ص 34 و السنن الکبری ج 5 ص 282 و 277 و 276 و عن صحیح مسلم ج 2 ص 25 و 52.
2- سیأتی ذلک مع مصادره فی غزوه أحد.
3- راجع: صحیح مسلم ج 4 ص 181 و راجع ص 179 و 182 و الغدیر ج 10 ص 39 و راجع: مسند أحمد ج 2 ص 51 و 61 و 64 و 74 و 80 و 128 و 145 و عن صحیح البخاری ج 8 ص 76 و عن تاریخ الأمم و الملوک ج 5 ص 34 و عن الکامل فی التاریخ ج 3 ص 27 و عن الصواعق المحرقه ص 62 و عن فتح الباری ج 7 ص 54 و صححه کل ذلک فی الغدیر.
4- راجع: المصنف للصنعانی ج 6 ص 273 و 274 و السنن الکبری ج 7 ص 159.

كما أن مسروقا و معاويه كانا لا يعرفان حكم هذه المسأله أيضا (1).

9- إنهم إنما كانوا يعرفون قراءه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى صلاته؛ باضطراب لحيته (2).

10- لقد أفتى عبد اللّه بن عمر، و عبد اللّه بن عمرو (3): أن ماء البحر لا يجزى من وضوء و لا جنابه.

و قريب من هذا روى عن سعيد بن المسيب (4) و روى مثل ذلک عن أبى هريره أيضا (5).

و مما يضحک الثكلى:

هذا، و قد ذكر لنا الزبير بن بكار و غيره نموذجا مخجلا، يضحک حتى الثكلى من خطب عدد من ساده القبائل (6)، ممن كان الخلفاء5.

1- راجع: المصنف ج 6 ص 274 و 275.
2- صحيح البخارى ط سنه 1309 ه. ج 1 ص 90 و 93 و مسند أحمد ج 5 ص 109 و 112، و السنن الكبرى ج 2 ص 37 و 54 عن الصحيحين، و البحر الزخار ج 2 ص 247 و جواهر الأخبار و الآثار (مطبوع بهامش البحر الزخار) ج 2 ص 247 عن أبى داود و الترمذى، و الإنتصار، و النسائى، و البخارى.
3- راجع: المصنف للصنعانى ج 1 ص 93 و المغنى لإبن قدامه ج 1 ص 8 و الشرح الكبير بهامشه ج 1 ص 7 و راجع: تحفه الأحوذى ج 1 ص 231 ط دار الفكر، و الخلاف ط جماعه المدرسين ج 1 ص 51 و المحلى ج 1 ص 221 و نيل الأوطار ج 1 ص 20 و الجامع لأحكام القرآن ج 13 ص 53 و عن المصنف لإبن أبى شيبه ج 1 ص 88.
4- راجع: الخلاف ج 1 ص 51 و تحفه الأحوذى ج 1 ص 231 و نيل الأوطار ج 1 ص 20.
5- نيل الأوطار ج 1 ص 20 و المحلى ج 1 ص 221 و تحفه الأحوذى ج 1 ص 231.
6- الموفقيات ص 203- 205 و راجع: جمهره خطب العرب ج 3 ص 355.

یولونهم أمور الناس فی عنفوان الدوله الأمویه.

و هی إن دلت علی شی ء فإنما تدل علی مدی الإنحطاط الفکری الذی کان یهیمن علی طبقه الرؤساء و أصحاب النفوذ آنئذ، فکیف یمکننا أن نتصور حاله سائر الناس ممن کانوا لا یملکون إمکانیات حتی الحصول علی لقمه العیش، و الاحتفاظ برمق الحیاه.

قال الزبیر بن بکار:

(شکا عبد اللّه بن عامر الی زیاد بن أبیه- و هو کاتبه علی العراق الحصر علی المنبر، فقال: (اما انک لو سمعت کلام غیرک فی ذلک الموقف استکثرت ما یکون منک).

قال: فکیف اسمع ذاک.؟!

قال: رح یوم الجمعه وکن من المقصوره بالقرب حتی اسمعک خطب الناس.

فلما کان یوم الجمعه قال زیاد: (ان الأمیر سهر البارحه فلیس یمکنه الخروج الی الصلاه. و التفت الی رجل من ساده بنی تمیم، فقال له: قم فاخطب، و صلّ بالناس.

فلما أوفی علی ذروه المنبر قال: الحمد للّه الذی خلق السماوات و الارض فی سته اشهر.

قالوا: قبحک اللّه.- جل ثناؤه- یقول: فی سته أیام. و تقول انت:

فی سته اشهر. فنزل و التفت الی شریف لربیعه فقال له: قم فاخطب.

فلما ارتقی علی المنبر ضرب بطرفه، فوقع علی جار له کان یخاصمه فی حد بینهما.

فقال: الحمد للّه. و ارتج علیه. فقال لجاره: اما بعد فان نزلت الیک یا اصلع لأفعلن بک، و لأفعلنّ.

فانزلوه. فالتفت إلى رئيس من رؤساء الأزد، فقال له: انهض فأقم للناس صلاتهم، فلما تسنم المنبر قال:

الحمد للّه، و لم يدر ما يقول بعد ذلک، فقال: أيها الناس، قد و اللّه هممت أن لا أحضر اليوم، فقالت لى إمرأتى: انشدتک باللّه إن ترکت فضل الصلاه فى المسجد يوم الجمعه، فاطعتها، فوقفت هذا الموقف الذى ترون. فاشهدوا جميعا انها طالق. فأنزلوه إنزالا عنيفا.

و أرسل زياد إلى عبد اللّه بن عامر، انه ليس أحد يقيم صلاتهم، و لا بد ان تحمل على نفسک. فخرج فخطب فتبين فضله فى الناس على سائر الناس. (1)

التركه الموروثه:

أما بالنسبه إلى حجم الترکه التى ورثها الناس عن سلفهم الصالح (على حد تعبيرهم) فقد ادّعوا: أنه قد وصل إليهم من حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم - من غير طريق أهل البيت (عليهم السلام)- نزر قليل، لا يتناسب مع الحاجات التى تواجه الناس، و لا تتوافق مع هذا التراث الضخم جدا، الذى سطره علماؤهم عبر القرون المتماديه، فهم يقولون:

1- إن حديث النبى صلى الله عليه و آله وسلم أربعه آلاف حديث (2).

2- عن أحمد بن حنبل: (الأصول التى يدور عليها العلم عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) ينبغى أن تكون ألفا و ماءتين) (3).1.

1- الأخبار الموفقيات ص 203- 204 ح 119.
2- علوم الحديث لإبن الصلاح ص 367 و الباعث الحثيث ص 85 و السنه قبل التدوين عن فتح المغيث ج 4 ص 39 و عن تلقيح فهوم أهل الآثار.
3- إرشاد الفحول ص 251.

3- لكن نصا آخر يقول: إنه لم يصل إلى الأمه سوى خمس مئه حديث فى أصول الأحكام، و مثلها فى أصول السنه (1).

ثم إنهم يقولون: إن هذا الواصل لم يصح منه عندهم إلا أقل القليل، حيث قد بلغت روايه أبى حنيفه سبعه عشر حديثا فقط. أما مالک، فإنما صح عنده ما فى كتاب الموطّأ، (و غايتها ثلاث مئه حديث، أو نحوها) (2).

فمن أين إذن جاءت هذه الآلاف المؤلفه من الأحاديث التى وصفوها بالثبوت و الصحه، فملأت صحيحى البخارى و مسلم، و مستدرک الحاكم، و باقى الصحاح الست، و صحيح ابن حبان، و صحيح أبى عوانه. و غير ذلک كثير.

هذا فضلا عن غيرها من مئات الألوف بل الملايين من الأحاديث التى يزعم حفاظ الحديث أنها عندهم.

بل إن أحمد بن حنبل الذى يقول ما قدمناه هو نفسه قد ألف المسند الذى يضم أربعين ألف حديث، منها عشره آلاف مكرره (3).

و يزعمون: أنه ليس فيه حديث موضوع عدا ثلاثه أو أربعه أحاديث تكلّموا فيها.

بل لا يتأتى الحكم بكون واحد منها موضوعا إلا الفرد النادر، مع6.

1- مناقب الشافعى ج 1 ص 419 و عن الوحى المحمدى لمحمد رشيد رضا ص 243.
2- المقدمه لإبن خلدون ص 444 و أضواء على السنه المحمديه ص 388.
3- بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 236.

الاهتمام القوى فى دفع ذلک (1).

نعم، من أين جاءت هذه الأحاديث و الروايات، إن ذلک لمريب حقا. و إنه أيضا لغريب و عجيب!!

نظريه التطور عند أهل الحديث:

قد ظهر مما تقدم: أن الأحاديث التى كان قد بلغ تداولها إلى درجه الصفر أو كاد، قد بدأت بعد السماح للناس بالروايه، بعد عشرات السنين تظهر عليها أعراض التضخم المطّرد بصوره غير طبيعيه، و بدون أيه ضابطه أو رابطه.

إذ أن مراجعه جامعه لكتب تراجم الحفاظ و أهل الحديث، و من يسمونهم بالفقهاء مثل تذكره الحفاظ للذهبى (2) و غيره تعطينا أمرين:

أحدهما: أنها تعظّم و تفخم و تخلع مختلف الألفاظ الداله على الحفظ و العلم، و التبحر على أشخاص كثيرين، بل تصف بعضهم بأنه وحيد فى مصره أو فى عصره. ثم يظهر: أنه إنما كان يحفظ ثلاث مئه حديث، أو لم يثبت لديه سوى سبعه عشر حديثا، أو لا يعرف أنه يحرم الزواج بأم الزوجه، أو ما إلى ذلک مما ألمحنا إليه.

الثانى: إن ملاحظه طبقات الحفاظ تعطينا تدرجا ملفتا للنظر فى حجم الأحاديث، فتجد أن طبقه كبيره فى الصدر الأول يوصف الحافظ3.

1- راجع: تعجيل المنفعه برجال الأربعه ص 6. و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 37 عنه. و القول المسدد فى الذب عن المسند للإمام أحمد، لإبن حجر العسقلانى. و ذيل القول المسدد للمدراسى.
2- شرف أصحاب الحديث ص 115 و فضل الإعتزال و طبقات المعتزله لعبد الجبار ص 193.

منها بأن عنده ثلاثون أو ستون حديثا، أو مئه أو عشره أحاديث، أو مئتا حديث، و نحو ذلک.

ثم إذا تقدم الزمان قليلا يترقى العدد ليتراوح بين الألف و الألفين، و الثلاثه و الخمسه و نحو ذلک.

ثم فى فتره لا حقه يترقى العدد إلى بضع عشرات: عشرين ألفا، ثلاثين، و هكذا ..

ثم تأتى فتره فتوصل الأعداد إلى مئه ألف أو مئتين أو ثلاث مئه.

ثم يقفز العدد إلى الست و السبع مئه، و إلى المليون حديث، و أكثر من ذلک حتى ليفوز بعضهم مثل شعبه بلقب أمير المؤمنين فى الحديث (1).

و لا ننسى هنا: أن نستشهد لهذا الذى ذكرناه بأننا فى حين نجد:

أن القاضى عبد الجبار يصرح بأن أحاديث التجسيم و التشبيه من أخبار الآحاد (2).

و قال أحمد بن حنبل: إن بعض أهل الحديث أخبره:

أن يحيى بن صالح (المتوفى سنه 222 ه.) (3) قال: (لو ترک أصحاب الحديث عشره أحاديث، يعنى هذه التى فى الرؤيه).

ثم قال أحمد: (كأنه نزع إلى رأى جهم) (4).ب-

1- و راجع: الباعث الحثيث ص 186 و 187.
2- فضل الإعتزال، و طبقات المعتزله ص 193 و 158.
3- راجع: سير أعلام النبلاء ج 1 ص 456 و التاريخ الكبير ج 8 ص 282 و تهذيب التهذيب ج 11 ص 230.
4- سير أعلام النبلاء ج 10 ص 455 و العلل و معرفه الرجال ج 1 ص 187 و تهذيب-

فيحيى بن صالح الذى يروى له البخارى، و أصحاب الصحاح الست سوى النسائى (1) يريد أن يقول: إن الاعتقاد برؤيه اللّه قائم على عشره أحاديث فقط. بل صرح بعضهم: بأن أخبار الرؤيه لا تزيد على ثمانيه أحاديث (2).

و لكننا بعد حوالى نصف قرن من الزمن نجد ابن خزيمه الذى يصفونه بأنه (إمام الأئمه) يؤلف كتابا بعنوان (التوحيد و إثبات صفات الرب) يبلغ عدد صفحاته حوالى أربع مئه صفحه، قد شحنه بأحاديث التجسيم، و أحاديث الرؤيه من أوله إلى آخره، و فيه الكثير مما يدل على أن للّه تعالى يدا، و رجلا، و عينا، و إصبعا، و ساقا و وإلخ ... تعالى اللّه عما يقوله الجاهلون و المبطلون علوا كبيرا.

فمن أين جاءت هذه الأحاديث؟ و كيف و متى لفقت و اخترعت؟! لا ندرى، غير أننا وجدنا الإمام الشافعى ينقل عن القاضى أبى يوسف، الذى عاش فى أواخر القرن الثانى قوله:

(و الروايه تزداد كثره، و يخرج منها ما لا يعرف، و لا يعرفه أهل الفقه، و لا يوافق الكتاب و لا السنه) (3).

و ذلك يفسر لنا العديد من الظواهر الأخرى الملفته للنظر، مما سنشير إلى بعض منه فيما يلى من مطالب.8

1- راجع: مقدمه فتح البارى ص 452 و تهذيب التهذيب ج 11 ص 229.
2- المغنى للقاضى عبد الجبار ج 4 ص 228 و ص 225 و 230 و 233.
3- الأم للشافعى ج 7 ص 308.

الوضع و الوضاعون:

و بعد ما تقدم، فإننا سوف لن نفاجأ إذا سمعناهم يحكمون على 12 أو 14 أو 35 ألف حديث، بل على مئات الألوف من الأحاديث بالكذب و الوضع و الإختلاق؛ و كثير من هذا المختلق و الموضوع قد جاء لأهداف مختلفه، و منها: لإرضاء الملوک و تأييد سلطانهم، و تحقيق أهدافهم و مآربهم (1).

و قد ذكر العلامه الأمينى فى كتابه الغدير ج 5 ص 288- 290 قائمه بالموضوعات بلغت 408684 حديثا فراجع.

و حتى تلک الأحاديث التى سكتوا عنها أو حكموا بصحتها، و هى تعد بعشرات الألوف و الملايين (2)، و قد زخرت بها كتب صحاحهم و مجاميعهم الحديثيه، فإنها تصبح موضع شک و ريب، بل إننا لنطمئن لعدم صحه الكثير منها، من الأساس.ک.

1- راجع: على سبيل المثال التراتيب الإداريه ج 2 ص 208 و الكفايه فى علم الروايه ص 431 و راجع: المجروحون ج 1 ص 156 و 185 و 155 و 142 و 96 و 63 و ص 65 حول وضع الحديث للملوک. و راجع: الباعث الحثيث ص 84 و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 32 و 33 و لسان الميزان ج 3 ص 405 و ج 5 ص 228 و الفوائد المجموعه ص 426 و 427 و أى كتاب يتحدث عن الموضوعات فى الأخبار و الآثار مثل اللآلى ء المصنوعه للسيوطى، و الأسرار المرفوعه للشوكانى و الموضوعات للفتنى، و غير ذلک.

2- راجع على سبيل المثال: التراتيب الإداريه ج 2 ص 202- 208 و 407 و الكنى و الألقاب ج 1 ص 414 و لسان الميزان ج 3 ص 405 و تذكره الحفاظ ج 2 ص 641 و 430 و ج 1 ص 254 و 276 و هذا الكتاب مملوء بهذه الأرقام العاليه و المخيفه، فليراجعه طالب ذلک.

ص: 158

الحاجه أمّ الإختراع:

و بعد، فإذا كان كبار الصحابه، و ابن مسعود لا يعرفون أحكام الربا، و ابن عمر لا يعرف كيف يطلّق امرأته، و جيش بأكمله لا يعرف أن الوضوء على من أحدث إلى آخر ما تقدم.

فإن من الطبيعى: أن يرى الناس فى من يدّعى أنه يحفظ ثلاثين أو أربعين حديثا، أو مئه أو ماءتى حديث، أو عرف بعض الأحكام عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : أنه أعلم العلماء، و أفقه الفقهاء فى عصره، أو فى مصره، أو بلده. و أن يصبح هو الملاذ و المرجع و الموئل لهم فيما ينوبهم من أمور دينهم. و يتلمذون عليه، و يأخذون عنه أحكامهم، و شريعه نبيهم، كما يظهر جليا من مراجعه كتب التراجم و الرجال، التى تمثل التيار العام لبعض الفئات، التى كانت تنسجم مع سياسات الحكام، و ترتبط بها بنحو أو بآخر.

و من جهه أخرى؛ فإن هذا العالم الجليل !! إذا وجد نفسه فى موقع كهذا، و واجه الواقع، و احتاج إلى المزيد مما ليس عنده منه أثاره من علم، فلسوف يبحث عما يلبى له حاجته، و يوصله إلى بغيته. و أين؟ و أنّى له أن يجد ذلك إلا عند أناس، أخذ على نفسه (أو أخذ الحكام عليه و على الناس): أن لا يتصلوا بهم، و لا يأخذوا شيئا عنهم، و هم أهل بيت النبوه، و معدن الرساله عليهم الصلاه و السلام.

فلا غرو بعد هذا إذا رإينا هذا الرجل الجليل يبادر إلى ما هو أسهل و أيسر، فيضيف من عند نفسه، و على حسابه الخاص ما شاءت له قريحته، و سمحت له به همّته، حيث لا رقيب عليه و لا حسيب، و لا مانع من ضمير، و لا رادع من وجدان.

الفقه و الفقهاء:

أما بالنسبه إلى فقه الفقهاء، و مذاهب العلماء، فقد أصبح من المفهوم: أن وراء الأكمه ما وراءها، حين نرى أن فقه أبى حنيفه، و مالک، و الشافعى، و غيرهم يتسع و يتضخم، و يزيد و يتورم، حتى تضيق عنه المجلدات الكثيره و آلاف الصفحات. مع ما نراه من استنادهم إلى المئات و الألوف من الروايات التى كانت تلک حالها، و ذاک مآلها!!

فاقرأ و اعجب، فما عشت أراک الدهر عجبا!!

أما ما يستندون إليه، و يعتمدون عليه فى غير الفقه، فذلک حدّث عنه و لا حرج؛ و هو يصل إلى الألوف الكثيره، كما يظهر من تتبع مختلف المواضع و المواقع.

يعترفون .. ثم يتهمون:

و من الطريف أن نذكر هنا: أنهم فى حين يعترفون بأنهم قد وضعوا أحاديث فى فضائل أبى بكر، و عمر، و عثمان، ردا على من ينتقص منهم (1).

و يعترفون أيضا: بأنه عندما كثر سبّ الصحابه (و هو أمر لم يحصل.

و ما حصل هو مجرد التعريف ببعض ما ارتكبه أشخاص منهم، تحبهم الهيئه الحاكمه، أو ممن كانوا أحد أركانها، ردا على الغلو الحاصل فيهم، حتى لتعتبر أقوالهم سنه، و ما إلى ذلک) فقد وضعت أحاديث فى فضل الصحابه جميعا، أو فى فضل جمع منهم (2).ه.

1- راجع: اللآلى المصنوعه ج 1 ص 286 و 315/ 316 و 417 و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 22 عنه و عن تنزيه الشريعه ج 1 ص 372 و ج 2 ص 4.

2- اللآلى المصنوعه ج 1 ص 428 و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 22 عنه.

إنهم مع انهم يعترفون بهذا، لكنهم يتهمون بعض الشيعه بوضع أحاديث فى فضل على، و الطعن فى معاويه (1).

مع أن عليا فى غنى عن ذلک، و لا يمكن لأحد أن يضع أكثر مما قاله رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى حقه، مما ثبت بالآثار الصحيحه و المتواتره، و التى تفوق حد الإحصاء.

كما أنه يكفى معاويه التعريف بما ثبتت روايته عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى حقه مما لا يجهله أحد، حتى إن النسائى قد نال شرف الشهاده حينما أظهر حديثا واحدا منها (2)، فكيف لو أراد إظهار كل ما يعرفه، مما رواه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى حقه؟!

التجنى على العراقيين:

اشاره

و قد كان العراق موطنا لعلى (عليه السلام) مده خلافته، و قد ناصر العراقيون عليا، و رأوا ورووا بعض فضائله (عليه السلام). و قاتلوا الناكثين و المارقين و القاسطين معه، فعاداهم الناس، و اتهموهم بالكذب و الوضع لأجل ذلک، و فرضوا عليهم حصارا ثقافيا و إعلاميا.

و لعل أول من بادر إلى اتهامهم بذلک هو أم المؤمنين عائشه (3) التى0.

1- اللآلى المصنوعه ج 1 ص 323 و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 22 عنه و عن ابن تيميه فى المنتقى من منهاج الإعتدال ص 313.
2- الحضاره الإسلاميه فى القرن الرابع الهجرى ج 1 ص 121 و راجع: وفيات الأعيان ج 1 ص 77 ط بيروت و البدايه و النهايه ج 11 ص 124 و مرآه الجنان ج 2 ص 241 و تذكره الحفاظ ج 2 ص 700 و راجع ص 699 و شذرات الذهب ج 2 ص 240 و راجع: سير أعلام النبلاء ج 14 ص 132 و تهذيب الكمال ج 1 ص 339 و تهذيب التهذيب ج 1 ص 38 و المنتظم ج 6 ص 131.
3- بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 24 و تهذيب تاريخ ابن عساكر ج 1 ص 70.

لقيت على أيديهم فى حرب الجمل شر هزيمه.

و اتهمهم بذلک أيضا عبد اللّه بن عمرو بن العاص الذى لقى منهم الأمرّين فى حرب صفين (1).

و کذلک الزهرى (2) الذى کان له وجاهه و مکانه خاصه فى البلاط الأموى (3).

أما مالک، الذى لم يرو عن أحد من الکوفيين، سوى عبد اللّه بن إدريس، الذى کان على مذهبه، فقد رأى: أن أحاديث أهل العراق، تنزّل منزله أحاديث أهل الکتاب، أى فلا تصدق و لا تکذب (4).

و کان يقول: لم يرو أوّلونا عن أوليهم، کذلک لا يروى آخرونا عن آخريهم (5).

السبب هو السياسه و الانحراف عن على (ع):

و قد کانت هذه السياسه سياسه أمويه و شاميه، ضد على (عليه السلام)، منطلقها التعصب و التجنى، و ليس تحرى الحق، و التزام جانبه.

و قد قالوا عن الجوزجانى: إنه فى کتابه فى الرجال (يتشدد فى جرح الکوفيين من أصحاب على، من أجل المذهب)، لذلک قال ابن حجر:أ.

1- الطبقات الکبرى لإبن سعد ط صادر ج 4 ص 267.
2- بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 24 و تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 70.
3- ستأتى إشاره إلى ذلک حين الحديث حول روايات بدء الوحى، و قصه ورقه بن نوفل.
4- بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 25 عن ابن تيميه فى المنتقى من منهاج الإعتدال ص 88.
5- بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 25 عن الکامل لإبن عدى ج 1 ص 3: أ.

(لا عبره بحطه على الكوفيين) (1).

و قال الأوزاعى: (كانت الخلفاء بالشام، فإذا كانت الحادثه سألوا عنها علماء أهل الشام، و أهل المدينه، و كانت أحاديث العراق لا تجاوز جدر بيوتهم، فمتى كان علماء أهل الشام يحملون عن خوارج أهل العراق؟!) (2).

و يقول ابن المبارک: (ما دخلت الشام إلا لأستغنى عن حديث أهل الكوفه) (3).

بل إن ذلک قد انعکس حتى على علوم العربيه، مثل علم النحو و غيره؛ حيث نجد اهتماما ظاهرا بتكريس نحو البصريين، و استبعاد نحو الكوفيين، مهما عاضدته الدلائل و الشواهد، فراجع و لا حظ. و لهذا البحث مجال آخر.

فشل المحاولات:

على أن كل تلک الجهود، و إن تركت بعض الأثر بصوره عامه، و لكنها لم تؤت كل ثمارها المرجوه، فقد فرض الفقه و الحديث العراقى نفسه على الساحه، و لا يمكنهم الإستغناء عنه بالكليه، فقبلوه على مضض و كره منهم، حتى ليقول ابن المدينى: (لو تركت أهل البصره لحال القدر،ن.

1- بجوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 93 و راجع تهذيب التهذيب ج 1 ص 93 و ج 5 ص 46 و ج 10 ص 158.
2- تهذيب تاريخ دمشق ج 1 ص 70/ 71 و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 25 عنه.
3- المصدران السابقان.

و ترکت أهل الکوفه لذلک الرأی (یعنی التشیّع) خربت الکتب[(1)].

و قال محمد بن یعقوب: (إن کتاب أستاذه (یعنی صحیح مسلم) ملآن من حدیث الشیعه)[(2)].

و قد روی البخاری نفسه عن طائفه کبیره ممن ینسبون إلی التشیع من العراقیین و غیرهم[(3)].

خلاصات لا بد من قراءتها:

اشاره

و لمزید من التأیید و التأکید علی ما نرید أن نقوله، نعود إلی التذکیر ببعض النقاط المفیده فی إیضاح المطلوب، فنقول:

لا معاییر و لا ضوابط:

لقد کانت کل تلک السیاسات التی تحدثنا عنها تنفّذ فی حین: أن الناس لم یکونوا قادرین علی تمییز الغث من السمین، و الصحیح من السقیم، لأنهم کانوا قد فقدوا المعاییر و الضوابط المعقوله و المقبوله، التی تمکنهم من ممارسه دور الرقابه الدقیقه و المسؤوله علی ما یزعم أنه شریعه و دین، و أحکام و إسلام.

إنفلات الزمام:

و بما أن الناس کانوا یریدون معرفه شی ء عن دینهم، و یحبون قرآنهم،8.

1- الکفایه فی علم الروایه ص 129.
2- الکفایه فی علم الروایه ص 129.
3- راجع: فتح الباری (المقدمه) ص 460 و 461 و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص 28.

و إسلامهم، و نبيهم. و بما أنه لم يعد ثمه من يستطيع أن يعارض أو أن يعترض، فقد راجت بضائع الكذابين و الوضاعين، و قامت سوقهم على قدم و ساق. و تمكنوا من إشاعه أباطيلهم، و ترّهاتهم، و أضاليلهم. و لم يكن كثير من الناس يملكون القدره على تمييز الصحيح من السقيم، و الحق من الباطل، و الأصيل من الدخيل.

أهل الكتاب يمارسون دورهم:

و كان أهل الكتاب فى طليعه المستفيدين من هذه الأجواء، حسبما أوضحناه. حيث إن ذلک قد سهّل على الذين أظهروا الإسلام منهم: أن ينشروا أباطيلهم و ترّهاتهم، بعد أن خلت لهم الساحه، و أصبحوا هم مصدر العلم و المعارف الدينيه، و الثقافه لأكثر الناس. خصوصا مع ما كانوا ينعمون به من حمايه و تأييد من قبل الحكام آنئذ.

إبعاد أهل البيت عن الساحه:

إنما أصبح ذلک ممكنا بعد أن تمكن الحكام من فرض ظروف منعت الصفوه من أهل البيت (عليهم السلام)، و شيعتهم الأبرار رضوان اللّه تعالى عليهم من ممارسه دورهم فى التصحيح و التنقيح، و التقليم و التطعيم، و فضح زيف المزيفين، و دفع كيد الخائنين. و حرص أكثر الناس و لا سيما الحاقدون و المتزلفون، و ضعفاء النفوس، على الإبتعاد عنهم (عليهم السلام)، و لا سيما بعد استشهاد سيد شباب أهل الجنه، الإمام الحسين (ع)، و صحبه الأخيار، و أهل بيته الأطهار فى كربلاء الفداء.

و قد أشار الإمام السجاد إلى ذلک، فقال: (اللهم إن هذا المقام لخلفائک و أصفيائک، و مواضع أمنائک. فى الدرجه الرفيعه، التى اختصصتهم بها، قد ابتزوها حتى عاد صفوتک، و خلفاؤک مغلوبين،

مقهورين، مبتزين. يرون حكمک مبدلا، و كتابک منبوذا، و فرائضک محرفه عن جهات أشراعک، و سنن نبيک متروكه إلخ ...) (1).

و الملفت للنظر هنا: أنه (عليه السلام) يقرر هذه الحقيقه و يعلنها فی صيغه دعاء، فی خصوص يوم عرفه فی موسم الحج، حيث يجتمع الناس من مختلف الأقطار و الأمصار، ليستفيدوا من هذه الشعيره العظيمه، و يعودوا إلی بلادهم بمزيد من الطهر، و الصفاء، و الإخلاص، و الوعی لدينهم، و لعقيدتهم.

ثم تكون هذه الفقرات جزءا من دعاء يدعو به المسلمون كل يوم جمعه فی طول البلاد الإسلاميه و عرضها. و باستمرار، ليسهم ذلک فی المزيد من إيجاد حاله الوعی الرسالی، و ليكون من ثم واحدا من مسؤولياتهم الإيمانيه، و العقيديه.

و قد تعودنا من الإمام السجاد (عليه السلام) هذا الأسلوب الفذ فی أكثر من مجال من مجالات الفكر، و العقيده، و السلوک، كما يتضح ذلک بالمراجعه إلی الصحيفه السجاديه، و غيرها من الأدعيه المنقوله عنه صلوات اللّه و سلامه عليه و علی آبائه و أبنائه الطيبين الطاهرين.

الالتجاء المبكر الی الرای و القياس:

و غنی عن القول: إن استبعاد حديث الرسول (صلی اللّه عليه و آله)، قد أوقع السلطات الحاكمه فی مأزق حقيقی علی صعيد الفتوی، و إصدار الأحكام، و لذلک كان أول من بادر إلی العمل بالرأی و القياس هم الحكام أنفسهم، الذين كانوا يصرون علی استبعاد أهل البيت- قدر الإمكان- عن دائره الفتوی، و عن بث العلوم و المعارف الصحيحه، و الصافيه فی الناس.ه.

1- الصحيفه السجاديه، دعاء 48. و هو الدعاء الخاص بيوم الجمعه، و عرفه.

ثم تبعهم رعيل كبير ممن تسمى بالفقهاء و المحدثين، الذين كان الكثيرون منهم، من طلاب اللّبانات، و من المتزلفين إلى الحكام، و من وعاظ السلاطين.

فطغت مدرسه الرأى، و انتشر العمل بالإستحسان و بالقياس (1) (حتى استحالت الشريعه، و صار أصحاب القياس أصحاب شريعه جديده) (2) كما قاله المعتزلى الشافعى.

و سيأتى (3): أن أبا بكر كان أول من عمل برأيه، حينما لا يكون لديه نص عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، كما زعموا.

ثم جاء عمر بن الخطاب، فأكد ذلک، و رسخه، قولا و عملا.

و ستأتى بعض أقواله و رسائله إلى أبى موسى الأشعرى (4)، و شريح القاضى، التى يأمر فيها بالعمل بالرأى و القياس فى رقم 28 من هذا الفصل.

مع أنهم يقولون: إن عمر بن الخطاب هو الذى انتقد القائلين بالرأى، و روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قوله:

(إن أصحاب الرأى أعداء السنن، تفلتت منهم أن يعوها، و أعيتهم أن يحفظوها، و سلبوا أن يقولوا: لا نعلم؛ فعارضوا السنن برأيهم) (5).9.

1- حياه الشعر فى الكوفه ص 253 و كنز العمال ج 1 ص 332 و غير ذلک.
2- شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج 12 ص 84.
3- فى فصل: معايير لحفظ الإنحراف رقم/ 11- رأى الصحابى حيث لا نص.
4- سيأتى ذلک إن شاء اللّه فى فصل: معايير لحفظ الإنحراف رقم/ 28- القياس، و الرأى و الإستحسان.
5- كنز العمال ج 1 ص 335 عن ابن أبى نصر و الغدير ج 7 ص 119 و 120 عن جامع بيان العلم ج 2 ص 134 و مختصره ص 185 و عن أعلام الموقعين ص 19.

و لعل ذلک قد کان منه قبل أن یواجه المشکله، و یحتاج إلی العمل بآرائه، أی قبل أن یتشدد فی المنع من روایه حدیث النبی صلی الله علیه و آله وسلم و کتابته، و قبل أن یمنع الصحابه من الفتوی و یحصر حق الفتوی بالأمیر، أو من یختاره الأمیر.

و ربما یکون ذلک منه مختصا بأولئک الذین یفتون الناس بآرائهم، دون إجازه من الحاکم أو الأمیر.

و لعل التوجیه الأول هو الأنسب بسیاق کلامه، حیث ینسبهم إلی الجهل بالسنن، فعارضوا السنن بآرائهم.

إلا أن یدّعی: أنه یرید أن غیر الأمراء لم یکن لدیهم علم بالسنن و العلم بها محصور بالأمراء. و هذا کلام لا یمکن قبوله، و لا الموافقه علیه، لمخالفته الظاهره للبداهه و للواقع.

أصدق الحدیث:

و قد أوضح لنا الإمام الصادق (علیه السلام)- فیما روی عنه- سبب لجوئهم إلی الرأی، و القیاس فی دین اللّه، ثم ما نشأ عن ذلک. و هی شهاده ممن کان حاضرا و ناظرا، و قد شاهد و عاین، و خبر الأمور، و وقف علی أغوارها، و استکنه أسرارها، فهو یقول:

(یظن هؤلاء الذین یدعون أنهم فقهاء علماء، قد أثبتوا جمیع الفقه و الدین، مما یحتاج إلیه الأمه!!

و لیس کل علم رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، علموه، و لا صار إلیهم من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم و لا عرفوه.

و ذلک أن الشی ء من الحلال، و الحرام، و الأحکام، یرد علیهم؛ فیسألون عنه، و لا یکون عندهم فیه أثر من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم . و یستحیون

أن ينسبهم الناس إلى الجهل، و يكرهون أن يسألوا فلا يجيبون؛ فيطلب الناس العلم من معدنه.

فلذلک استعملوا الرأی، و القیاس فی دین اللّه، و ترکوا الآثار و دانوا بالبدع إلخ ...) (1).

الدوافع و الاهداف:

اشاره

قد قدمنا فیما سبق إیضاحات حول سیاسات الحکام تجاه حدیث الرسول، روایه و کتابه، و تجاه السؤال عن معانی القرآن و غیر ذلک. و بقی أن نشیر إلی دوافع هذه السیاسه و أهدافها، فنحن نجمل ذلک علی النحو التالی:

1- للخلیفه مقام الرسول:

لقد کان الخلیفه الإسلامی- بنظر الناس- یحتل مقام رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم . و ذلک یعنی: أنه لا بد أن یقوم بنفس المهام، و یتحمل نفس المسؤولیات التی للرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وسلم .

فهو القاضی، و الحاکم، و المربی، و القائد العسکری، و المفتی، و العالم، و وإلخ ...

و قد کان الناس یرون: أن لهم الحق فی توجیه أی نقد له، و مطالبته بأیه مخالفه تصدر منه، و أی خطأ یقع فیه.

و إذا رجعنا إلی أولئک الذین تسلموا زمام الحکم فور وفاه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، فإننا نجد: أنهم لیسوا فی مستوی توقعات الناس، لا سیما و أن1.

1- وسائل الشیعه ج 18 ص 40 و تفسیر العیاشی ج 2 ص 331.

التناقضات فی فتاواهم و أعمالهم مع ما سمعه الصحابه و رأوه من رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و عرفوه من مواقفه، كانت كثیره و خطیره. هذا كله عدا عن مخالفاتهم لكثیر من النصوص القرآنیه، و أخطائهم، أو عدم اطلاعهم علی تفسیر كثیر من آیاته. بالإضافه إلی تناقضهم فی الأحكام و الفتاوی باستمرار.

و قد اعترفوا هم أنفسهم بالحقیقه، و قرروها فی مناسبات عده، حتی و هم یواجهون بعض الإعتراضات من قبل النساء، علی بعض مخالفاتهم حیث ظهر أنهم لا یملكون الكثیر من المعرفه بالأحكام الشرعیه، و الدینیه، التی یحتاجها الناس فی معاملاتهم و شؤونهم.

بل إن الخلیفه الثانی قد سجل كلمه طارت فی الآفاق، و أصبحت لها شهره متمیزه، و ذلک حینما طالب أبا موسی الأشعری ببینه علی حدیث رواه، و إلا فلسوف ینزل به العقاب. ثم اتضح صحه الحدیث، فقال عمر بن الخطاب فی هذه المناسبه: إنه ألهاه الصفق بالأسواق (1) عن الحضور عند النبی صلی الله علیه و آله وسلم لسماع حدیثه، و الإستفاده منه.

و هو الذی یقول أیضا: كل الناس أفقه من عمر، حتی ربات الحجال فی خدورهن.ه.

1- راجع: صحیح البخاری ج 4 ص 172 و ج 2 ص 4 و 9 و مسند أحمد ج 4 ص 400 و سنن أبی داود ج 4 ص 346 و التراتیب الإداریه ج 2 ص 7 و 4 و 25 و حیاه الصحابه ج 2 ص 569 و الغدیر ج 6 ص 158 عن البخاری، و أبی داود و عن مسلم ج 2 ص 234 و عن مسند أحمد ج 3 ص 19 و عن سنن الدارمی ج 2 ص 274 و عن مشكل الآثار ج 1 ص 499. و حول تنكیل عمر بمن لا یأتی علی الحدیث ببینه راجع: حیاه الصحابه ج 3 ص 360، عن كنز العمال ج 7 ص 34 و غیره.

و قال عشرات المرات: لو لا على لهلک عمر. و نحو ذلک (1).

و مهما یکن من أمر، فقد کثرت الإعتراضات، و ظهر القصور جلیا واضحا فی نطاق تطبیق الروایه، و الفتوی، و القضاء، و الموقف السیاسی، و غیر ذلک، علی النص القرآنی، و السنه النبویه بصوره عامه.

و قد بدا واضحا: أن استمرار الوضع علی هذا المنوال لسوف یضعف موقع الحاکم، و سیهتز و یتزعزع، و لن تبقی له تلک المصداقیه و الفاعلیه، و لا الهیمنه القویه التی یتوخاها.

2- إحراجات لا بد من الخروج منها:

و من جهه أخری، فقد کانت هناک تصریحات کثیره للرسول الأعظم صلی الله علیه و آله وسلم ، و مواقف حاسمه و حساسه تجاه بعض القضایا و بعض الناس، إیجابیه هنا، و سلبیه هناک، کان إظهارها، و شیوعها بین الناس لا یخدم مصلحه الحکام، بل هو یضرهم و یجرحهم بصوره کبیره و خطیره، فلا بد من معالجه هذا الأمر و تلافی سلبیاته، فکان انتهاج هذه السیاسه مفیدا جدا لهم فی ذلک. و إلیک تفصیل ذلک:

إن مما یدل أو یشیر إلی أنه قد کان ثمه مواقف للرسول صلی الله علیه و آله وسلم ، و نصوص لم یکن إظهارها فی مصلحه الحاکم، فکان لا بد من التعتیم علیها، و طمسها، قول ابن ابی الحدید المعتزلی: (قد أطبقت الصحابه إطباقا واحدا علی ترک کثیر من النصوص لما رأوا المصلحه فی ذلک) (2).

و واضح: أن مراده من الصحابه المجمعین من عدا علیا (علیه3.

1- راجع: الغدیر للعلامه الأمینی رحمه اللّه تجد تفصیل هذه النصوص، و طائفه کبیره من مصادرها.

2- شرح النهج للمعتزلی ج 12 ص 83.

السلام)، لأن المعتزلى نفسه يقول: (إنما قال أعداؤه: لا رأى له؛ لأنه كان متعبدا بالشريعه، لا يرى خلافها).

إلى أن قال: (و غيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه، و يستوفقه، سواء أكان مطابقا للشرع أم لم يكن. و لا ريب أن من يعمل بما يؤدى إليه اجتهاده، و لا يقف مع ضوابط و قيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله إلى الإنتظام أقرب) (1).

و قد قال عثمان للناس على المنبر: (أيها الناس، إنى كتمتكم حديثا سمعته من رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كراهه تفرقكم عنى، ثم بدا لى إلخ ...) (2).

هناك مواقف إيجابيه لرسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) تجاه بعض المخلصين من صحابته، الذين كانوا يملكون مؤهلات نادره، و ميزات فريده، تجعل لهم الحق دون كل من عداهم بالتصدى لإمامه الأمه، و قيادتها. و أعنى به عليا أمير المؤمنين عليه الصلاه و السلام.

و قد ركزت كلمات و مواقف الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) على إظهار تلك الميزات الفريده بالذات. سواء منها ما يرتبط بفضائله (عليه السلام) الذاتيه، أو فيما يرتبط بما له من جهاد و سوابق.

ثم أوضحت تلك المواقف النبويه، و النصوص عنه صلى الله عليه و آله وسلم بالإستناد إلى ذلك: أن الإمامه و قياده الأمه إنما هى حق له، و للأئمه من ولده (عليهم السلام)، دون كل أحد سواهم.

و ذلك من شأنه: أن يضع الهيئه التى تصدت للحكم بعد النبى صلى الله عليه و آله وسلم أمام إحراجات كبيره فى مسأله مصيريه، و خطيره و حساسه، بل و فى1.

1- شرح النهج للمعتزلى ج 1 ص 28.
2- حياه الصحابه ج 1 ص 455 عن مسند أحمد ج 1 ص 65 و راجع ص 61.

منتهی الحساسیه. و یضع علامات استفهام واضحه علی مجمل الوضع القائم آنذاک، و مدی شرعیته.

فکان لا بد من محاربه هذا النوع من النصوص، و التعتیم علی تلکم المواقف، تلافیا لما هو أعظم و أدهی.

فعن عبد الرحمان بن الأسود عن أبیه، قال:

(جاء علقمه بکتاب من مکه أو الیمن، صحیفه فیها أحادیث فی أهل البیت- بیت النبی صلی الله علیه و آله وسلم - فاستأذنا علی عبد اللّه (1)، فدخلنا علیه، قال:

فدفعنا إلیه الصحیفه.

قال: فدعا الجاریه، ثم دعا بطست فیه ماء. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 1 172 2 - إحراجات لا بد من الخروج منها: ..... ص : 170

لنا له: یا أبا عبد الرحمان، أنظر فیها؛ فأن فیها أحادیث حسانا !

قال: فجعل یمیثها فیها و هو یقول: نحن نقص علیک أحسن القصص. بما أوحینا إلیک هذا القرآن. القلوب أوعیه؛ فاشغلوها بالقرآن، و لا تشغلوها بما سواه) (2).

و یذکرون: أن ابن عباس أتی أیضا بکتاب فیه قضاء علی (ع)، فمحاه إلا قدر ذراع (3).

و إن کنا شک فی صحه ذلک، و نری، أن ابن مسعود هو الذی فعل ذلک.

و سیأتی فی مواضع من الجزء الرابع من هذا الکتاب بعض النماذج1.

1- أی ابن مسعود.
2- تقیید العلم ص 54 و السنه قبل التدوین ص 312 و راجع: غریب الحدیث لإبن سلام ج 4 ص 48. و لیس فیه: أن الأحادیث فی أهل البیت.

3- صحيح مسلم ج 1 ص 11.

للحرب الإعلاميه التى كانت تمارس ضد على و أهل بيته (عليهم السلام) و شيعته الأبرار رضوان اللّه تعالى عليهم.

هناک أقوال صحيحه، و مواقف صريحه لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم تبيّن انحراف و زيف كثير من الشخصيات و الرموز التى كانت تدعم الحكم الجديد، و تشد من أزره، و تعمل على بسط سلطته، و ترسيخ نفوذه.

بل فيهم بعض من أصبح جزءا من تكوينه و هيكليته، و من ركائزه و دعائمه، الأمر الذى جعل الحكم الجديد يرى نفسه مسؤولا عن الحفاظ على سمعه هؤلاء الناس. و رفعه شأنهم، و بسط نفوذهم، و إظهارهم على أنهم شخصيات على درجه من الفضل و النبل، و لهم من المواقف المشرفه، و من الكرامات ما ليس لغيرهم.

بل لا بد أن يظهروا للناس- و لو عن طريق الإختلاق، و التحريف، و التزوير- أن هؤلاء الناس هم الذين شيدوا أركان الدين، و ضحوا و جاهدوا حتى قام عموده، و اشتد عوده.

أما أقوال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم فى حقهم، و مواقفه صلى الله عليه و آله وسلم تجاههم، فلا ضير فى أن تكتم و تنستر، ثم تتلاشى و تندثر، بل لا بد لها من ذلک، و حيث لا يمكن ذلک، فلا أقل من التأويل و التبديل، و التحريف و التزييف، أو اختلاق ما يناقض و يعارض. و ذلک هو أضعف الأيمان.

و قد روى الإمام أحمد بن حنبل: أنه كان بين حذيفه و سلمان شى ء؛ فسأله أبو قره الكندى عن ذلک، فقال:

(إن حذيفه كان يحدث بأشياء يقولها رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم فى غضبه لأقوام، فأسأل عنها، فأقول: حذيفه أعلم بما يقول. و أكره أن يكون ضغائن بين أقوام. فأتى حذيفه؛ فقيل له: إن سلمان لا يصدقک و لا يكذبک بما تقول.

فجاءنی حذیفه فقال: یا سلمان ابن أم سلمان.

قلت: یا حذیفه ابن أم حذیفه، لتنتهین، أو لأكتبن إلی عمر.

فلما خوّفته بعمر تركنی إلخ ... (1).

إذن، فقد كان حذیفه یحدث الناس بما كان یوقع سلمان الذی كان أمیرا علی المدائن من قبل عمر فی حرج شدید فكان لا بدّ لسلمان من ان یوقف حذیفه عن الإستمرار فی ذلک، فاستفاد من هذه الوسیله لتحقیق هذا الهدف.

و بعباره أخری: إن السیاسه كانت قد فرضت حظرا علی تناقل بعض ما یتعلق بأحوال الأشخاص. و قد كان حذیفه بنقله تلک الأمور قد أحرج سلمان، فلما هدّده بالكتابه إلی الخلیفه كف عن ذلک.

غیر أنه قد وردت فی آخر الحدیث زیاده نحسب أنها لم ترد علی لسان سلمان، و هی أن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قال: (أیما مؤس لعنته لعنه، أو سببته سبه، فی غیر كنهه، فاجعلها علیه صلاه) (2).

فإن ذلک لا شک فی كونه من الأكاذیب علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و علی سلمان، فراجع ما ذكرناه فی غزوه أحد من هذه الكتاب، ثم ما ذكرناه فی الجزء السادس حول موضوع السب و اللعن أیضا.

3- التأثر بأهل الكتاب:

هناک فرقتان من الیهود:

إحداهما: فقهاء الفریسیین، و هم یؤمنون بكتابه العلم و تدوینه.ق

1- مسند أحمد ج 5 ص 439.
2- المصدر السابق.

و يكتبون كلام علمائهم و أحبارهم. كما هو الحال بالنسبه إلى التلمود، الذى له أهميه كبيره عند معظم اليهود، بل إن أهميته لدى بعض فرقهم لتزيد على أهميه العهد القديم نفسه (1).

الثانيه: فرقه يقال لها: (القراء)، و هم الذين كثروا و نشطوا بعد ضعف أمر الفريسيين. و هم يقولون بعدم جواز كتابه شى ء غير التوراه (2).

و قد صرح البعض بأن فرقه الصدوقيين لا تعترف إلا بالعهد القديم، و ترفض الأخذ بالأحاديث الشفويه المنسوبه إلى موسى (عليه السلام) (3).

بل لقد جاء فى التلمود نفسه: (إن الأمور التى تروى مشافهه ليس لک الحق فى إثباتها بالكتابه) (4).

و قد علق على ذلک بعض العلماء بقوله: (من العجيب: أن اليهود كتبوا التلمود و المشناه حتى هذا النهى. و أهل الحديث من المسلمين كتبوا الأحاديث حتى الحديث المكذوب: لا تكتبوا عنى ... إلخ) (5).

غير أننا نقول: إن المقصود هو المنع من الروايات الشفويه عن الأنبياء، أما أقوال العلماء فهى الشريعه، تماما كما يقول البعض الآن: إن آراء الصحابه شريعه و سنه.7.

1- راجع: اليهوديه و اليهود ص 23.
2- راجع: التفكير الدينى عند اليهود، لمحمد حسن ضاضا و راجع: مقارنه الأديان (اليهوديه) ص 227.
3- اليهوديه و اليهود ص 86 و مقارنه الأديان (اليهوديه) ص 226.
4- الفكر الدينى الإسرائيلى للدكتور ظاظا ص 79 عن التلمود: حيطين 60 ب- تمور 1- 14/ ب.
5- بحوث مع أهل السنه و السلفيه هامش ص 97.

و الذى يظهر لنا هو: أن كعب الأحبار قد كان من الفرقه التى لا تجيز كتابه غير التوراه. و يشير إلى ذلک: أنه حينما سأله الخليفه الثانى عن الشعر، أجابه كعب واصفا العرب بقوله:

(أجد فى التوراه قوما من ولد إسماعيل، أناجيلهم فى صدورهم، ينطقون بالحكمه) (1).

و قد روى مثل ذلک وهب بن منبه أيضا- الذى كان أيضا فى الأساس من أهل الكتاب- فقد جاء فى روايه مطوله له قوله:

(يا رب، إنى أجد فى التوراه قوما أناجيلهم فى صدورهم، يقرؤونها. و كان من قبلهم يقرؤون كتبهم نظرا، و لا يحفظونها، فاجعلهم أمتى، قال: تلک أمه محمد) (2).

فلعل كعب الأحبار، و غيره ممن كان مقربا من السلطه قد استفاد من حسن الظن به من قبل الصحابه و الحكام، فألقى هذا الأمر إليهم، و هم غافلون، فوافق قبولا منهم، بسبب ما كانوا يعانونه من مشكلات ألمحنا إليها آنفا.

و مما يشير إلى أن السلطه قد كانت تختزن فى وعيها شيئا من ذلک9.

1- راجع: العمده لإبن رشيق ج 1 ص 25 و قد صرح بذلک كعب فى حديث آخر فراجع الدر المنثور ج 3 ص 125 ثم روى ذلک أبو هريره و قتاده عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم فراجع الدر المنثور ج 3 ص 124 و 123 و 122 و قد استدل البعض بهذا الحديث على حفظ القرآن عن ظهر قلب، فراجع مناهل العرفان ج 1 ص 235 و النشر فى القراءات العشر ج 1 ص 6. و فى ربيع الأبرار ج 2 ص 150 ذكر هذا الحديث عن التوراه على لسان راهب اخر فراجع.
2- راجع: البدايه و النهايه ج 6 ص 62 و نزهه المجالس ج 2 ص 199.

هو التعليل الذى جاؤا به حينما أرادوا إحراق ما جمعوه من أحاديث كتبها الصحابه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، حيث ذكروا: أن سبب إقدامهم على هذا الأمر هو الإلتفات إلى أن أمما كانوا قبلهم كان بينهم كتاب اللّه، فلما كتبوا أقوال علمائهم أكبوا عليها، و تركوا كتاب اللّه (فراجع ما تقدم).

و الملفت للنظر هنا: أن يتخيل هؤلاء المساواه فيما بين أقوال النبى الذى لا ينطق عن الهوى، و بين أقوال علماء أهل الكتاب الذين كانوا يخلطون الحق بالباطل عن عمد و إصرار فى كثير من الأحيان، إن لم يكن فى أكثرها.

بغضهم لعلى (ع) سبب آخر:

هذا، و لا بد من الإشاره هنا إلى أن السياسه التى انتهجت تجاه حديث النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و إن كانت سببا مهما لما حاق بالإسلام من بلاء، على صعيد تجهيل الناس به، و التلاعب بالدين، و تغيير أحكام الشريعه.

و لكن ذلک ليس هو كل شى ء فى هذا المجال، بل إن ثمه سببا آخر كان له دوره و تأثيره فى ذلک، و هو:

بغض على (عليه السلام)، و الإصرار على مخالفته فى كل شى ء.

قال ابن عباس: (اللهم العنهم، قد تركوا السنه من بغض على) (1).

قال السندى: (أى و هو كان يتقيد بها) (2).3.

1- سنن النسائى ج 5 ص 253 و سنن البيهقى ج 5 ص 113 و الغدير ج 10 ص 205 عنهما و عن كنز العمال عن ابن جرير نص آخر.
2- تعليقه السندى على سنن النسائى ج 5 هامش ص 253.

و قال النيسابورى حول السبب فى تركهم الجهر بالبسمله فى الصلاه:

(و أيضا، ففيه تهمه أخرى، و هى: أن عليا رضى اللّه عنه كان يبالغ فى الجهر بالتسميه؛ فلما كان زمن بنى أميه بالغوا فى المنع عن الجهر، سعيا فى إبطال آثار على) (1).

و رغم اعتراف الحجاج بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) المرء الذى لا يرغب عن قوله، فإنه يصر على مخالفته، و العمل برأى عثمان (2)!!.

و قد عاش الحسنان (عليهما السلام) فى الناس دهرا طويلا، و هما إمامان قاما أو قعدا، لكن ما روى عنهما فى أحكام الشريعه قليل جدا لا يكاد يذكر.

و لا يمكن أن يصغى إلى ما اعتذر به ابن شهر آشوب هنا، حيث قال:

(و أما من قل منهم الروايات، مثل الحسن و الحسين، فلقله أيامهما) (3).

و الصحيح هو أن الناس أهملوا أقوالهم، و لم يهتموا بنقل شى ء عنهم، بغضا منهم لهم، أو خوفا من معاقبه الحكام.4.

1- تفسير النيسابورى (مطبوع بهامش جامع البيان للطبرى) ج 1 ص 79.
2- مروج الذهب ج 3 ص 85 و الكامل فى الأدب ج 1 ص 207 و راجع: مكاتيب الرسول ج 1 ص 62.
3- مناقب آل أبى طالب ج 1 ص 274.

الفصل السادس: لا بد من امام:

اشاره

(لا بدّ من امام:) و لسنا بعد ذلک کله بحاجه إلی التأکید علی أنه کان لا بد لهذا الدین من رائد و حافظ، و إمام یحفظ له مسیرته، و ینشر تعالیمه، و یربی الناس تربیه إلهیه صالحه و قویمه. و یکون هو الضمانه الحقیقیه له علی مر العصور، وکر الأیام و الدهور.

و قد کان أئمه أهل البیت الأطهار (علیهم السلام) هم هذه الضمانه، التی بها حفظ الدین و أحکامه، و بهم سلمت رسومه و أعلامه. و کیف لا، و هم سفینه نوح، و أحد الثقلین الذین لا یضل من تمسک بهما، و اهتدی بهدیهما.

و هذا ما یفسر لنا ما روی عن الإمام الباقر (علیه السلام) فی قوله للحکم بن عیینه (عتیبه)، و سلمه بن کهیل: شرّقا و غرّبا؛ فلا تجدان علما صحیحا إلا شیئا خرج من عندنا (1).

و یقول (علیه السلام) عن الحسن البصری: (فلیذهب الحسن یمینا7.

1- إختیار معرفه الرجال ص 210 و 209 و الکافی ج 1 ص 399 و بصائر الدرجات ص 9 و الوسائل ج 18 ص 47.

و شمالا؛ فواللّه، ما يوجد العلم إلا ها هنا) (1).

و عنه (عليه السلام): (فليذهب الناس حيث شاؤوا؛ فواللّه ليس الأمر إلا ها هنا، و أشار إلى بيته) (2).

و عنه (عليه السلام) أيضا: كل شى ء لم يخرج من هذا البيت فهو و بال (3).

موقف الائمه (ع) من روايه الحديث و كتابته:

لا أعتقد: أننا بحاجه إلى التذكير بموقف الأئمه من روايه الحديث و كتابته، فإن ذلك أوضح من الشمس، و أبين من الأمس. فعلى (عليه السلام) هو الذى رفع الحظر عن روايه حديث النبى (صلى اللّه عليه و آله) (4) و هو الذى يقول: تزاوروا، و أكثروا مذاكره الحديث، فإن لم تفعلوا يندرس الحديث (5).

و هو الذى يقول: (قيدوا العلم، قيدوا العلم)، مرتين. و نحوه غيره (6).

و قد قال (عليه السلام):).

1- الكافى ج 1 ص 50 و وسائل الشيعه ج 18 ص 42/ 43 و 8.
2- الكافى ج 1 ص 399 و بصائر الدرجات ص 12.
3- الإختصاص ص 31.
4- راجع: سرگذشت حديث (فارسى) هامش ص 28 و راجع: كنز العمال ج 10 ص 171 و 172 و 122.
5- معرفه علوم الحديث ص 60 و كنز العمال ج 10 ص 189.
6- تقييد العلم ص 89 و 90 و فى هامشه قال: (و فى حض على (عليه السلام) على الكتابه انظر معادن الجوهر للأمين العاملى 1: 3).

(من يشترى منى علما بدرهم؟.

قال الحارث الأعور: فذهبت، فاشتريت صحفا بدرهم، ثم جئت بها).

قال الراوى: (فكتب له علما كثيرا) (1).

و عنه (عليه السلام):

(إذا كتبتم الحديث فاكتبوه بأسناده، فإن يک حقا كنتم شركاء فى الأجر، و إن يک باطلا كان وزره عليه) (2).

و مثل ذلک كثير عنه (عليه السلام) (3).

كما أن الإمام الحسن (عليه السلام) دعا بنيه، و بنى أخيه، فقال:

(يا بنىّ، و بنى أخى، إنكم صغار قوم يوشک أن تكونوا كبار آخرين؛ فتعلموا العلم؛ فمن لم يستطع منكم أن يرويه؛ فليكتبه، و ليضعه فى بيته) (4).).

1- التراتيب الإداريه ج 2 ص 259 و طبقات ابن سعد ج 6 ص 116 و تاريخ بغداد ج 8 ص 357 و كنز العمال ج 10 ص 156 و تقييد العلم ص 90 و فى هامشه عمن تقدم، و عن كتاب العلم لإبن أبى خيثمه ص 10 و عن المحدث الفاصل ج 4 ص 3.
2- كنز العمال ج 10 ص 129 عن الحاكم، و أبى نعيم، و ابن عساكر.
3- راجع على سبيل المثال: كنز العمال ج 10 كتاب العلم.
4- تقييد العلم ص 91 و نور الأبصار ص 122 و كنز العمال ج 10 ص 153 و سنن الدارمى ج 1 ص 130 و جامع بيان العلم ج 1 ص 99 و العلل و معرفه الرجال ج 1 ص 412 و تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 227 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 246/ 247 عن ابن عساكر، و عن البيهقى فى المدخل، و فى هامش تقييد العلم عن بعض من تقدم، و عن: تاريخ بغداد ج 6 ص 399 (و لم أجد) و عن ربيع الأبرار 12 عن على (عليه السلام).

و قد كتب علي (عليه السلام) عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) كتبا كثيره، كما هو أشهر من أن يحتاج إلى تفصيل و بيان.

و قد حثّ الأئمه (عليهم السلام) شيعتهم على هذا الأمر، كما يظهر بأدنى مراجعه لكتب حديثهم و روايتهم.

بل إن الأئمه (عليهم السلام) كانوا يطّلعون على بعض الكتب التى كانت تؤلف فى زمنهم، و يبدون ملاحظاتهم عليها.

و نرى أن ذكر الشواهد و المصادر لكل ذلک، مع هذه الكثره الكاثره فيها ليست فى محلها، و هى تضييع للوقت و للجهد.

موقف الائمه (ع) من الاسرائيليات و رواتها:

و قد واجه الأئمه (ع) ترهات بنى إسرائيل، بالكلمه و بالموقف، بصرامه و بحزم. و أعلنوا للملأ زيف تلک الأباطيل، و كذبوا من جاؤوا بها بصراحه و وضوح فى مناسبات كثيره.

بل إن أمير المؤمنين عليا (ع)، ليس فقط كذب و فند، و إنما قد هدد و توعد بالجلد أحيانا، كما حصل منه لمن يروى قصه أوريا، كما يزعم القصاصون، كما سيأتى.

و قد وصف (عليه السلام) كعب الأحبار، فقال: إنه لكذاب (1).

و كان كعب منحرفا عن على عليه الصلاه و السلام (2).

هذا بالإضافه إلى أنه قد طرد القصاصين من المساجد، كما سنرى.7.

1- أضواء على السنه المحمديه ص 165 و شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 77 و البحار ط قديم ج 8 ص 675.
2- راجع: شرح النهج للمعتزلى ج 4 ص 77.

و قد كذب الإمام الباقر (عليه السلام) كعب الأحبار فى بعض أباطيله، كروايته: أن الكعبه تسجد لبيت المقدس فى كل صباح (1).

و ذلک من أجل أن يتوصل إلى تبرير جعل الصخره التى فى بيت المقدس قبله لأهل نحلته من اليهود، و أنها هى القبله الأولى و الأعلى، بملاحظه أن الكعبه التى هى قبله المسلمين تسجد للصخره کل صباح.

هذا، و للإمام الصادق (عليه السلام) موقف يكذب فيه أباطيل أهل الكتاب أيضا (2).

كما أنه (عليه السلام) قد قال و هو يتحدث عن العلماء: (و من العلماء من يطلب أحاديث اليهود و النصارى ليغزر به علمه، و يكثر به حديثه، فذاک فى الدرک الخامس من النار) (3).

الشيعه فى مواجهه الفكر الاسرائيلى:

و قد اقتدى الشيعه الأبرار رضوان اللّه تعالى عليهم بأئمتهم (عليهم8.

1- الكافى ج 4 ص 240 و البحار ج 46 ص 354. و يبدو أن كعبا قد استمر على تعظيم الصخره، حتى إنه حينما كان مع عمر فى بيت المقدس، و سأله عمر: أين يجعل المسجد و القبله، قال: خلف الصخره، فقال له عمر: ضاهيت اليهوديه يا كعب. فراجع هذه القضيه بنصوصها المتقاربه فى: الأنس الجليل فى أخبار القدس و الخليل ج 1 ص 256 و الأموال لأبى عبيد ص 225 و الإصابه ج 4 ص 105 و الأسرار المرفوعه ص 457.
2- البحار ج 71 ص 259 ط إيران و ج 46 ص 353/ 354 و سفينه البحار ج 2 ص 167، و الكافى ج 4 ص 239.
3- البحار ج 2 ص 108.

السلام)، فی محاربه الفکر الإسرائیلی الدخیل، و تصدوا لرموزه، و للمروجین له بحزم، و شجاعه، و صلابه، رغم ما کان یتمتع به أولئک الأفاکون من حصانه قویه من قبل الحکام علی أعلی المستویات.

لقد واجههم الشیعه، و تصدوا لهم، عملا بالتکلیف الشرعی، الذی أکده ما روی عن الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله وسلم ، من أنه قال:

(إن اللّه قضی بالجهاد علی المؤمنین فی الفتنه بعدی ...) إلی أن قال: (... یجاهدون علی الإحداث فی الدین، إذا عملوا بالرأی فی الدین، لا رأی فی الدین إلخ ...) (1).

و نذکر هنا بعض النماذج لمواقف أتباع مدرسه أهل البیت، و هی التالیه:

1- لقد أعلن ابن عباس بالنکیر علی أولئک الذین یسألون أهل الکتاب، مع وجود کتاب اللّه بین ظهرانیهم (2).

2- و روی نظیر ذلک عن ابن مسعود أیضا (3).6.

1- تفسیر فرات ص 614 ط جدید.
2- راجع: صحیح البخاری ج 4 ص 193 و 173 و ج 2 ص 71 و المصنف للصنعانی ج 10 ص 314 و ج 11 ص 110 و جامع بیان العلم ج 2 ص 51 و الفصل فی الملل و الأهواء و النحل ج 1 ص 216 و البدایه و النهایه ج 2 ص 134 و مجمع الزوائد ج 1 ص 192 و الدر المنثور ج 1 ص 83 عن البخاری، و عبد الرزاق، و ابن أبی حاتم، و البیهقی فی شعب الإیمان.
3- راجع: المصنف للصنعانی ج 6 ص 112 و ج 11 ص 160 و ج 10 ص 313 و جامع بیان العلم و فضله ج 2 ص 50 و البدایه و النهایه ج 2 ص 134 و فتح الباری ج 13 ص 281 و راجع: سنن الدارمی ج 1 ص 122 و تقیید العلم ص 53 و 56.

3- و قد تصدى ابن عباس، و حذيفه بن اليمان لتكذيب كعب الأحبار صراحه فى بعض الموارد (1).

4- أما أبو ذر ذلک الرجل الصابر المجاهد، فالكل يعلم موقفه من كعب الأحبار فى مجلس الخليفه الثالث عثمان، حينما جاؤوا بتركه عبد الرحمان بن عوف، و تصدى كعب الأحبار لإصدار فتاواه فى دين اللّه؛ فضربه أبو ذر رحمه اللّه بعصاه، و قال له:

(يا ابن اليهوديه، تعلمنا ديننا؟!).

أو (متى كانت الفتيا إليک يا ابن اليهوديه) (2).

ثم كان جزاء هذا الصحابى الجليل هو النفى و التشريد، و مكابده المحن و البلايا، حتى مات مظلوما غريبا فى الربذه، منفاه (3).

على يواجه القصاصين بالحقيقه:

أما موقف على من القصاصين، فتوضحه النصوص التاليه:1.

1- أضواء على السنه المحمديه ص 165 عن الكاف الشاف ص 139.
2- راجع: مروج الذهب ج 2 ص 340 و مسند أحمد ج 1 ص 63 و راجع: حليه الأولياء ج 1 ص 160 و تاريخ الأمم و الملوک ج 3 ص 336 و ج 4 ص 284 و الغدير ج 8 ص 351 عنه. و راجع: أنساب الأشراف ج 5 ص 52 و شرح النهج للمعتزلى ج 3 ص 54 و ج 8 ص 256 و سير أعلام النبلاء ج 2 ص 67- 69 و الطبقات الكبرى لإبن سعد ج 4 ص 232 و الأوائل ج 1 ص 279 و مجمع الزوائد ج 10 ص 239 و حياه الصحابه ج 2 ص 157 و 158 و 259 و عن كنز العمال ج 3 ص 310. و أشار إليه العلامه الطباطبائى فى تفسير الميزان ج 9 ص 258 و 251.
3- راجع كتابنا: دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج 1 ص 111- 141.

1- عن الحارث، عن على، أنه دخل المسجد، فإذا بصوت قاص، فلما رآه سكت، قال على: من هذا؟!

قال القاص: أنا

فقال على: أما أنى سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يقول: سيكون بعدى قصاص لا ينظر اللّه إليهم (1).

2- عن سعيد بن أبى هند: أن عليا مرّ بقاص، فقال: ما يقول؟!

قالوا: يقص!

قال: لا، و لكن يقول: إعرفونى (2).

3- عن أبى عبد الرحمان السّلمى، قال: مرّ على بن أبى طالب برجل يقص، فقال: أعرفت الناسخ من المنسوخ؟

قال: لا.

قال: هلكت و أهلكت (3).

4- عن أبى يحيى، قال: مر بى على و أنا أقص؛ فقال: هل عرفت الناسخ من المنسوخ؟

قلت: لا.

قال: أنت أبو إعرفونى (4).8.

1- كنز العمال ج 10 ص 172 عن أبى عمير بن فضاله فى أماليه.
2- كنز العمال ج 10 ص 172 عن مسدّد، و صحح.
3- الدر المنثور ج 1 ص 106 عن أبى داود فى ناسخه، و عن النحاس فى ناسخه، و عن سنن البيهقى و نثر الدر ج 1 ص 312 و ذكر أخبار أصبهان ج 1 ص 89.

4- كنز العمال ج 10 ص 171 عن المروزى فى العلم. و راجع: ربيع الأبرار ج 3 ص 588.

على (ع) يضرب القصاصين و يطردهم:

لم يقتصر موقف على (عليه السلام) من القصاصين على الإدانه الكلاميه، بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلک، فجاء متميزا و حاسما فى الوقت نفسه، و قد تجلى ذلک فى أنه (عليه السلام) قد استعمل فى مواجهتهم الأساليب التاليه:

1- تعريتهم أمام الناس، و تعريفهم بنواياهم، و ذلک ببيان حقيقه حبهم للظهور، كما تقدم.

2- تهجين عملهم عن طريق نشر أقوال النبى صلى الله عليه و آله وسلم فيهم حيث أنه صلى الله عليه و آله وسلم قال: سيكون بعدى قصاص لا ينظر اللّه إليهم.

3- إظهار جهلهم، و قله معرفتهم، ثم ما يترتب على ذلک من هلاک لهم أنفسهم، ثم إهلاک للآخرين.

و قد تقدمت الأمور الثلاثه الآنفه الذكر.

4- طردهم من المساجد.

5- ضربهم.

و يوضح هذين الأمرين النصوص التاليه:

ألف: عن أبى البخترى، قال: دخل على بن أبى طالب المسجد، فإذا رجل يخوّف، فقال: ما هذا؟

فقالوا: رجل يذكّر الناس.

فقال: ليس برجل يذكّر الناس، و لكنه يقول: أنا فلان بن فلان، إعرفونى. فأرسل إليه فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟!

فقال: لا.

قال: فاخرج من مسجدنا، و لا تذکّر فیه [1].

و المذکر هو القاص فی اصطلاحهم، کما یظهر من الکتب التی تتحدث عن القصاصین، فراجع تبلیس ابلیس، و القصاص و المذکرین لإبن الجوزی.

ب: و حین قدم البصره طرد القصاصین من المسجد، حیث إنه لا ینبغی القصص فی المسجد [2].

ج: عن أبی عبد اللّه (علیه السلام)، أنه قال: (إن أمیر المؤمنین (علیه السلام) رأی قاصا فی المسجد فضربه، و طرده) [3].

6- التهدید بالضرب الوجیع، و بإقامه الحدود علیهم و یوضح ذلک:

ألف: ما روی، من أنه حینما بلغه (علیه السلام) ما یقوله القصاصون فی قصه أوریا قال:

(من حدّث بحدیث داود علی ما یرویه القصاص، جلدته ماءه و ستین جلده، و ذلک حدّ الفریه علی الأنبیاء) [4].04

1- کنز العمال ج 10 ص 171 عن المروزی فی العلم، و النحاس فی ناسخه، و العسکری فی المواعظ، و الدر المنثور ج 1 ص 106 و الجامع لأحکام القرآن ج 2 ص 62.
2- عن قوت القلوب ج 2 ص 302 و راجع: الحوادث و البدع ص 100.
3- الکافی ج 7 ص 263 و تهذیب الأحکام للطوسی ج 10 ص 149 و الوسائل ج 12 ص 111 و ج 18 ص 578 و ج 3 ص 515 و ج 10 ص 468 و ج 11 ص 567 و ج 8 ص 14 و 82 و سفینه البحار ج 2 ص 433 و راجع: الصافی ج 4 ص 296 و مجمع البیان ج 8 ص 472 و تفسیر البرهان ج 4 و راجع: الدر المنثور ج 1 ص 106.
4- راجع: سمیر اللیالی ص 324 و الإسرائیلیات فی کتب التفسیر و الحدیث ص 204

ب: و سيأتى أنه (عليه السلام) قد امتحن أحد القصاصين، فأجابه، و لو أنه عجز عن الجواب لكان قد أوجعه ضربا (1) على حد تعبيره.

موقف سائر الائمه من القصاصين:

و لا يختلف موقف سائر الأئمه (عليهم السلام) عن موقف أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه من القصاصين، و يوضح ذلک النصوص التاليه:

1- إن الإمام السجاد (ع) قد نهى الحسن البصرى عن مزاوله عمل القصص. فاستجاب للنهى (2).

2- و فى محاوره جرت بين الإمام الحسن (عليه السلام) و بين أحد القصاصين، نجد الإمام الحسن يكذّب ذلک الرجل فى دعواه كونه قصاصا تاره، و مذكّرا أخرى؛ باعتبار أن هاتين الصفتين هما للنبى (صلى اللّه عليه و آله)، فلما سأله عن نفسه أى شى ء هو؟.

قال له (عليه السلام): المتكلّف من الرجال (3).

اى الذى يتكلف أمرا ليس له.

3- و عن الإمام الباقر (عليه السلام) فى تفسير قوله تعالى: وَ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آياتِنا أن منهم القصاص (4).2.

1- كنز العمال ج 10 ص 172 عن وكيع فى الغرر، و القصاص و المذكرين ص 23.
2- راجع وفيات الأعيان ج 1 ص 70.
3- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 227 و 228.
4- راجع: تفسير العياشى ج 2 ص 362.

4- و ذكر للإمام الصادق (عليه السلام): أن بعض القصّاص يقول:

هذا المجلس لا يشقى به جليس.

فقال (عليه السلام): هيهات هيهات أخطأت استاهم الحفره (1).

أی أنهم أرادوا شيئا فوقعوا فی غير ما أرادوا.

5- كما أنه (عليه السلام) قد لعنهم، و اعتبرهم يثيرون الناس ضدهم (عليهم السلام).

ثم إنه (عليه السلام) قد حرم الإستماع إلى القصاصين.

هذا بالإضافه إلى أنه (عليه السلام) قد اعتبر أنهم هم الغاوون أتباع الشعراء، كما نصت عليه الآيه الكريمه (2).

شرط الاجازه للقصاصين:

و مما تقدم نعرف: أن معرفه الناسخ من المنسوخ شرط فی السماح للقاص بأن يقص على الناس.

و ثمه شرط آخر، و هو أن يكون عارفا بالدين، واقفا على مراميه و أهدافه، كما يظهر من سؤال أمير المؤمنين للقاص الذی امتحنه، فأجاب؛ فسمح له بمواصله عمله، و لو لا ذلک لكان (عليه السلام) قد أوجعه ضربا.

و لأجل أن البعض لم يكن يعرف الناسخ من المنسوخ، فإنه (عليه السلام) قد حكم عليه بأنه قد هلک و أهلک. و بيّن أن من لا يعرف ذلک، و يتصدی لهذا العمل الخطير فإنه يكون طالبا للدنيا و للشهره بين الناس.1.

1- البحار ج 74 ص 259.
2- بحار الأنوار ج 69 ص 264 و 265 و راجع: وسائل الشيعه ج 6 ص 111.

أما حين يطمئن (علیه السلام) إلى أن القاص جامع للشروط المطلوبه، فإنه (ع) يسمح له بمزاوله عمله ذاک، فقد:

(قال على (علیه السلام) للقاص: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟!

قال: نعم.

قال: قال: قصّ) (1).

و معنى ذلک، هو أن القصاصيين كانوا إلى جانب و عظهم الناس، يقومون بمهمات أخرى، و هی بيان الأحكام الشرعيه، و تفسير القرآن، إلى جانب أمور تقدمت و ستأتی الإشارات إليها فی الموارد المختلفه.

و تقدم فی فصل: القصاصون يثقفون الناس رسميا: أن الإمام الباقر (علیه السلام) قد قال لسعد الإسكاف: وددت أن على كل ثلاثين ذراعا قاصا مثلک.

و أن أبان بن تغلب كان قاص الشيعه.

و أن عدی بن ثابت الكوفی كان إمام مسجد الشيعه و قاصهم.

امتحان القصاصين:

ثم إننا قد رأينا أمير المؤمنين (علیه السلام)، يجری امتحانا لأحد القصاصين، فلو لم ينجح فی الإمتحان لكان (علیه السلام) قد أوجعه ضربا.

فقد رووا: أنه (علیه السلام) انتهى إلى قاص يقص، فقال:5.

1- القصاص و المذكرين ص 105.

تقصّ، و نحن حديثوا عهد برسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ؟! أما أنى أسألک عن مسألتين، فإن أصبت و إلا أوجعتک ضربا.

قال: سل يا أمير المؤمنين.

قال: ما ثبات الإيمان و زواله؟

قال: ثبات الإيمان الورع، و زواله الطمع (1).3.

1- كنز العمال ج 10 ص 172 عن وكيع فى الغرر، و القصاص و المذكرين ص 23.

ص: 195

الفصل السابع: اجراءات و ضوابط مشبوهه:

اشاره

معايير لحفظ الانحراف:

و بعد، فإن التصدى للفكر الإسرائيلى، و إن أفلح فى حفظ و صيانه الإسلام إلى حدّ بعيد، و لكن آثار هذا الحفظ إنما ظهرت، أو فقل: قد اقتصرت على التيار الذى كان يقوده الأئمه (عليهم السلام) و شيعتهم، و من تخرّج من مدرستهم، و اختار طريقتهم و نهجهم.

أما الآخرون؛ الذين كانوا فى الخط الآخر، فقد استمروا فى التحرک فى دائره السياسه المعلنه، و المصرح بها من قبل الحكام، فأخذوا عن أهل الكتاب الشى ء الكثير مما هو محرف و مدسوس، و نفذوا و التزموا بالإسلام الذى راق للحكام، و روجوا له.

فكان أن شحنوا كتبهم و مجاميعهم الحديثيه بالشى ء الكثير من الفتاوى، و المعارف، و العقائد، و السياسات، و السير و التواريخ، التى تنسجم مع ما يريده أولئک الحكام، مما اتحفهم به أهل الكتاب، أو غيرهم من المرتزقه و المتزلفين.

نعم، لقد شحنوا بها كتبهم، و مجاميعهم، من دون أى تحقيق، أو تمحيص، إلا فيما يمسّ القشر، و لا يتعرض لما دونه فى شى ء؛ لأنها قد جاءت محكومه لضوابط و معايير من شأنها أن تكرّس الإنحراف، و تقوى

من تياره، و تعمق جذوره، لأنها إنما وضعت لتأكيد تلك الأباطيل و الترهات و من خلالها، و من أجل حفظ الإنحراف و تكريسه لا لإزالته و التخلص منه.

أما المعايير الحقيقيه و الضوابط الأصيله، القادره على كشف الزيف، و إحقاق الحق. فقد كانت مرفوضه من هؤلاء الناس جمله و تفصيلا، حتى إن ما ورد من الأمر بعرض الحديث على كتاب اللّه سبحانه، قد رفض، و ضرب به عرض الجدار، بل قد اعتبروه من وضع الزنادقه، كما سيأتى فى الفصل التالى إن شاء اللّه تعالى.

نماذج يسيره:

اشاره

و نحن من أجل جلاء الحقيقه، و التعريف بحقيقه المؤامره، نذكر هنا نماذج يسيره من ضوابط تهدف لحفظ الإنحراف، و معايير لتكريس الباطل و ترسيخه، بكل ما فيه من فتاوى باطله، و روايات مختلفه، أو محرفه، و أساطير و ترّهات عن أهل الكتاب و غيرهم.

بالإضافه إلى أساليب تبرير المواقف اللا إنسانيه و اللاشرعيه، التى صدرت و تصدر عمن يهمهم حفظهم، و الإحتفاظ بهم بأى ثمن كان.

و النماذج التى نريد تقديمها إلى القارئ الكريم هى التاليه:

1- الصحابه كلهم عدول:

اشاره

لقد كان الكثيرون من الصحابه، ممن تهتم السلطه، و بعض الفئات و الإتجاهات المذهبيه و السياسيه بإعطائهم دورا متميزا و أساسيا، سواء على الصعيد السياسى، أو العقيدى، أو فى مجال الحديث، و الروايه، أو الفتيا، أو على صعيد المواقف، تأييدا و تأكيدا، أو غير ذلك.

مع أن أولئک الأشخاص لا یملکون تاریخا نظیفا و لا مشرفا، لا فی حیاتهم السلوکیه من حیث الإلتزام بأحکام الدین، و لا فی مجال التحلی بمکارم الأخلاق، و حمید الخصال.

فکان أن عملوا من أجل تبریر انحرافاتهم و مخالفاتهم، و تبرئتهم مما ارتکبوه من جرائم، و موبقات، حتی ما هو مثل الزنا، و شرب الخمر، و قتل النفوس، و سرقه بیت مال المسلمین، و ما إلی ذلک، علی إختراع إکسیر یستطیع أن یحول تلک الجرائم و الموبقات، و المعاصی، إلی خیرات، و طاعات و مبرات، و حسنات، یستحقون علیها المثوبه، و ینالون بها رضا اللّه و الجنه.

و کان هذا الاکسیر هو دعوی:

أن الصحابه بساطهم مطوی، و إن جری ما جری، و إن غلطوا کما غلط غیرهم من الثقات (1). و (الصحابه کلهم عدول، سواء منهم من لا بس الفتن، و من لم یلابس) و ذلک بإجماع من یعتد به من الأمه (2).8.

1- أضواء علی السنه المحمدیه ص 342 عن الذهبی فی رسالته التی الفها فی الرواه الثقات.
2- راجع: الکفایه فی علم الروایه ص 46- 49 و الباعث الحثیث ص 182 و 181 و تدریب الراوی ج 2 ص 214 و السنه قبل التدوین ص 394 و 403 و عنهم و عن فتح المغیث ج 4 ص 35. و راجع: علوم الحدیث لإبن الصلاح ص 264 و 265 و 268 و علوم الحدیث لصبحی الصالح ص 353 الطبعه الثامنه و قواعد فی علوم الحدیث للتهانوی ص 202 و 203 و الإصابه ج 1 ص 9 و 10 و الأحکام فی أصول الأحکام ج 2 ص 81 و 82 و فواتح الرحموت ج 2 ص 156 و إرشاد الفحول ص 70 و 69 و 64 و 65 و الخلاصه فی علوم الحدیث ص 124 و 94 و 67 و سیر أعلام النبلاء ج 2 ص 608.

و عمده مستندهم فی ذلک آیات کریمه ورد فیها ثناء علی الصحابه فی ظاهر الأمر. مع أن الثناء ناظر إلی بعض منهم، و هم خصوص المتصفین بصفه الإیمان، مع مواصفات معینه أخری أشارت إلیها، أو صرحت بها تلک الآیات بالذات. و قد تحدثنا عن ذلک باختصار فی کتابنا: صراع الحریه فی عصر المفید، فراجع.

أضف إلی ذلک: أن تلک الآیات لم تتناول الأفراد بالنصوصیه، إنما غایتها عموم، یرد التخصیص علیه بحسب الموارد. مع أن دلیل شمول الصحبه لمطلق من رأی النبی صلی الله علیه و آله وسلم رکیک جدا (1).

لفت نظر:

لا أدری إن کان قولهم بعداله کل صحابی، یشبه القول بعصمه الحاخامات لدی الیهود (2)، أو أنه مستوحی منهم، أم لا؟.

2- من هو الصحابی؟:

و قد یکون من بین من یراد تبریر جرائمه و موبقاته، من کان حین وفاه النبی صلی الله علیه و آله وسلم صغیرا جدا، أو لم یر النبی صلی الله علیه و آله وسلم سوی مره واحده، فی ساعه من نهار، و بصوره عابره، فجاءت المعالجه من قبل من یهمهم أمر هؤلاء؛ فقررت: أن الصحابی هو کل من صحب النبی صلی الله علیه و آله وسلم سنه أو شهرا، أو یوما، أو ساعه، أو رآه (3).ی-

---

1- أضواء علی السنه المحمدیه ص 349 عن العلم الشامخ للمقبلی ص 297- 312.
2- راجع: مقارنه الأدیان (الیهودیه) ص 222.
3- راجع: الکتابه فی علم الروایه ص 51 و راجع ص 50 و الباعث الحثیث ص 179 و 181 متنا و هامشا و الإصابه ج 1 ص 5 و 7 و 4 و نهایه الوصول ج 3 ص 179 و إرشاد الفحول ص 70 و أضواء علی السنه المحمدیه ص 352 و تدریب الراوی-

و عدوا من الصحابه صبيانا و أطفالا رأوا النبى (صلى اللّه عليه و آله) يوم الفتح، و فى حجه الوداع، و غيرهما (1).

3- صحابيه المرتد:

و حين يجدون: أن بعص من يعزّ عليهم من الصحابه يرتد عن الدين، و يحارب النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، ثم يعود فيظهر الإسلام، كطليحه بن خويلد، و بعضهم ارتد، و أهدر النبى صلى الله عليه و آله وسلم دمه، كما هو الحال بالنسبه لعبد اللّه بن سعد بن أبى سرح.

و كذا الحال بالنسبه للأشعث بن قيس الذى ارتد عن الإسلام، ثم لما أسر، و أظهر التوبه فى عهد أبى بكر أطلقه الخليفه، و زوجه أخته فى نفس الساعه (2).

إنهم حين يجدون ذلک، يبادرون إلى ادّعاء: أن الصحابى إذا ارتد ذهبت صحابيته، فإذا عاد إلى الإسلام عادت إليه صحابيته، من دون1.

1- راجع: الباعث الحثيث ص 184 و السنه قبل التدوين ص 392 و معرفه علوم الحديث ص 24 و علوم الحديث لصبحى الصالح ص 356 و 357 ط 8 و راجع: سلّم الوصول ج 3 ص 180.
2- راجع: الإصابه ج 1 ص 51.

حاجه إلى أن يرى النبى صلى الله عليه و آله وسلم من جديد (1)، أى و تعود إليه عدالته أيضا!!

4- السكوت عما شجر بين الصحابه:

لقد كان و لا يزال الجهر بما فعله بعض الصحابه محرجا، بل مخجلا لمن يعتقدون لزوم موالاتهم، و الإرتباط بهم، و يوجب سلب ثقه الناس بأناس يراد لهم أن يثقوا بهم، بل يراد لهم أن يقدسوهم.

و لو فرض أنه يمكن إسكات بعض العوام، بواسطه إطلاق بعض الشعارات البراقه و الرنانه، أو بواسطه بعض الفتاوى المختلقه، أو بشى ء من الترغيب أو الترهيب، فإن ذلک لا يتيسر بالنسبه لجميع الناس، فلا بد من اعتماد أسلوب آخر للخروج من المأزق.

فقالوا عن الصحابه: (الواجب علينا أن نكف عن ذكرهم إلا بخير) (2).

و قالوا: ينبغى للقاص (أن يترحّم على الصحابه، و يأمر بالكف عما شجر بينهم، و يورد الأحاديث فى فضائلهم) (3).

و قد أخذوا على أبى عمر بن عبد البر: أنه قد شان كتابه (الإستيعاب) بذكر ما شجر بين الصحابه. (4)4.

1- راجع الإصابه ج 1 ص 158 ص 8 و ترجمه طليحه و تدريب الراوى ج 2 ص 209 و راجع فواتح الرحموت ج 1 و سلّم الوصول ج 3 ص 180.
2- السنه قبل التدوين ص 397 عن المنهج الحديث فى علوم الحديث ص 62 عن شرح مسلّم الثبوت.
3- القصاص و المذكرين ص 115.
4- الباعث الحثيث ص 179 و علوم الحديث لإبن الصلاح ص 262 و تقريب النواوى (مطبوع مع تدريب الراوى) ج 2 ص 207 و الخلاصه فى أصول الحديث للطيبى ص 124.

5- من ينتقد الصحابه زنديق:

و حيث لم ينفع الأمر بالسكوت عما شجر بين الصحابه، فقد لجأوا إلى أسلوب آخر للخروج من المأزق. و هو اتهام من ينتقد الصحابه بالزندقه، و الخروج من الدين، و الإلحاد.

قال أبو زرعه: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، فاعلم أنه زنديق، و ذلک أن الرسول صلى الله عليه و آله وسلم عندنا حق، و القرآن حق، و ما جاء به حق. و إنما أدى الينا هذا القرآن و السنن أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم . و إنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب و السنه، و الجرح بهم أولى. و هم زنادقه) (1).

و قال السرخسى: (من طعن فيهم فهو ملحد، منابذ للإسلام، دواؤه السيف، إن لم يتب) (2).

و من الواضح: أن حمله الإسلام و تعاليمه الى الأمم ليسوا هم الوليد بن عقبه و لا مروان بن الحكم، و لا إبن أبى سرح نظراؤهم، و إنما هم على (عليه السلام) و أهل البيت و أبو ذر و سلمان و ابن مسعود، و أبى بن كعب و نظرائهم من أعلام الأمه و علمائها. و ما كلام أبى زرعه و غيره هنا إلّا مغالطه ظاهره، لا تسمن و لا تغنى من جوع.

6- لا يفسق الصحابى بما يفسق به غيره:

أما بالنسبه إلى المعاصى التى ارتكبوها، و لا يمكن دعوى التأويل و الإجتهاد فيها، فقد جاء تبريرها بدعوى:4.

1- الكفايه فى علم الروايه ص 49 و السنه قبل التدوين ص 405 عنه.
2- أصول السرخسى ج 2 ص 134.

أن الصحابی لا یفسق بما یفسق به غیره.(1)

7- حتمیه توبه الصحابی:

و إذا ارتکب الصحابی ما یوجب العقاب له أخرویا، مما توعّد اللّه عباده علیه بالعقاب بالنار، و لم یمکن دفع ذلک عنه، لا بدعوی الإجتهاد، و التأویل، و لا بغیر ذلک.

فإن علاج ذلک هو بالقول:

إن التوبه حتمیه الوقوع ممن یعصی منهم.(2)

8- ذنب البدری یقع مغفورا:

و لبعض الشخصیات مزید من الأهمیه، فلا یمکن ترکها تعصی اللّه، ثم ننتظر إلی أن تصدر التوبه منها، و هی قد تتأخر بعض الوقت.

بل لا بد من مغفره ذنوب هؤلاء فورا.

ففتشوا عن تاریخ هؤلاء الأشخاص، فوجدوا أنهم ممن حضر بدرا- و إن لم یعلم عنه أنه قاتل- فجاءت المعالجه لتقدم معیارا جدیدا یقول:

إن ما یقع من معاص لا یحتاج إلی التوبه، إذا کان مرتکب ذلک ممن شهد بدرا لأن أهل بدر مغفور لهم.(3).ا

1- السیره الحلبیه ج 2 ص 203 و 204 عن الخصائص الصغری، عن شرح جمع الجوامع و راجع: فتح الباری ج 7 ص 237.
2- راجع: فتح الباری ج 7 ص 238 و السیره الحلبیه ج 2 ص 203.
3- راجع: الصحیح من سیره النبی الأعظم صلی الله علیه و آله وسلم ج 3 حین الحدیث حول غفران ذنب من شهد بدرا.

9- الصحابه مجتهدون:

و كان لا بد من تبرير أخطاء وقع فيها بعض الصحابه، سواء فى مواقفهم، أو فى فتاواهم، حتى حارب بعضهم بعضا، و أزهقت أرواح كثيره، و سفكت دماء غزيره، و خرج بعضهم على إمام زمانه، و قاتلوه. كما جرى فى الجمل، و صفين، و النهروان.

فاخترعوا للصحابه مسأله الإجتهاد، فكلهم مجتهدون (1)، و لا اعتراض على المجتهد، بل هو إن أصاب فله أجران، و إن أخطأ كان له أجر واحد.

و بهذا أدخلوا معاويه، و طلحه بن الزبير الجنه، و منحوهم المزيد من الثواب على ما فعلوه و ما ارتكبوه من جرائم فى حق الإمام و الأمه.

و أصبح من حلل منهم الربا، و شرب الخمر مأجورا و مثابا، بل إن خالد بن الوليد، الذى قتل مالک بن نويره بدون جرم، ثم نزا على زوجته فى نفس الليله مثاب و مأجور على ذلک أيضا.

و الخلاصه: أن المصيب منهم له أجران، كعلى (عليه السلام) و أصحابه.

و المخطى ء كمعاويه، و من معه لهم أجر واحد. بل كان ما فعلوه بالإجتهاد، و العمل به واجب، و لا تفسيق بواجب (2).

و بتعبير آخر: (إن جميع من اشترک فى الفتنه من الصحابه عدول،5.

1- راجع: التراتيب الإداريه ج 2 ص 364- 366.
2- راجع: فواتح الرحموت فى شرح مسلّم الثبوت ج 2 ص 158 و 156 و سلّم الوصول (مطبوع مع نهايه السول) ج 3 ص 176 و 177 و السنه قبل التدوين هامش ص 396 و 404 و 405.

لأنهم اجتهدوا فى ذلک) (1).

و قال الکیا الطبری: (و أما ما وقع بینهم من الحروب و الفتن، فتلک أمور مبنیه على الإجتهاد، و کل مجتهد مصیب، و المصیب واحد، و المخطى ء معذور، بل مأجور) (2).

و الملفت للنظر هنا: أننا نجد البعض لا تطاوعه نفسه على تخطئه الفئه الباغیه على إمام زمانها، فیقول: إن علیا (علیه السلام) و أصحابه کانوا أقرب إلى الحق (3).

و کأنه یرید أن یوحی للقارئ بأن معاویه قریب أیضا لکن على أقرب، کما أنه بتعبیره هذا یکون قد تجنب التصریح بکون على (علیه السلام) مع الحق، و الحق معه. و لا نستغرب على هؤلاء مثل هذا البغى و الظلم، فإنما هى شنشنه أعرفها من أخزم.

و قال المقبلى، و نعم ما قال: (بعد أن تم لهم تعریف الصحبه ذیلوها باطّراح ما وقع من مسمّى الصحابى؛ فمنهم من یتستر بدعوى الإجتهاد، دعوى تکذبها الضروره فى کثیره (کذا) من المواضع، و منهم من یطلق- و یا عجباه من قله الحیاء- فى ادّعائهم الإجتهاد لبسر بن أرطأه، الذى انفرد بأنواع الشر؛ لأنه مأمور المجتهد معاویه، ناصح الإسلام فى سب على بن أبى طالب و حزبه. و کذلک مروان، و الولید الفاسق. و کذلک الإجتهاد الجامع للشروط فى البیعه لیزید، و من أشار بها، و سعى فیها، أو2.

1- السنه قبل التدوین ص 404 و راجع: إختصار علوم الحدیث (الباعث الحثیث) ص 182.
2- إرشاد الفحول ص 69.
3- إختصار علوم الحدیث (الباعث الحثیث) ص 182.

رضيها) (1).

و للعلامه أبی ریّه تعلیقات هامه علی کلام المقبلی هذا، یذکر فیها أفاعیل بعض الصحابه مع رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و أمورا أخری، فراجع.

کما أن ابن خلدون قد انتقد دعوی اجتهاد جمیع الصحابه هذه؛ فقال:

(إن الصحابه کلهم لم یکونوا أهل فتیا، و لا کان الدین یؤخذ عن جمیعهم، و إنما کان ذلک مختصا بالحاملین للقرآن، العارفین بناسخه و منسوخه إلخ ...) (2).

10- إجماع الأئمه المهتدین:

و قال مالک بن أنس: (سنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم و ولاه الأمر بعده سننا، الأخذ بها تصدیق لکتاب اللّه عزّ و جلّ، و استکمال لطاعه اللّه، و قوه علی دین اللّه. من عمل بها مهتد، و من استنصر بها منصور، و من خالفها اتبع غیر سبیل المؤمنین، و ولّاه اللّه ما تولّی) (3).

و عن عمر بن الخطاب، أنه قال لشریح، حین ولّاه القضاء: (فإن لم تعلم کل أقضیه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، فاقض بما استبان لک من أمر الأئمه المهتدین) (4).7.

1- أضواء علی السنه المحمدیه ص 352 عن الأرواح النوافخ (المطبوع مع العلم الشامخ) ص 687 و 688.
2- المقدمه لإبن خلدون ص 389.
3- تهذیب تاریخ دمشق ج 6 ص 307.
4- شرف أصحاب الحدیث ص 7.

و قال الخطیب البغدادی، بالنسبه للأمور التی لم یسمع من النبی صلی الله علیه و آله وسلم فیها شی ء: (إجماع الأئمه (الأمه خ ل) علی التحلیل و التحریم یثبت به الحکم، کأمر النبی صلی الله علیه و آله وسلم) (1).

و المراد بالأئمه المهتدین حسب الظاهر هم الخلفاء الثلاثه الأول، ما عدا علی (علیه السلام)، کما سنری.

11- رأی الصحابی حیث لا نص:

قال الخطیب: (إن کانوا قد قالوا رأیا و اجتهادا، و لم یسمع من النبی صلی الله علیه و آله وسلم فیه شی ء: فإجماع الأئمه (الأمه خ ل) علی التحلیل و التحریم یثبت به الحکم کأمر النبی صلی الله علیه و آله وسلم) (2).

و ذکر المقریزی أیضا: أن أبا بکر کان یقضی بما کان عنده من الکتاب و السنّه؛ فإن لم یکن عنده شی ء، سأل من بحضرته من الأصحاب، فإن لم یکن عندهم شی ء اجتهد فی الحکم (3).

و ذکر بعض آخر: أن الصحابه کانوا یغیبون عن مجلس النبی (صلی اللّه علیه و آله)، فکانوا یجتهدون فیما لم یحضروه من الأحکام (4).

و مهما یکن من أمر، فقد ذهب الأکثرون إلی جواز الإجتهاد فیه.

1- الکفایه فی علم الروایه ص 421/ 422.
2- المصدر السابق.
3- راجع: الخطط و الآثار ج 2 ص 332 و تاریخ حصر الإجتهاد ص 90- 93 و راجع: الغدیر ج 7 ص 119 عن سنن الدارمی ج 1 ص 58 و عن الصواعق المحرقه ص 10 و عن تاریخ الخلفاء ص 71 و عن أعلام الموقعین ص 19 و عن جامع بیان العلم ج 2 ص 51 و عن ابن سعد فی الطبقات.
4- المصادر السابقه.

عصر النبی (صلی اللّه علیه و آله) و وقوعه. و قد ذکروا فی ذلک أقوالا کثیره، و تفصیلات عدیده، فلتراجع فی مظانها.(1)

12- الاجتهاد فی مقابل النص کرامه للصحابه:

و تجد من العلماء من یقول: إن الصحابه (کانوا مخصوصین بجواز العمل و الفتوی بالرأی کرامه لهم.

فیجوز لهم العمل بالرأی فی موضع النص، و قد فعلوا ذلک فی عهد رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، و لم ینکر صلی الله علیه و آله وسلم ذلک علیهم. و هذا من الأمور الخاصه بهم دون غیرهم).(2)

13- الصحابه یشرّعون و فتاواهم سنّه:

و قد رأینا فی أحیان کثیره: أن بعض الصحابه یصرّحون بأن ما یفتون به ما هو إلا رأی رأوه. و قد ظهر خطأ کثیر منهم فی فتاواه و آرائه هذه، و مخالفتها للنص القرآنی، و لما ثبت بالأسانید الصحیحه عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله).

فکان لا بد من علاج ذلک، و تلافی سلبیاته، فجاءت النظریه الغریبه عن روح الإسلام لتقرر: أن للصحابه حق التشریع، و أن فتاواهم سنّه، إلا ما أفتی به علی (علیه السلام).

و یتضّح ذلک بمراجعه النصوص التالیه:

قال أبو زهره: (وجدنا مالکا یأخذ بفتواهم علی أنها من السنه)(3).0.

1- راجع: إرشاد الفحول ص 256 و 257.
2- راجع: أصول السرخسی ج 2 ص 134 و 135 ثم إنه ناقش هذه النظریه و ردّها.
3- ابن حنبل ص 251/ 252 و مالک ص 290.

و قد رأينا أنهم يعقدون فى كتب أصولهم بابا لكون قول الصحابى فيما يمكن فيه الرأى ملحق بالنسبه لغير الصحابى بالسنه. و قيل: (إن ذلك خاص بقول الشيخين أبى بكر و عمر) (1).

و خطب عثمان حينما بويع فقال: إن لكم علىّ بعد كتاب اللّه عز و جل، و سنه نبيه صلى الله عليه و آله وسلم ثلاثا:

(إتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه و سننتم، و سنّ سنه أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملأ) (2).

و قال للبعض: السنه هى: (ما سنه رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم و الصحابه بعده عندنا) (3).

و أمثال ذلک كثير، فراجع كتب أصول الفقه، و كتابنا: الحياه السياسيه للإمام الحسن (عليه السلام) ص 86- 90.

لفت نظر: و نعود فنذكر بأن اليهود يقولون: إن أقوال الحاخامات كالشريعه (4).

14- سنه الشيخين و الخلفاء سوى على (ع):

قد تقدم: أنهم يعقدون بابا فى كتب الأصول يذكرون فيه: أن قولى.

1- راجع على سبيل المثال: فواتح الرحموت ج 2 ص 186 و التراتيب الإداريه ج 2 ص 366/ 367 و سلم الوصول فى شرح نهايه السول ج 4 ص 410 و راجع نهايه السول ج 4 ص 410 و أصول السرخسى ج 2 ص 114/ 115.
2- حياه الصحابه ج 3 ص 505 عن تاريخ الأمم و الملوک ج 3 ص 446.
3- أصول السرخسى ج 2 ص 113 و راجع: نهايه السول ج 4 ص 416.
4- مقارنه الأديان (اليهوديه) ص 222 تأليف الدكتور أحمد شلبى.

الصحابی فیما یمکن فیه الرأی ملحق بالسنه، و قیل: إن ذلک خاص بقول الشیخین أبی بکر و عمر.

و قال عمر بن عبد العزیز: (ألا إن ما سنّه أبو بکر و عمر، فهو دین نأخذ به، و ندعو إلیه).

و زاد المتقی الهندی: (و ما سنّ سواهما فإنا نرجیه) (1).

و رووا عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قوله: (علیکم بسنتی و سنه الخلفاء الراشدین) (2).

و بهذا استدل الشافعی علی حجیه قول أبی بکر و عمر (3).

مع أننا قد أشرنا إلی أن هذا الحدیث- لو صح- فالمقصود بالخلفاء الراشدین هم الأئمه الإثنا عشر (علیهم السلام)، الذین ذکرهم النبی صلی الله علیه و آله وسلم مرات کثیره، کما فی صحیح مسلم و البخاری و أبی داود و غیر ذلک (4).

و المقصود بسنه الخلفاء هو ما تلقوه عن رسول اللّه، و استفادوه من کتاب اللّه من أحکام و سنن و تشریعات.70

1- کنز العمال ج 1 ص 332 عن ابن عساکر، و کشف الغمه للشعرانی ج 1 ص 6 و النص له.
2- راجع: الثقات لإبن حبان ج 1 ص 4 و نهایه السول ج 3 ص 266 و 267 و سلم الوصول فی شرح نهایه السول ج 4 ص 410 و أصول السرخسی ج 1 ص 116 و 114 و إرشاد الفحول ص 33 و الأحکام فی أصول الأحکام للآمدی ج 4 ص 204 و حیاه الصحابه ج 1 ص 12 و عن کشف الغمه للشعرانی ج 1 ص 6.
3- راجع المصادر التی فی الهامش السابق.
4- راجع کتابنا: الغدیر و المعارضون ص 61- 70

و يقول عثمان: (إن السنه سنه رسول اللّه و سنه صاحبيه [(1)].

و فى قضيه الشورى يعرض عبد الرحمان بن عوف على أمير المؤمنين على (عليه السلام): أن يبايعه على العمل بسنه النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، و سنه الشيخين: أبى بكر و عمر؛ فأبى (عليه السلام) ذلک، فحولت البيعه إلى عثمان [(2)].

و قد بلغ من تأثير الشيخين على الناس، و نفوذهما فيهم: أننا نجد ربيعه بن شداد لا يرضى بأن يبايع عليا أمير المؤمنين (عليه السلام) على كتاب اللّه و سنه رسوله. و قال: على سنه أبى بكر و عمر.

فقال له (عليه السلام): (ويلک، لو أن أبا بكر و عمر عملا بغير كتاب اللّه و سنه رسوله لم يكونا على شى ء) [(3)].

و قال ابن تيميه:

(فأحمد بن حنبل و كثير من العلماء يتبعون عليا فيما سنّه، كما يتبعون عمر و عثمان فيما سنّاه، و آخرون من العلماء- كمالک و غيره- لا يتبعون عليا فيما سنّه. و كلهم متفقون على اتباع عمر و عثمان فيما سناه) [(4)].6

1- سنن البيهقى ج 3 ص 144 و الغدير ج 8 ص 100 عنه و راجع: الطبقات الكبرى لإبن سعد ج 2 قسم 2 ص 135. و راجع روايه صالح بن كيسان و الزهرى فى تقييد العلم ص 106 و 107 و فى هامشه عن العديد من المصادر.
2- راجع قصه الشورى فى أى كتاب تاريخى شئت. و راجع: أصول السرخسى ج 2 ص 114 و الأحكام فى أصول الأحكام للآمدى ج 4 ص 133.
3- بهج الصباغه ج 12 ص 203.
4- منهاج السنه ج 3 ص 205 و قواعد فى علوم الحديث ص 446.

15- سنه کل إمام عادل:

ثم لما مست الحاجه إلى فتاوى و تبریرات أخرى اقتضتها سیاسات الحکام، و تصدّى الحکام لسنّ بعض السنن، جاء المبرر الآخر المنسوب إلى إبن عباس، لیکون أکثر قبولا لدى أهل العلم، و إن کنا لا نوافق على نسبته له، لیقول:

(السنه سنتان: من نبى، أو من إمام عادل) (1).

16- سنه و فتوى کل أمیر:

و حین زاد تدخل الحکام فى شرع اللّه، و فى دینه، و اتسع نطاقه، و تعدى دائره الخلفاء، و کان لا بد من تبریر ذلک أیضا، قالوا:

إنه بعد موت أبى بکر، و فتح سائر البلاد فى عصر عمر، و بعده، تزاید تفرّق الصحابه فى البلاد. فکان أمیر کل بلد یجتهد، لو لم یکن فیها صحابى (2).

و کأنهم یریدون بصیاغه الأمور على هذا النحو الإیحاء بأن ذلک قد کان بسبب الضروره، حیث لم یکن ثمه مخرج إلا ذلک.

مع أن المخرج موجود، بمرأى منهم و مسمع و هو الأخذ بقول النبى فیما یرتبط بالتمسک بالعتره، فإنهم سفینه نوح من رکبها نجا، و من تخلف عنها غرق، و هم أحد الثقلین، اللذین لن یضل من تمسک بهما.

17- رأى الصحابى أقوى من رأى غیره:

1- کنز العمال ج 1 ص 160 عن الدیلمى فى الفردوس.
2- راجع: الخطط و الآثار للمقریزى ج 2 ص 332 و تاریخ حصر الإجتهاد ص 90 و 93.

قد عرفنا: أن بعض الصحابه یصدرون فتاوی، لم یستندوا فیها إلی آیه و لا إلی روایه، و إنما هو الرأی منهم، و هو قد یخطیء و یصیب. و صار یناقض بعضهم بعضا أحیانا. بل قد نجد التناقض فی آراء الصحابی الواحد.

یقول البعض: إن الصحابه کانوا یغیبون عن مجلس النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، فکانوا یجتهدون فیما لم یحضروه من الأحکام. و لعدم تساوی هؤلاء المجتهدین فی العلوم و الإدراکات، و سائر القوی و الملکات، تختلف- طبعا- الآراء و الإجتهادات، ثم تزایدت تلک الإختلافات، بعد عصر الصحابه (1).

فکان لا بد من علاج هذه الحاله، و تلافی سلبیاتها، فکان أن اخترعوا لنا دعوی: (أن قول الصحابی إن کان صادرا عن الرأی؛ فرأیهم أقوی من رأی غیرهم؛ لأنهم شاهدوا طریق رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم فی بیان أحکام الحوادث، و شاهدوا الأحوال التی نزلت فیها النصوص، و المحالّ، التی تتغیر باعتبارها الأحکام ...) (2) ثم قرروا علی هذا الأساس لزوم تقدیم رأیهم علی رأینا، لزیاده قوه فی رأیهم.

18- قول الصحابی یعارض الحدیث الصحیح:

و إذا خالفت فتوی الصحابی قولا صریحا، و حدیثا صحیحا عن رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)، فإن الإمام مالک بن أنس یعاملهما معامله المتعارضین.8.

1- راجع: الخطط و الآثار للمقریزی ج 2 ص 332 و تاریخ حصر الإجتهاد ص 90 و 92.
2- أصول السرخسی ج 2 ص 108.

قال أبو زهره: (إن مالكا يوازن بينها و بين الأخبار المرويه، إن تعارض الخبر مع فتوى صحابى. و هذا ينسحب على كل حديث عنه صلى الله عليه و آله وسلم ، حتى لو كان صحيحا) (1).

و نقل عن الشوكانى ما يقرب من ذلك أيضا (2).

و قال الأسنوى عن قول الصحابى: (فهل يخص به عموم كتاب أو سنه؟ فيه خلاف لأصحاب الشافعى، حكاه الماوردى).

و (قال فى جمع الجوامع: و فى تخصيصه للعموم قولان. قال الجلال: الجواز كغيره من الحجج. و المنع إلخ ..) (3).

و قال ابن قيم الجوزيه عن الإمام أحمد بن حنبل:

(و كان تحريه لفتاوى الصحابه كتحرّى أصحابه لفتاويه و نصوصه، بل أعظم، حتى إنه ليقدم فتاواهم على الحديث المرسل) برجال ثبت (4).

و قال التهانوى: (لا لوم على الحنفيه إذا أخذوا فى مسأله بقول ابن مسعود و فتواه، و تركوا الحديث المرفوع؛ لإعترافكم بأن فتوى الصحابى هو الحكم و هو الحجه، و إذا تعارض الحديثان يعمل بالترجيح؛ فإن رجّح القياس أو مرجح آخر سواه قول الصحابى على الخبر المرفوع، فينبغى أن يجوز عندكم الأخذ بقول الصحابى).

و لكنه عاد فقال: (إن غالب أقوال الصحابه و فتاواهم كان على سبيل التبليغ عن قول النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، أو فعله أو أمره. و إذا كان كذلك فيجوز9.

1- ابن حنبل ص 251 و مالک ص 290.
2- ابن حنبل ص 254 و 255 عن إرشاد الفحول ص 214.
3- نهايه السول، و سلّم الوصول بهامشه ج 4 ص 408.
4- أعلام الموقعين ج 1 ص 29.

للمجتهد أن يرجح فتوى الصحابى على المرفوع الصريح أحيانا، إذا ترجح عنده كون فتوى الصحابى مبنيه على جهه التبليغ دون الرأى) (1).

و لكن مراجعه فتاوى الصحابه توضح عدم صحه قوله: إنها كانت على سبيل التبليغ، لكنه أراد تخفيف قبح هذا العمل.

19- عمل الصحابى يوجب ضعف الحديث:

قال التهانوى: (عمل الصحابه أو صحابى بخلاف الحديث يوجب الطعن فيه، إذا كان الحديث ظاهرا عليهم أو عليه) (2).

و قال السرخسى: (أما ترك العمل بالحديث أصلا، فهو بمنزله العمل بخلاف الحديث، حتى يخرج به عن أن يكون حجه) (3)

20- مراسيل الصحابه:

كثيرا ما نجد أنهم قد نسبوا إلى بعض الصحابه أمورا يدّعى أنهم شهدوها، أو سمعوها من النبى صلى الله عليه و آله وسلم أو من غيره، تهدف إلى تأييد اتجاه سياسى، أو مذهبى معين، ثم يظهر البحث العلمى أن أولئک الصحابه ما كانوا قد ولدوا فى تلک الفتره، أو ما كانوا موجودين فى بلد الحدث، أو حين صدور ذلک القول أو الفعل.

فتأتى قاعده جديده لتحل المشكل، و تحسم الأمر لصالح ذلک الإتجاه السياسى أو المذهبى. حيث تقرر كما ذكره جماعه:7.

1- قواعد فى علوم الحديث ص 460 و 461.
2- قواعد فى علوم الحديث ص 202.
3- أصول السرخسى ج 2 ص 7.

أن مرسلات الصحابه حجه. ثم يحاولون تبرير هذه القاعده بدعاوى لا تثبت أمام النقد العلمى الصحيح فيقولون:

لأن الظاهر: أن ذلک الصحابى قد سمع ذلک من النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، أو من صحابى آخر سمعه من النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، بل لقد قبل بعضهم مراسيل التابعين، و تابعى التابعين أيضا (1).

و كان أحمد بن حنبل يقدم الموقوف عن الصحابه و التابعين على المرسلات عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم (2).

21- تصويب الصحابه و غيرهم فى إجتهاد الرأى:

قد يقال: إن الإجتهاد معناه: أن المجتهدين قد يصيبون فى اجتهادهم، و قد يخطئون؛ فلا بد لنا نحن من معرفه الصواب من الخطأ فى ذلک. فإن الإجتهاد إذا كان عذرا لهم إذا أخطأوا فليس عذرا لنا فى متابعتهم على الخطأ، و لا سيما بعد ظهوره لنا.

فجاء العلاج ليقول: أما بالنسبه لفتاواهم فى الأحكام، فإنهم مصيبون جميعا فى اجتهادهم؛ فقد قال الشهاب الهيثمى فى شرح الهمزيه على قول البوصيرى عن الصحابه: (كلهم فى أحكامه ذو اجتهاد- أى صواب- و كلهم أكفاء) (3).5.

1- راجع تفصيل ذلک فى: إرشاد الفحول ص 64 و 65 و الخلاصه فى أصول الحديث ص 67 و الكفايه فى علم الروايه ص 385 و 384 و راجع ص 404 و قواعد فى علوم الحديث للتهانوى ص 138.

2- الكفايه فى علم الروايه ص 392 و قواعد فى علوم الحديث للتهانوى ص 139 و 141.

3- التراتيب الإداريه ج 2 ص 366 و راجع ص 364 و 365.

و أما بالنسبه لما جرى بين الصحابه من الفتن، فهو أيضا اجتهاد منهم؛ و قد يقال لصواب هذا الإجتهاد من الجميع أيضا، فقد قال الآمدى:

(و على هذا، فإما أن يكون كل مجتهد مصيبا، أو أن المصيب واحد، و الآخر مخطى ء فى اجتهاده، و على كلا التقديرين، فالشهاده و الروايه من الفريقين لا تكون مردوده. أما بتقدير الإصابه فظاهر، و أما بتقدير الخطأ مع الإجتهاد فبالإجماع) (1).

و عن العنبرى فى أشهر الروايتين عنه: (إنما أصوب كل مجتهد فى الذين يجمعهم اللّه. و أما الكفره فلا يصوّبون) (2).

و قال الشوكانى: (ذهب جمع جم إلى أن كل قول من أقوال المجتهدين فيها (أى فى المسائل الشرعيه التى لا قاطع فيها) حق و أن كل واحد منهم مصيب، و حكاه الماوردى و الرويانى عن الأكثرين. قال الماوردى: و هو قول أبى الحسن الأشعرى و المعتزله).

إلى أن قال: (و قال جماعه منهم أبو يوسف: إن كل مجتهد مصيب، و إن كان الحق مع واحد. و قد حكى بعض أصحاب الشافعى عن الشافعى مثله)

إلى أن قال: (فمن قال: كل مجتهد مصيب، و جعل الحق متعددا بتعدد المجتهدين فقد أخطأ) (3).

و قال حول حجيه الإجماع: (فغايه ما يلزم من ذلک أن يكون ما1.

1- الأحكام فى أصول الأحكام ج 2 ص 82 و السنه قبل التدوين ص 404 عنه.
2- إرشاد الفحول ص 259.
3- إرشاد الفحول ص 261.

أجمعوا عليه حقا، و لا يلزم من كون الشی ء حقا وجوب اتباعه؛ كما قالوا:

إن كل مجتهد مصيب، و لا يجب على مجتهد آخر اتباعه فی ذلک الإجتهاد بخصوصه) (1).

و قال الأسنوی حول الإجتهاد و فی الواقعه التی لا نص عليها: فيها قولان: (أحدهما: أنه ليس للّه تعالى فيها قبل الإجتهاد حكم معين بل حكم اللّه تعالى فيها تابع لظن المجتهد. و هؤلاء هم القائلون بأن كل مجتهد مصيب، و هم الأشعری، و القاضی، و جمهور المتكلمين من الأشاعره و المعتزله إلخ) (2).

و نقل عن الأئمه الأربعه، و منهم الشافعی التخطئه و التصويب فراجع (3).

22- النبی صلى الله عليه و آله وسلم يجتهد و يخطی ء:

لقد أظهرت الروايات التی زعموها تاريخا لرسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم : أن النبی صلى الله عليه و آله وسلم يجتهد و يخطی ء فی اجتهاده. و يجتهد عمر فيصيب، فتنزل الآيات لتصوّب رأی عمر و تخطّی ء النبی صلى الله عليه و آله وسلم كما زعموه فی وقعه بدر الكبرى، فی قضيه فداء الأسرى (4) و آيه الحجاب و غيرها.

و لأجل ذلک تجدهم يقرّون بأن النبی صلى الله عليه و آله وسلم يخطی ء فی اجتهاده،ر.

1- إرشاد الفحول ص 78.
2- نهايه السول ج 4 ص 560 و راجع ص 558 و راجع: الأحكام للآمدی ج 4 ص 159.
3- نهايه السول ج 4 ص 567.
4- سيأتی تفصيل ذلک، و بيان فساده حين الحديث حول غزوه بدر.

و لكن لا يقرّر على الخطأ.(1)

و لكن قولهم: إنه صلى الله عليه و آله وسلم لا يقرر على خطئه لا يتلاءم مع ما يروونه عنه صلى الله عليه و آله وسلم من أخطاء فى اجتهاده، مع عدم صدور رادع عنه، كما هو الحال فى قصه تأبير النخل، حيث لم يرد ما يرفع خطأه، و وقع الناس نتيجه لذلك فى الخساره و الفشل (2) فراجع.

23- سهو النبى صلى الله عليه و آله وسلم و نسيانه:

و أما بالنسبه لسهو النبى صلى الله عليه و آله وسلم و نسيانه، و اعترافه هو بذلك (3)، فذلك حدّث عنه و لا حرج. و ستأتى قصه ذى الشمالين، و سهو النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى صلاته، بعد غزوه بدر إن شاء اللّه تعالى. فإذا جاز على النبى صلى الله عليه و آله وسلم ذلک، فإن أهدافا كثيره يمكن تحقيقها عن هذا الطريق، و يمكن تصحيح روايات عديده تخدم هوى سياسيا أو مذهبيا بعينه.

24- عصمه الأمه عن الخطأ:

و إذا كان الرسول يخطى ء فى اجتهاده، فإن الأمه معصومه عن الخطأ، بل سيأتى حين الحديث حول صحه ما فى البخارى و مسلم: أن ظن الأمه لا يخطى ء أيضا. أى أنه إذا حصل إجماع بعد الخلاف؛ فإن ذلک يلغى أى تشكيک بصحه ما أجمعوا عليه، بل لا بد من الحكم بصحتهل.

1- راجع: أصول السرخسى ج 2 ص 318 و ص 5 و 96 و 91 و إرشاد الفحول ص 35 و نهايه السول ج 4 ص 537 و الأحكام فى أصول الأحكام ج 4 ص 187 و اجتهاد الرسول ص 122- 124 عن العديد من المصادر.

2- سيأتى الحديث عن قصه تأبير النخل فى هذا الكتاب أيضا إن شاء اللّه تعالى.

3- راجع على سبيل المثال: إرشاد الفحول ص 35 و الأحكام فى أصول الأحكام ج 4 ص 187 و 188 و اجتهاد الرسول.

و صوابه، لأن الأمه معصومه (1).

و قد واجه القائلون بعصمه الأمه فكره أن تكون الأمه أعلى رتبه من النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، فكيف وجب عليها طاعته و اتباعه؟!

فأزعجهم ذلک، و حاولوا التخلص منها، فما أفلحوا فی ذلک فراجع (2).

25- الإجماع نبوه بعد نبوه:

و قد یحتاج الحاکم أحیانا من أجل تثبیت سلطانه، و إحکام قبضته على مقدرات الشعوب إلى التصرف فی بعض الشؤون العقائدیه، أو الفقهیه الثابته، أو المفاهیم الدینیه، فیواجه اعتراضا من علماء الأمه، و أهل الفضل و الدین.

فلا بد إذن من إیجاد تبریر لما یقدم علیه من تصرّف، و من تغییر فی الدین و أحکامه، و رسومه و أعلامه؛ فجاءت القاعده لتقول:

إنه إذا حصل ذلک، و استطاع أن یحصل على موافقه الناس فی عصره، و إجماعهم، فإن هذا الإجماع یصبح تشریعا إلهیا، و لا مجالى.

1- راجع: تهذیب الأسماء ج 1 ص 42 و راجع: الإلمام ج 6 ص 123 و الباعث الحثیث ص 35 و شرح صحیح مسلم للنووی (مطبوع بهامش إرشاد السارى) ج 1 ص 28، و نهایه السول ج 3 ص 325 و سلم الوصول ج 3 ص 326 و علوم الحدیث لإبن الصلاح ص 24، و إرشاد الفحول ص 82 و 80 و الأحکام فی أصول الأحکام للآمدی ج 4 ص 188 و 189.
2- راجع: الأحکام فی أصول الأحکام ج 4 ص 188. ففیه ما یستفاد منه ذلک، و ناقشه بما لا یجدی، و کذا فی کتاب: اجتهاد الرسول ص 141 و 142 عن مصادر أخرى.

لنقضه، و لا لمعارضته، و الإعتراض عليه، إلا بتحصيل إجماع مثله و ذلک لأن الإجماع نبوه بعد نبوه (1). و هو حجه قاطعه للعذر، متى انعقد، و فی أی عصر کان (2).

و کنموذج من ذلک نشیر إلى: أن هذا ما حدث بالفعل بالنسبه إلى الخلافه الإسلامیه، فقد کان ثمه إجماع على اشتراط القرشیه فی خلیفه المسلمین، حتى جاء السلطان سلیم إلى مصر، و خلع الخلیفه القرشی، و تسمى هو بالخلیفه، و ألغى عملیا هذا الشرط، ثم أجمعت الأمه على إلغائه و لا تزال. و أصبح عدم القرشیه من الدین، کما کانت القرشیه من الدین فی السابق.

26- ظن المعصوم لا یخطیء:

و بعد، فإنه إذا کانت الأمه معصومه، و کان أفراد الصحابه مصیبین فی اجتهاداتهم کلها و لا یخطئون. فإن ضابطه أخرى لا بد من مراعاتها، لأنها تنفع فی حل مشکلات کثیره تواجههم. و هی قاعده: ظن المعصوم عن الخطأ، لا یخطیء (3). و سیأتی استدلالهم بهذه القاعده فی مورد حساس فی هذا البحث بالذات.8.

1- راجع: المنتظم ج 9 ص 210 و الإلمام ج 6 ص 123 و الأحکام فی أصول الأحکام ج 1 ص 204 و 205 و بحوث مع أهل السنه و السلفیه ص 27 عن المنتظم.
2- راجع: الأحکام فی أصول الأحکام ج 1 ص 208 و تهذیب الأسماء ج 1 ص 42 و النشر فی القراءات العشر ج 1 ص 7 و 33 و 31. و أی کتاب أصولی، یبحث حول حجیه الإجماع، وفق مذاق أهل السنه.
3- الباعث الحثیث ص 35 و علوم الحدیث لإبن الصلاح ص 24 و شرح صحیح مسلم (بهامش إرشاد الساری) ج 1 ص 28.

27- اجتهاد الفقهاء يقدم على النص:

و حين ظهر أن كثيرا من اجتهادات أئمه المذاهب تخالف النص الوارد عن رسول اللّه، فقد أجازوا مخالفه نص رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و الإلتزام بآراء أئمه مذاهبهم.

فقد قال البعض، و هو يتحدث عن الشافعيه: (و العجب منهم من يستجيز مخالفه الشافعى لنص له آخر فى مسأله بخلافه. ثم لا يرون مخالفته لأجل نص رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم) (1).

و نقول: إن ملاحظه طريقتهم فى التعامل مع الحديث، و مع فتاوى أئمتهم تعطينا: أن ذلک لا ينحصر بالشافعى و أصحابه، بل هو ينسحب على غيرهم من أتباع المذاهب الأخرى الأربعه، و غيرها أيضا.

و قد أحصى ابن القيم فى أعلام الموقعين حوالى مئه حديث لم يأخذ بها مقلده الفقهاء. حسبما يتضح من مراجعه الأحاديث المبثوثه فى الكتب المعتبره لدى أهل السنه.

و ذكر سبط ابن الجوزى جمله من أحاديث الصحيحين لا يأخذ بها الشافعيه، لما ترجح عندهم مما يخالفها.

ورد أبو حنيفه على رسول اللّه أربع مئه حديث أو أكثر. و فى روايه:

وردّ مئتى حديث. بل قال حماد بن سلمه: إن أبا حنيفه استقبل الآثار و السنن فردها برأيه (2).

28- القياس، و الرأى، و الاستحسان:

1- مجموعه المسائل المنيريه ص 32.
2- راجع ما تقدم: فى أضواء على السنه المحمديه ص 370 و 371.

ثم و من أجل سد النقص الناتج عن ابتعاد الناس عن حديث رسول اللّه، و ابتعادهم عن أئمه أهل البيت، فقد قرروا إجازه العمل بالقياس، و الرأی، و الإستحسان، و ما إلی ذلک.

و قد کتب الخلیفه عمر بن الخطاب لأبی موسی الأشعری: (فاعرف الأشباه و الأمثال، ثم قس الأمور بعضها ببعض، أقربها إلی اللّه، و أشبهها بالحق؛ فاتبعه، و اعمد إلیه.) (1).

و قال لشریح: (فإن لم تعلم کل ما قضت به الأئمه المهتدون، فاجتهد رأیک). أو قال: (و لم یتبین لک فی السنه فاجتهد فیه رأیک) (2).

و قد عمل بالرأی کل من أبی بکر، (3) و ابن مسعود، و عثمان، و عمر (4) و غیرهم من الصحابه، فراجع.

و قد کان من نتیجه ذلک أن (استحالت الشریعه و صار أصحاب القیاس أصحاب شریعه جدیده) علی حد تعبیر ابن أبی الحدید المعتزلی (5).

و قد أعلن الأئمه (علیهم السلام) رفضهم لهذا النهج، و أدانوه بشده و إصرار، و رفضه غیرهم أیضا.4.

1- تاریخ عمر بن الخطاب لإبن الجوزی ص 155 و الکامل فی الأدب ج 1 ص 13 و أعلام الموقعین ج 1 ص 86 و سنن الدارقطنی ج 4 ص 206 و 207 و راجع: المحلی ج 1 ص 59 و عیون الأخبار لإبن قتیبه ج 1 ص 66.
2- تهذیب تاریخ دمشق ج 6 ص 307.
3- الأحکام فی أصول الأحکام ج 4 ص 162. و قد تقدمت بقیه المصادر رقم/ 11 رأی الصحابی حیث لا نص، فراجع.
4- الأحکام فی أصول الأحکام ج 4 ص 162 و المحلی ج 1 ص 61.
5- شرح النهج ج 12 ص 84.

و قد قال الشعبی فی إشاره إلی رفض العمل بالرأی: ما حدثوک عن أصحاب محمد صلی الله علیه و آله وسلم فخذ به، و ما قالوا برأیهم، فبل علیه (1). الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 1 225 28 - القیاس، و الرأی، و الاستحسان: ..... ص : 223

قال ابن شبرمه:

دخلت أنا و أبو حنیفه علی جعفر بن محمد بن علی، فقال له جعفر:

اتق اللّه، و لا تقس الدین برأیک، فإنّا نقف غدا نحن و أنت، و من خلفنا بین یدی اللّه تعالی، فنقول: قال اللّه، قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و تقول أنت و أصحابک: سمعنا و رأینا، فیفعل اللّه بنا و بکم ما یشاء (2).

29- ما دل علیه القیاس ینسب للنبی صلی الله علیه و آله وسلم :

و قد أراد العاملون بالقیاس إضفاء هاله من القدسیه علی آرائهم، و تکریسها کمعیار عملی، و نهج فکری، ثابت و مقبول، فسمحوا بنسبه ما دل علیه القیاس إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و إن لم یکن النبی صلی الله علیه و آله وسلم قد قاله

یقول البعض: (استجاز بعض فقهاء أهل الرأی نسبه الحکم الذی دل علیه القیاس الجلی إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم نسبه قولیه. فیقولون فی ذلک: قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم : کذا. و لهذا تری کتبهم مشحونه بأحادیث تشهد متونها بأنها موضوعه؛ لأنها تشبه فتاوی الفقهاء، و لأنهم لا یقیمون لها سندا) (3).

30- لا اجتهاد بعد الیوم:

اشاره

1- شرف أصحاب الحدیث ص 74.
2- شرف أصحاب الحدیث ص 76.

3- الباعث الحثيث ص 85 عن السخاوى فى شرح ألفيه العراقى ص 11 و المتبولى فى مقدمه شرحه الجامع الصحيح.

و من أجل تكريس المذاهب الأربعه، و لكى لا يفكر أحد بالتعدى عنها، و تكون هى المعيار و الضابطه دون سواها؛ فقد قرروا: أنه لا يحق لأحد أن يجتهد فى هذه العصور المتأخره إلا فى حدود المذهب الذى ينتسب إليه، أو فى دائره خصوص مذاهب الأئمه الأربعه، و وفق أصول محدده لا مجال للتعدى عنها.

(ذكر ابن الصلاح: أنه يتعين تقليد الأئمه الأربعه دون غيرهم؛ لأن مذاهب الأربعه قد انتشرت، و علم تقييد مطلقها، و تخصيص عامها، و نشرت فروعها؛ بخلاف مذهب غيرهم) (1).

و قال الشيخ محمد نجيب المطيعى: (قد بنى ابن الصلاح على ما قاله إمام الحرمين قوله بوجوب تقليد واحد من الأئمه الأربعه دون غيرهم ..

إلى أن قال: بل الحق: أنه إنما منع من تقليد غيرهم، لأنه لم تبق روايه مذاهبهم محفوظه ..

إلى أن قال: امتنع تقليد غير هؤلاء الأئمه الأربعه من الصحابه و غيرهم، لتعذر نقل حقيقه مذاهبهم، و عدم ثبوته حق الثبوت) (2).

و نقل محمد فريد وجدى عن بعضهم: أنه بعد الماءتين كان الواجب على كل من المقلدين و المجتهدين المنتسبين أن ينتموا لمذهب واحد معين من المجتهدين المستقلين.

و أما من نشأ من المسلمين بعد المئه الرابعه إلى زمن صاحب كتاب (الإنصاف فى بيان سبب الإختلاف)، فهم إما عامى أو مجتهد منتسب،1.

1- نهايه السول فى شرح منهاج الأصول ج 4 ص 632.

2- سلم الوصول لشرح نهايه السول ج 4 ص 631.

فیجب علی العامی تقلید المجتهد المنتسب لا غیر، لإمتناع وجود المستقل من هذا التاریخ حتی الیوم (1).

من ترک التقلید خرج من الاسلام:

قال التهانوی الحنفی: و من ترک هذا التقلید، و أنکر اتباع السلف، و جعل نفسه مجتهدا أو محدثا، و استشعر من نفسه أنه یصلح لاستنباط الأحکام، و أجوبه المسائل من القرآن و الحدیث فی هذا الزمان، فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه، أو کاد أن یخلع، فأیم اللّه لم نر طائفه یمرقون من الدین مروق السهم من الرمیه إلا هذه الطائفه المنکره لتقلید السلف، الذامه لأهلها إلخ ..) (2).

و قال المقریزی: (ولی بمصر القاهره أربع قضاه، و هم شافعی، و مالکی، و حنفی، و حنبلی؛ فاستمر ذلک من سنه خمس و ستین و ست مئه، حتی لم یبق فی مجموع أمصار الإسلام مذهب یعرف من مذاهب أهل الإسلام سوی هذه المذاهب الأربعه، و عقیده الأشعری. و عملت لأهلها المدارس، و الخوانک، و الزوایا، و الربط فی سائر ممالک الإسلام.

و عودی من تمذهب بغیرها، و أنکر علیه، و لم یولّ قاضی، و لا قبلت شهاده أحد، و لا قدم للخطابه، و الإمامه، و التدریس أحد ما لم یکن مقلدا لأحد هذه المذاهب.

و أفتی فقهاء هذه الأمصار فی طول هذه المده بوجوب اتباع هذه المذاهب، و تحریم ما عداها، و العمل علی هذا إلی الیوم) (3).4.

1- راجع: دائره معارف القرن العشرین لوجدی ج 3 ص 223.
2- قواعد فی علوم الحدیث ص 462.
3- الخطط و الآثار للمقریزی ج 2 ص 334.

و قد ذكر ابن الفوطى ما يدل على أن رسم التمذهب بالمذاهب الأربعه فى بغداد، و المنع من ذكر آراء غيرهم قد كان قبل هذا التاريخ، بحوالى عشرين سنه أو أكثر. فراجع كلامه حول افتتاح المدرسه المستنصريه، ثم رسم تعليم المذاهب الأربعه فيها، و المنع مما عداها (1).

و قد كان ابن الصلاح المتوفى سنه 643 ه. قد أفتى بحرمه الخروج على تقليد الأئمه الأربعه، مستدلا له بإجماع المحققين (2).

تكريس المذاهب بالأموال:

و نقل البعض: أن العباسيين فى بغداد طلبوا من أهل المذاهب أموالا، فلم يستطع الشيعه تأمين المال المطلوب. لكن الحنفيه، و المالكيه، و الحنبليه، و الشافعيه قد دفعوا المال المطلوب لأجل اتساع حالهم، و تيسر المال لديهم. و كان ذلک فى زمن الشريف المرتضى المتوفى سنه 436 ه.

فآل ذلک إلى تكريس المذاهب فى الأربعه، و اتفقوا على بطلان ما عداها. و جوزوا الإجتهاد فى المذهب، و لم يجوزوا الإجتهاد عن المذهب (3).

و قد فصل ابن قيم الجوزيه أقوال القائلين بانسداد باب الإجتهاد، و زمان ذلک الإنسداد، و قولهم: لا يجوز الإختيار بعد الماءتين، و ناقش تلک4.

1- تاريخ حصر الإجتهاد ص 105- 107.
2- المصدر السابق ص 108.
3- راجع: رياض العلماء ج 4 ص 33 و 34.

الأقوال، فراجع (1).

التمهيد للتقليد:

و قد لا حظنا: أنهم، و هم يحكمون على من مارس الإجتهاد، و لم يقلد من يحبون، أو من استشعر من نفسه أنه يصلح لاستنباط الأحكام، بالمروق من الدين، و خلع ربقه الإسلام من عنقه، حسبما تقدم عن التهانوى.

قد مهدوا لسد باب الإجتهاد، و لكن بذكاء حينما ناقشوا أولا مسأله خلوّ العصر من المجتهد. فلما جوزوه، انتقلوا إلى القول بأن الخلق كالمتفقين على أنه لا مجتهد اليوم.

فقد (حكى الزركشى فى البحر عن الأكثرين: أنه يجوز خلو العصر من المجتهد. و به جزم صاحب المحصول.

قال الرافعى: الخلق كالمتفقين على أنه لا مجتهد اليوم. قال الزركشى: و لعله أخذه من كلام الإمام الرازى، أو من قول الغزالى فى الوسيط: قد خلا العصر من المجتهد المستقل) (2).

و قد ناقشهم الشوكانى، و ابطل هذا الزعم منهم، فراجع كلامه (3).

و يقول نص آخر: (قد استدل بما صرح به الإمام حجه الإسلام4.

1- أعلام الموقعين ج 2 ص 275- 278. و راجع كتاب الإجتهاد فى الإسلام ص 218- 246.
2- إرشاد الفحول ص 253.
3- إرشاد الفحول ص 253 و 254.

قدس سره، و الرافعی، و القفال بأنه وقع فی زماننا هذا الخلوّ (أی من المجتهد) إلی أن قال:

(من الناس من حکم بوجوب الخلو من بعد العلامه النسفی، و اختتم الإجتهاد به. و عنوا الإجتهاد فی المذهب. أما الإجتهاد المطلق، فقالوا: اختتم بالأئمه الأربعه، حتی أوجبوا تقلید واحد من هؤلاء علی الأمه) (1).

و مهما یکن من أمر، فإن سد باب الإجتهاد إنما هو لدی فریق معین غیر الشیعه، أما شیعه الأئمه الأثنی عشر (علیهم السلام)، و أتباعهم، فهم فی غنی عن کل هذا، فهم یفتحون باب الإجتهاد علی مصراعیه، و یمارسونه بصوره مطرده علی مرّ التاریخ، و إلی یومنا هذا.

و هذه نعمه کبری، هی نعمه العلم و الفهم حباهم اللّه بها، و حرم الآخرون أنفسهم منها، و قدیما قیل:

علی نفسها جنت براقش.

مع تبریرات وجدی:

أما محمد فرید وجدی فقد اعتبر: أن السبب فی دعوی انسداد باب الإجتهاد، هو ما طرأ علی المسلمین من جمود إجتماعی، و قصور عن فهم أسرار الشریعه، فستروا ذلک بالدعوی المذکوره. و الحقیقه أنه مفتوح، بنصّ الکتاب و السنه إلی یوم القیامه. (2)

لکن ملاحظتنا التی نرید تسجیلها هنا هی:7.

1- فواتح الرحموت ج 2 ص 399 و الإجتهاد فی الإسلام ص 219.
2- دائره معارف القرن العشرین ج 3 ص 197.

أولا: لماذا قصرت أفهام المسلمين عن فهم أسرار الشريعه؟!

و هل دعوى هذا القصور صحيحه من أساسها؟!

ثانيا: ما فائده فتح باب الإجتهاد، مع وجود ذلک القصور عن الفهم؟!

و ماذا يفيد فتح باب لا يجرؤ أحد على الولوج فيه، أو لا يستطيع الولوج أصلا؟!.

لا اجتهاد عند الفريسيين من اليهود:

و قد كنا نحب أن نعرف: إن كان ثمه ارتباط بين ما يقال عن سد باب الإجتهاد لدى هؤلاء، و بين ما يقوله الفريسيون من اليهود، من أنه لا اجتهاد (1).

31- التقديس الأعمى حتى للحديث المكذوب:

أما بالنسبه لما تناقلوه على أنه حديث رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله)، فقد حاولوا إضفاء هاله من التقديس الأعمى عليه، و كأنه نفس كلامه الصادر عنه (صلى اللّه عليه و آله) مع أن أكثره محض اختلاق، و تزوير. و قد قدّست كتب بأكملها على هذا الأساس. فراجع ما يذكرونه عن صحيح البخارى، و موطأ مالک، و سنن أبى داود، و غير ذلک.

بل لقد حرصوا على المنع من مناقشه الحديث، حتى و لو خالف العقل، و الوجدان، و ضروره العقل، و التاريخ القطعى؛ لأن السماح بالمناقشه فيه لسوف يبرر المناقشه ثم التشكيک فى أمور هى أكثر أهميه3.

1- راجع: مقارنه الأديان (اليهوديه) ص 223.

و حساسیه بالنسبه إلیهم.

و قد تصدی الحکام لمواجهه ذلک بصوره قویه و صارمه و حازمه، و لا سیما و أن ذلک قد مکنهم من توجیه الناس حیثما یریدون، و کیفما یشاؤون، من خلال جفنه من وعاظ السلاطین، لا یتورعون عن الإختلاق و الإفتراء، حتی علی اللّه و رسوله، دونما مانع من دین، أو رادع من وجدان.

و قد روی بعض هؤلاء المرتزقه عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، محاجّه جرت بین آدم و موسی (علیهما السلام)؛ فحجّ آدم موسی!! فاعترض البعض بأنه متی اجتمع آدم و موسی؛ فتدخل الخلیفه و دعا بالنطع و السیف لیقتل ذلک المعترض المستفهم، بحجه أنه زندیق یکذب بحدیث رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم (1) !!.

بل لقد کان الإتهام بالزندقه هو الوسیله المیسوره للتخلص حتی ممن لا یری الصلاه خلف الخلیفه العاتی و المتجبر (2).

32- أصح الکتب بعد القرآن:

و قد یعترض البعض: بأن فی البخاری، و مسلم، و غیرهما من کتب الصحاح أحادیث کثیره تضمنت ما یخالف الحقائق الثابته، و صریح العقل و الوجدان.

فجاء الرد: أن البخاری أجلّ کتب الإسلام و أفضلها بعد3.

1- راجع: تاریخ بغداد ج 14 ص 7 و 8 و البدایه و النهایه ج 10 ص 215 و البصائر و الذخائر ج 1 ص 81 و تاریخ الخلفاء ص 285.
2- البدایه و النهایه ج 10 ص 153.

كتاب اللّه) (1).

و ما قرئ فى كربه إلا فرجت، و لا ركب به فى مركب فغرقت.

و يستسقى بقراءته الغمام، و أجمع على قبوله، و صحه ما فيه أهل الإسلام (2).

و قال أبو نصر السجزى: (أجمع أهل العلم و الفقهاء، و غيرهم على أن رجلا لو حلف بالطلاق: أن جميع ما فى كتاب البخارى، مما روى عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم قد صح عنه، و رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم قاله، لا شك فيه، لا يحنث، و المرأه بحالها فى حبالته) (3).

و قالوا: أصح كتب بعد كتاب اللّه الصحيحان: البخارى، و مسلم (4).

بل قال البعض: (إتفق علماء الشرق و الغرب على أنه ليس بعد كتاب اللّه أصح من صحيحى البخارى و مسلم) (5).5.

1- إرشاد السارى ج 1 ص 29.
2- إرشاد السارى ج 1 ص 29. و راجع: تدريب الراوى ج 1 ص 96 و فتح البارى (المقدمه) ص 11 و تذكره السامع و المتكلم ص 127 (هامش) عن مفتاح السعاده ص 127 و قال: إن السلف و الخلف قد أطبقوا على أنه أصحّ كتاب بعد كتاب اللّه تعالى.
3- علوم الحديث، لإبن الصلاح ص 22
4- راجع) فتح البارى (المقدمه) ص 8 و تدريب الراوى ج 1 ص 91 و علوم الحديث لإبن الصلاح ص 14 و الخلاصه فى أصول الحديث ص 36 و علوم الحديث و مصطلحه ص 396 و 399 و الغدير ج 9 ص 35 عن شرح صحيح مسلم للنووى.
5- عمده القارى ج 1 ص 5.

و عن سنن أبی داود یقول ابن الأعرابی:

لو أن رجلا لم یکن معه من العلم إلا المصحف الذی فیه کتاب اللّه، ثم هذا الکتاب لم یحتج معهما إلی شی ء من العلم بته) (1).

33- هذا الإجماع ظن لا یخطی ء:

اشاره

و لعلک تقول: إجماع الأمه علی صحه ما فی الصحیحین لا یمنع من کون بعض ما فیهما خطأ، لأن حجیه الخبر و إن کانت قطعیه، و لکن ذلک لا یمنع من کون مضمونه مظنونا. لکنه من الظن الذی هو حجه.

و الظن الحجه قد یخطی ء الواقع أیضا.

فیأتیک الرد:

(ظن المعصوم عن الخطأ، لا یخطی ء، و الأمه فی إجماعها معصومه عن الخطأ) (2).

و حول تلقی الأمه للصحیحین بالقبول قال ابن کثیر: (لأن الأمه معصومه عن الخطأ، فما ظنت صحته، و وجب علیها العمل به، لا بد أن یکون صحیحا فی نفس الأمر. و هذا جید) (3).

روایه الصحاح عن الخوارج و المبتدعه:

و تسجل إدانه لکتب الصحاح خصوصا البخاری و مسلم، و هی5.

1- راجع: تذکره السامع و المتکلم (هامش) ص 128 عن تذکره الحفاظ للذهبی ج 3 ص 210.
2- علوم الحدیث لإبن الصلاح ص 24 و شرح صحیح مسلم للنووی (مطبوع بهامش إرشاد الساری) ج 1 ص 28.
3- الباعث الحثیث ص 35.

روایتهم عن الخوارج، و المبتدعه.

حتی إن البخاری و مسلما، و سائر أصحاب الصحاح قد رووا عن الخوارج و المبتدعه، مثل عمران بن حطان، و هو من أکبر الدعاه إلی البدعه (1)، فإنه مادح ابن ملجم علی قتله وصی النبی صلی الله علیه و آله وسلم علیا (علیه السلام).

و رووا عن کثیرین آخرین من مبغضی علی (علیه السلام) و شانئیه، مثل: بهز بن أسد، و عبد اللّه بن سالم، و حصین بن نمیر، و عکرمه، و قیس بن أبی حازم، و الولید بن کثیر، و عروه بن الزبیر، و إسحاق بن سوید، و حریز بن عثمان، و أزهر بن عبید اللّه، و زیاد بن أبیه، و میمون بن مهران، و أسد بن وداعه، و محمد بن هارون، و نعیم بن أبی هند، و دحیم، و عبد المغیث الحنبلی، و خالد بن مسلمه (2) و علی بن الجهم (3)، و محمد بن زیاد، و عبد اللّه بن شقیق، و المغیره بن عبد اللّه (4)، و عشرات غیرهم (5).

و کل هؤلاء، و من هو علی شاکلتهم، قد حکموا لهم بالوثاقه، و رووا عنهم، و عظموهم، و وصفوهم بکل جمیل، مع معروفیتهم بالنصب و البغض لعلی (علیه السلام)، و آله الأطهار.9.

1- الباعث الحثیث ص 100.
2- راجع فی جمیع ما تقدم: الغدیر ج 5 ص 293- 295 و ج 7 ص 273 و مقدمه فتح الباری ص 460 و 461 و الکفایه فی علم الروایه ص 125.
3- راجع: البدایه و النهایه ج 11 ص 4 و الغدیر ج 5 ص 244.
4- راجع: الغدیر ج 11 ص 87 و ج 3 ص 123 و ج 6 ص 143 و 144.
5- راجع: فتح الباری (المقدمه) ص 460 و 461 و تدریب الراوی ج 1 ص 328- 329.

الروايه عن الرافضه و الشيعه:

و من جهه ثانيه، فقد روى أصحاب الصحاح أيضا لبعض الشيعه و الرافضه (1) و قد ذكر الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين فى كتابه طائفه كبيره من الشيعه، أو المتهمين بالتشيع، ممن روى لهم أصحاب الصحاح، فراجع.

التناقض فى المواقف:

اشاره

فروايتهم عن النواصب و الخوارج، و المبتدعه، و عن الشيعه، و الرافضه، تتناقض مع قولهم: إن الروايه عن كل هؤلاء لا تصح. فهم يقولون:

ألف: الخوارج:

عن ابن لهيعه: أنه سمع شيخا من الخوارج يقول بعد توبته:

(إن هذه الأحاديث دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم؛ فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا) (2).

أو قال: (أنظروا هذا الحديث عمن تأخذونه، فإنا كنا إذا تراءينا7.

1- راجع: مقدمه فتح البارى ص 460 و 461 و راجع: الكفايه فى علم الروايه ص 125.
2- لسان الميزان ج 1 ص 10 و 11 و الكفايه للخطيب ص 123 و 128 و آفه أصحاب الحديث ص 71 و 72 و اللآلى المصنوعه ج 2 ص 468 و راجع: العتب الجميل ص 122. و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 29 عن الأولين، و عن الموضوعات لإبن الجوزى ص 38 و عن السنه و مكانتها فى التشريع للسباعى ص 97.

رأيا، جعلنا له حديثا) (1).

و يلاحظ هنا: أن نفس هذا النص مروى عن حماد بن سلمه، و لكن عن شيخ من الرافضه!! (2).

و لمّا حدث إياس بن معاويه الأعمش بحديث عن بعض الحروريه، قال:

(تريد أن أكنس الطريق بثوبى، فلا أدع بعره، و لا خنفساء إلا حملتها؟!) (3).

و قال الجوزجانى عن الخوارج، الذين تحركوا فى الصدر الأول، بعد الرسول صلى الله عليه و آله وسلم :

(نبذ الناس حديثهم إتهاما لهم) (4).

ب: أهل البدع:

قد وردت أحاديث رواها أهل السنه أيضا تنهى عن الروايه عن أهل البدع (5) فلتراجع فى مظانها.

ج: الشيعه و الرافضه:

إن أدنى مراجعه لكتب الرجال على مذاق أهل السنه تظهر: أن أكثر3.

1- اللآلى المصنوعه ج 2 ص 468.
2- راجع: لسان الميزان ج 1 ص 11.
3- الكفايه فى علم الروايه ص 403 و بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 29 عن المحدث الفاصل للرامهرمزى ج 1 ص 12.
4- أحوال الرجال ص 34.
5- راجع: لسان الميزان ج 1 ص 10 و 12 و 7 و ميزان الإعتدال ج 1 ص 3.

المجروحين عندهم إنما جرحوهم بالتشيع أو الرفض، و قد اعتبروا ذلک جریمه لا مجال للسکوت علیها، أو التساهل فیها (1).

و سئل مالک عن الرافضه، فقال: لا تکلمهم، و لا ترو عنهم، فإنهم یکذبون (2).

و عن الشافعی: لم أر أحدا من أهل الأهواء أشهد بالزور من الرافضه (3).

و قال أبو عصمه لأبی حنیفه: (ممن تأمرنی أن أسمع الآثار؟!

قال: من کل عدل فی هواه إلا الشیعه، فإن أصل عقدهم تضلیل أصحاب محمد (صلی اللّه علیه و آله)، و من أتی السلطان طائعا إلخ ...) (4).

و عن شریک: إحمل العلم عن کل من لقیت إلا الرافضه، فإنهم یضعون الحدیث، و یتخذونه دینا (5).

و قال التهانوی: (نحن نعلم: أنهم کذبوا فی کثیر مما یروونه فی فضائل أبی بکر، و عمر، و عثمان. کما کذبوا فی کثیر مما یروونه فی8.

1- و راجع علی سبیل المثال: السنه قبل التدوین ص 443 و 442 و الکفایه فی علم الروایه ص 123 و 130 و 31.
2- لسان المیزان ج 1 ص 10 و میزان الإعتدال ج 1 ص 27/ 28 و مقدمه فتح الباری ص 431 و فتح الباری ج 2 ص 153 و قواعد فی علوم الحدیث للتهانوی ص 407 و 422.
3- الکفایه فی علم الروایه ص 126 و راجع لسان المیزان ج 1 ص 10.
4- الکفایه فی علم الروایه ص 126.
5- لسان المیزان ج 1 ص 10 و میزان الإعتدال ج 1 ص 27 و 28.

فضائل علی. و لیس فی أهل الأهواء أکثر کذبا من الرافضه) (1).

و یقول هارون الرشید: (طلبت أربعه فوجدتها فی أربعه: طلبت الکفر فوجدته فی الجهمیه، و طلبت الکلام و الشغب فوجدته فی المعتزله، و طلبت الکذب فوجدته عند الرافضه، و طلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحدیث) (2).

و عن یزید بن هارون: یکتب عن کل صاحب بدعه، إذا لم یکن داعیه إلا الرافضه، فإنهم یکذبون (3).

العلاج المتطور:

کانت تلک بعض أقاویلهم حول هؤلاء و أولئک. و هی تناقض موقفهم منهم، و روایتهم عنهم، فکان علاجهم لهذا المشکل بتقدیم عده ضوابط، رأوا أنها تکفی لدفع الخطر، و تجنب الکثیر من الضرر. و نذکر من هذه المعالجات:

34- ردّ روایات الشیعه فی المطاعن و الفضائل:

فکل ما فیه تأکید علی الحق، و إظهار له، فیما یرتبط بفضائل علی (علیه السلام)، و کذا فیما یرتبط بما صدر من خصوم أهل البیت من أفاعیل تدینهم، و تظهر بعض مساوئهم، فإنهم لا یقبلونه، و یتهمون الرافضه بالکذب فیه.8.

1- قواعد فی علوم الحدیث ص 444 و راجع ص 443.
2- شرف أصحاب الحدیث ص 55 و راجع ص 78.
3- لسان المیزان ج 1 ص 10 و میزان الإعتدال ج 1 ص 27 و 28.

إنهم لا يقبلون منهم أى شى ء فيه تأييد لمذهب الشيعه، و تفنيد لمذاهب غيرهم.

35- الرافضه لا إسناد لهم:

و من أجل استبعاد فقه، و رؤى، و معارف أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم أحد الثقلين اللذين أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بالتمسک بهما إلى يوم القيامه، و هم سفينه نوح التى ينجو من ركبها.

و لکی تبقی الساحه مفتوحه أمام الآخرين ليأخذوا بفتاوى أناس عاشوا، أو فقل: ولدوا بعد وفاه النبی صلی الله علیه و آله وسلم بعشرات السنين، ليسوا من أهل بيت النبوه، و لا من معدن الرساله، و لا من مهبط الوحی و التنزيل.

نعم من أجل ذلک، نجدهم يحاولون قطع الصله بين الرافضه و بين الرسول بالكليه. فقد قال التهانوی حول المعرفه بالإسناد: (لا ريب أن الرافضه أقل معرفه بهذا الباب، و ليس فی أهل الأهواء و البدع أجهل منهم به؛ فإن سائر أهل الأهواء، كالمعتزله و الخوارج يقصرون فی معرفه هذا، لكن المعتزله أعلم بكثير من الخوارج، و الخوارج أعلم بكثير من الرافضه، و الخوارج أصدق من الرافضه)

إلى أن قال: (أهل البدع سلكوا طريقا أخرى ابتدعوها و اعتمدوها، و لا يذكرون الحديث بل و لا القرآن فی أصولهم إلا للإعتضاد، لا للإعتماد.

و الرافضه أقل معرفه بل و عنايه بهذا، إذ كانوا لا ينظرون فی الأسناد، لا فی سائر الأدله الشرعيه و العقليه، هل توافق ذلک أو تخالفه.

و لهذا لا يوجد لهم أسانيد متصله صحيحه قط. بل كل إسناد متصل لهم؛ فلا بد أن يكون فيه من هو معروف بالكذب، أو كثره الغلط، و هم فی ذلک شبيه باليهود و النصارى، فإنه ليس لهم أسناد).

و قال: و الأسناد من خصائص هذه الأمه، و هو من خصائص الإسلام، ثم هو فى الإسلام من خصائص أهل السنه. و الرافضه أقل عنايه به، إذ كانوا لا يصدقون إلا بما يوافق أهواءهم، و علامه كذبه أنه يخالف هواهم) (1).

36- روایه ما لا یضر:

و أما روایه الشیعی، و حتی الرافضی لما یؤید مذهب أهل السنه، أو فقل ما لا یضر بنهجهم، و لا بمذهبهم، فهی مقبوله، بل یمکن أن یصبح الشیعی بل الرافضی من رواه الصحاح الست أیضا. و بذلک یکون قد جاز القنطره، کما سنری.

37- حدیث الداعیه إلی البدعه یرد:

و أما بالنسبه للخوارج و النواصب، و حتی الشیعی و الرافضی أحیانا حین یوافق هواهم، و یخدم إتجاههم بزعمهم، فقد قالوا:

إن صاحب البدعه إذا لم یکن داعیه، أو کان وتاب، أو اعتضدت روایته بمتابع، فإن روایته تقبل. أما إذا کان داعیه، فلا خلاف بینهم فی عدم قبول روایته (2).5.

1- قواعد فی علوم الحدیث ص 443 و 444.

2- علوم الحدیث لإبن الصلاح ص 104 و 103 و الباعث الحثیث ص 99 و إرشاد الفحول ص 51 و فتح الباری (المقدمه) ص 459 و 450 و معرفه علوم الحدیث ص 135 و الخلاصه فی أصول الحدیث ص 95 و المجروحون ج 1 ص 168 و الکفایه فی علم الروایه ص 121 و 123 و 126- 128 و قواعد فی علوم الحدیث للتهانوی ص 230 و 231 و 402 و 207 و تقریب النواوی و شرحه المسمی بتدریب الراوی ج 1 ص 325.

و قیل لا تقبل روایه غیر الداعیه أیضا (1).

38- حجم البدعه:

و بما أن ما تقدم لا یکفی فی علاج بعض جهات القضیه، لا سیما و أنهم یردون روایات من یتهم بالتشیع، مع أن صحاحهم تروی عن الشیعه، فقد اتجهوا نحو الحدیث عن حجم البدعه و مقدارها، فقالوا:

إن کانت البدعه صغری، جازت الروایه عن صاحبها، و إن کانت کبری لم تجز؛ فالبدعه الکبری هی الرفض الکامل، و الصغری کغلوّ التشیع، أو کالتشیع بلا غلو و لا تحرق (2).

و بذلک یفسحون المجال أمام الروایه عن بعض علمائهم الذین ینسبون إلیهم التشیع لمجرد: أنه روی حدیثا فی فضل علی (علیه السلام)، أو تکلم فی معاویه، کالنسائی، و عبد الرزاق الصنعانی، و الحاکم النیسابوری، و أضرابهم.

39- من روی له الشیخان، جاز القنطره:

و لکن تبقی مشکله روایتهم عن بعض المبتدعه، الذین هم من أشد الدعاه إلی بدعتهم، مثل عمران بن حطان، و غیره من النواصب0.

1- الخلاصه فی أصول الحدیث ص 95 و الکفایه فی علم الروایه ص 120 و قواعد فی علوم الحدیث للتهانوی ص 227- 230 و تقریب النواونی و شرحه (تدریب الراوی) ج 1 ص 324 و بحوث فی تاریخ السنه المشرفه ص 46 عنه و عن الکامل لإبن عدی ج 1 ص 39: أ و عن: المجروحون ج 2 ص 27 ب و عن المحدث الفاصل ج 1 ص 12.
2- لسان المیزان ج 1 ص 9 و 10 و میزان الإعتدال ج 1 ص 30.

و الخوارج، فحلوها بطريقه جبريه، و قاطعه، حين قالوا:

من روى له الشيخان، فقد جاز القنطره (1).

و قال الذهبى فى ترجمه يحيى بن معين: (و أما يحيى فقد جاز القنطره (يعنى بروايه الشيخين له) فلا يلتفت إلى ما قيل فيه. بل قفز من الجانب الشرقى إلى الجانب الغربى- يعنى أنه فى أعلى مراتب التعديل و التوثيق-) (2)

و ذكر التهانوى:

إن كل من حدث عنه البخارى فهو ثقه، سواء حدّث عنه فى الصحيح، أو فى غيره. و كذا كل من ذكره البخارى فى تواريخه، و لم يطعن فيه، فهو ثقه.

و كذا كل من حدّث عنه مسلم، و النسائى، و أبو داود، أو سكت عنه أبو داود فهو ثقه أيضا (3).

40- الخوارج صادقون:

و بعد ما تقدم، فقد حلت مسأله لزوم قبول رويات بعض علماء أهل السنه الكبار، الذى اتهموا بالتشيع، بسبب روايتهم بعض فضائل على و أهل بيته (عليهم السلام)، أو انتقدوا معاويه، و أضرابه.

و قبلت أيضا روايات بعض الشيعه أو الرافضه، التى جاءت منسجمه8.

1- قواعد فى علوم الحديث للتهانوى ص 463 عن أبى الوفاء القرشى فى كتاب الجامع الذى جعله ذيلا للجواهر المضيه ج 2 ص 428.
2- ميزان الإعتدال ج 4 ص 410.
3- لخصنا ذلک من كتاب: قواعد فى علوم الحديث للتهانوى ج 2 ص 428.

مع النهج الفكرى الذى يلتزمه غير الشيعه أيضا.

ثم قبلت أيضا روايات الصحاح؛ البخارى، و مسلم، و النسائى، و أبى داود.

و لكن ذلك كله لا يكفى أيضا، بل لا بد من تصحيح روايه كل خارجى و ناصبى، مع أنهم يدّعون: أن هؤلاء أهل بدعه قد ترک أهل السنه حديثهم (1).

و مع أن فيهم من يدعو إلى بدعته، و من كان داعيه إلى بدعته لا تقبل روايته (2).

و مع أنه قد تقدم: أن الخوارج معروفون بوضع الحديث، و قد ترک الناس الروايه عنهم فى البدايه لذلک.

فعالجوا هذا المشكل بدعوى: أن (الخوارج أعلم بكثير من الرافضه، و الخوارج أصدق من الرافضه. بل الخوارج لا نعلم عنهم أنهم يتعمدون الكذب. بل هم من أصدق الناس) (3).

و قال أبو داود: (ليس فى أهل الأهواء أصح حديثا من الخوارج) (4).

و قال التهانوى: (الخوارج لا يكادون يكذبون. بل هم من أصدق4.

1- ميزان الإعتدال ج 1 ص 3 و لسان الميزان ج 1 ص 7 و 12.
2- راجع تفصيل ذلک فيما تقدم و فى لسان الميزان ج 1 ص 10.
3- قواعد فى علوم الحديث للتهانوى ص 443.
4- ميزان الإعتدال ج 3 ص 236 و العتب الجميل ص 121 و فتح البارى (المقدمه) ص 432 و ج 2 ص 154.

الناس مع بدعتهم و ضلالهم) (1).

و قال ابن تيميه: (الخوارج مع مروقهم من الدين فهم أصدق الناس، حتى قيل: إن حديثهم أصح الحديث) (2).

و علل بعضهم صدقهم بأنهم يقولون بأن مرتكب الكبيره كافر (3).

و لا ندرى كيف صح له هذا التعليل. و هؤلاء الخوارج أنفسهم قد قتلوا عبد اللّه بن خباب، و ارتكبوا جرائم الزنا. و غيرها مما هو مسطور فى تواريخهم؟!

41- الإعتزال، و عداء أهل الحديث:

و حين طغت مدرسه أهل الحديث، و نشروا فى الناس الكثير من الأمور التى يأباها العقل و الوجدان، و الفطره، و تخالف القرآن. مثل:

نفى عصمه النبى صلى الله عليه و آله وسلم إلا فى التبليغ.

عقيده الجبر.

التجسيم و التشبيه.

لزوم الخضوع للحاكم الظالم، و المنع من الإعتراض عليه.

و غير ذلک من أمور أدخلوها فى عقائد المسلمين، و فى تاريخهم.

و هى مأخوذه فى الأكثر من أهل الكتاب.

ثم واجههم المعتزله، و غيرهم، و لا سيما الشيعه بالأحاديث8.

1- قواعد فى علوم الحديث ص 444/ 445.
2- بحوث فى تاريخ السنه المشرفه ص 29.
3- المصدر السابق ص 28.

الصحيحه و الصريحه، التى رووها هم أنفسهم، فأحرجوهم فى كثير من المواقع، و فندوا مزاعمهم و أقاويلهم. سواء بالنسبه لكثير من الجهات العقائديه، أو بالنسبه لبعض ما يزعمون أنه أحداث تاريخيه، أو غيرها.

فإنهم التجأوا إلى أسلوب التجريح، و المقاطعه على الصعيد الفكرى، و قرروا بالنسبه إلى الشيعه ردّ روايه كل من فيه رائحه التشيع.

و أما بالنسبه للمعتزله الذين كانوا يتمتعون بالتأييد من قبل عدد من الحكام، فقد قرروا:

أنه إذا كان الراوى معتزليا، يناصب أهل الحديث العداء، فلا يسمع كلامه، و لا يعتدّ به، لأن كونه معتزليا، مخالفا لأهل الحديث، يوجب ضعفه، و سقوط ما يأتى به !! (1).

42- خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء:

و من الذين يسمح لهم بالحديث على نطاق واسع عائشه أم المؤمنين، التى نشرت فى الناس ألوف الأحاديث، التى تصب فى اتجاه معين، لا يتلاءم كثيرا مع خط على (عليه السلام) و أهل بيته. إن لم نقل:

إنه يؤيد الإتجاهات المخالفه له فى كثير من الأحيان.

و منعا لأى ريب أو اعتراض، فقد جاءت الضابطه على صوره حديث منسوب إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم يقول:

خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء (2).

43- أبو هريره راويه الإسلام:

1- السنه قبل التدوين ص 443.
2- صفحه 252.

و من المعلوم: أن أبا هريره الدوسى يستأثر بأكبر رقم من الروايات التى ينسبها إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، حيث إن له منها، حسب إحصائيه ذكرها العلامه أبو ريه رحمه اللّه 5374 حديثا (1).

و نحن نجد الطعون تتوجه إلى هذا الرجل، أعنى أبا هريره من كل حدب و صوب، و قد ألّفت فى ذلک الكتب (2)، و كتبت البحوث.

بل إنک تجد فى الطاعنين عليه من هو من كبار الصحابه أيضا؛ و قد قال إبراهيم أبو سيار النظام: أكذبوه: عمر، و عثمان، و على، و عائشه (3).

و ردّ سعد على أبى هريره مره، فوقع بينهما كلام حتى ارتجت الأبواب بينهما (4).

و روى عن عمر بن الخطاب قوله: أكذب المحدثين أبو هريره (5).

و قد ذكر الذهبى نصوصا عديده تفيد أنهم كانوا يتجنبون حديث أبى هريره، و يتكلمون فى إكثاره من الحديث (6).

و إن أدنى مراجعه لكتاب أبو هريره شيخ المضيره للشيخ محمود أبى ريه، و كذا كتاب أبو هريره للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، تغنينا عن ذكر النصوص الكثيره لذلک.ه.

1- راجع: كتابه أضواء على السنه المحمديه ص.
2- راجع كتاب: أبى هريره لشرف الدين، و كتاب: أبو هريره شيخ المضيره، لأبى ريه.
3- تأويل مختلف الحديث ص 132 و السنه قبل التدوين ص 455.
4- سير أعلام النبلاء ج 2 ص 603.
5- السنه قبل التدوين ص 455 عن: ردّ الدارمى على بشر المريسى ص 132.
6- راجع: سير أعلام النبلاء ج 2 ترجمه أبى هريره.

و بعد كل ما تقدم نقول:

لقد رأوا: أن هذه الطعون التى تتوجه إلى أبى هريره من كل حدب و صوب، قد تؤدى إلى إحداث خلل كبير فى البنيه الفكريه لتيار كبير من الناس، فلا بد إذن من مواجهه هذه الهجمه بهجمه مماثله.

و لا مانع من أجل تثبيت الأصول و القواعد من استعمال أسلوب التخويف، و التهويل، بل و السباب. ثم الإتهام بكل عظيمه.

و إن لم ينفع ذلک كله فى دفع غائله تلک التجريحات و الطعون، فبالإمكان الإلتجاء إلى أسلوب تحريض الحكام على أولئک الناس، إذا ما حاولوا التذكير بأقوال السلف و مواقفهم من أبى هريره راويه الإسلام.

و لعل خير ما يجسد هذا الإتجاه هو أقوال ابن خزيمه التى جمعت ذلک كله، حيث قرر:

أن من يطعن فى أبى هريره:

إما معطل جهمى ..

و إما خارجى يرى السيف على أمه محمد، و لا يرى طاعه خليفه، و لا إمام.

أو قدرى.

أو جاهل (1).

هذا كله عدا عن رمى الطاعنين على أبى هريره بالإنحراف، و الضلال، و بكثير من أنحاء التوهين و التهجين، و الإخراج من الدين.

كل ذلک إكراما لأبى هريره، فلأجل عين ألف عين تكرم.8.

1- راجع: السنه قبل التدوين ص 467 و 468.

44- لا يعرض الحديث على القرآن:

و من أجل مواجهه الحاله الناشئه من وجود أحاديث كثيره حتى فى الصحيحين تخالف القرآن الكريم، و تنافيه، الأمر الذى من شأنه أن يحرج القائلين بصحه كل ما فى الصحيحين، و كذا ما جاء فى غيرهما من أحاديث بأسانيد معتبره و صحيحه، حسب تقديراتهم.

من أجل ذلک، قرروا: أن الحديث أصل قائم برأسه (1) و لا يعرض على الكتاب العزيز، و الأحاديث التى تلزم بعرض الحديث على القرآن هى من وضع الزنادقه. و السنه قاضيه على الكتاب، و ليس الكتاب بقاض على السنه. (و سيأتى ذلک مع مصادره فى الفصل التالى إن شاء اللّه تعالى).

و لأجل هذا نجد: (أن كثيرا من أهل الحديث استجازوا الطعن على أبى حنيفه؛ لردّه كثيرا من أخبار الآحاد العدول، لأنه كان يذهب فى ذلک إلى عرضها على ما اجتمع من الأحاديث، و معانى القرآن) (2).

45- موافقه أهل الكتاب:

أما ما نرى: أنه قد جاء موافقا لأهل الكتاب، فهو لا يعنى- بالضروره- أن أهل الكتاب قد تلاعبوا بهذا الدين، و أدخلوا فيه ترهاتهم. و ذلک لوجود ضابطه مزعومه تقول:

إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم كان يحب موافقه أهل الكتاب فى كل ما لم9.

1- مقالات الإسلاميين ج 2 ص 251.
2- أضواء على السنه ص 370 عن الإنتقاء ص 149.

يؤمر به (1).

رغم أننا قد قدمنا: أن الأمر كان على عكس ذلک تماما، و لسوف يأتى فى هذا الكتاب، حين الكلام حول صيام عاشوراء ما يثبت ذلک أيضا إن شاء اللّه تعالى.

46- حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج:

أما بالنسبه للروايه عن بنى إسرائيل، و إعطاء الفرصه لأهل الكتاب لبث سمومهم، و العبث بأفكار الناس، و تسريب عقائدهم، و أفكارهم، و حتى أحكامهم الفقهيه إلى المسلمين، فليس الذنب فى ذلک ذنبهم، و إنما كان ذلک انسجاما مع الضابطه المقرره، و امتثالا للمرسوم الذى يقول:

حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج.

و كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم يحدث عن بنى إسرائيل عامه ليله حتى يصبح، كما زعموا. و كل ذلک قد تقدم.

47- الحسن و القبح شرعيان لا عقليان:

و تواجههم أحكام شرعيه مزعومه، و أقاويل عقائديه، و أحاديث و أوامر و أمورا غير معقوله، و لا مستساغه. من قبيل ما ذهب إليه جمهور الأشاعره من أن التكليف بغير المقدور، و ما لا يطاق صحيح و جائز. بل جوز بعضهم التكليف بالمحال أيضا (2) و استدلوا على ذلک بما لا مجالا،

1- راجع: صحيح البخارى ط الميمنيه ج 4 ص 67 و السيره الحلبيه ج 2 ص 132 و زاد المعاد ج 1 ص 165.

2- راجع: نهايه السول (شرح منهاج الأصول) ج 1 ص 315- 321 متنا و هامشا،

لذكره هنا [(1)] و استدل البعض بروايات بدء نزول الوحى أيضا، كما سيأتى.

فمن أجل مواجهه الضجه التى ربما تثيرها أقاويل من هذا القبيل جاؤا بضابطه عجيبه غريبه تقول:

إنه لا قبيح إلا ما قبحه الشرع، و لا حسن إلا ما حسنه الشرع. أما العقل فلا دور له فى هذا الأمر، لا من قريب و لا من بعيد. و هذا ما ذهب إليه الأشعريه، و من وافقهم [(2)] و بذلک تنحل عندهم كثير من العقد العقائديه، و التاريخيه، و الفقهيه و غيرها.

و لا نريد أن نناقش هذه المزعمه هنا، غير أننا نشير إلى أن الشوكانى- و هو من كبار علمائهم- قد اعتبر إنكار إدراک العقل لكون الفعل حسنا، أو قبيحا مكابره و مباهته [(3)].

48- صوافى الأمراء:

و قد قلنا فى فصل سابق: إنهم من أجل تلافى الإعتراضات على بعض الفتاوى التى كانت تصدر من بعض الرموز الرئيسيه، مما يخالفون فيها صريح النص القرآنى أو النبوى، الأمر الذى قد يزعزع الثقه بهم، بالإضافه إلى سلبيات أخرى.

إنهم من أجل تلافى ذلک، قرروا حصر الفتوى فى القضايا السياسيه و القضائيه الهامه، بالأمراء؛ و سمّوها: صوافى الأمراء.9.

1- راجع: إرشاد الفحول ص 9.
2- راجع: إرشاد الفحول ص 7 و نهايه الأصول ج 1 ص 314 و ص 81- 85.
3- إرشاد الفحول ص 9.

ص: 252

49- الفتوى لأشخاص بأعيانهم:

و أما سائر ما تبقى من أمور، فقد أوكلت إلى أناس بأعيانهم، و حظر على الآخرين الذين لا يطمئن إلى ميلهم، أو أهليتهم فى مجال تقويه الخط السياسى القائم- حظر عليهم- أن يتصدوا للفتوى، أو للروايه.

و قد قدمنا بعض ما يوضح ذلک فلا نعيد.

ثم قرروا ضابطه أخرى و هى:

50- المنع من الحديث، من روايته، و من كتابته:

و كذا ضابطه:

51- المنع من السؤال عن معانى القرآن:

إلى غير ذلک من معايير زائغه، و ضوابط تهدف إلى حفظ الإنحراف و الإحتفاظ به. لا يتسع المقام لذكرها، و لا تسمح الفرصه بتقصيها. و لعل فيما ذكرناه كفايه لمن أراد الرشد و الهدايه.

ص: 254

الفصل الثامن: الضوابط الصحيحه للبحث العلمی

اشاره

لا بد من معايير و ضوابط:

و إذ قد اتضح لدينا: أنه قد كان ثمه خطه خبيثه، تستهدف النيل من شخصيه النبى العظيم و الكريم (صلى اللّه عليه و آله)، و من المقدسات الإسلاميه، و من كل رموز الإسلام و شعائره، و مبانيه و مآثره؛ فمن الضرورى جدا- إذا أردنا تقييم النصوص الروائيه و التاريخيه النبويه، و كل قضايا الإسلام- أن نعتمد معايير و ضوابط قادره على إعطائنا الصوره الحقيقيه، و الأكثر نقاء و صفاء. ثم هى قادره على إبعاد ذلک الجانب الموبوء و المريض، و المزيف عن دائره اهتماماتنا، ثم عن محيطنا الفكرى، و العملى بصوره كامله و شامله.

فما هى تلک المعايير؟ و ما هى حقيقه هاتيک الضوابط؟!

إننا من أجل الإجابه على هذا السؤال نقول بإيجاز و اختصار:

أدوات البحث الموضوعى و العلمى:

اشاره

إن من الواضح: أن ما لدينا من علوم إسلاميه، مثل علم الفقه و أصوله، و علوم القرآن، و الكلام، و الرجال، و التاريخ، و النحو و اللغه، و غير ذلک قد استفدنا فى بعضه- جزئيا على الأقل- من إرشادات العقل

و أحكامه، و من تتبع و دراسه اللغه العربيه، من جهات و حيثيات مختلفه.

إلا أن معظم ذلک قد جاء من خلال الإستفاده من النص القرآنی الکریم، و معرفه حقائقه و دقائقه، و سائر ما یرتبط به، ثم ما جاء علی شکل روایات، نقلها لنا أناس عن غیرهم، و نقلها ذلک الغیر عن آخرین أیضا ...

و هکذا إلی أن ینتهی الأمر إلی النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، أو الإمام (ع)، أو أی شخص آخر روی الحدث أو عاینه، أو صدر منه القول أو الموقف.

فإذا أردنا البحث فی صحه أو فساد هذا المنقول، فلا بد لنا من امتلاک أدوات البحث، و استخدام وسائله.

و نرید أن نوضح هنا: أن وسائل، و أدوات البحث العلمی لدی الواعین من أهل الإسلام، لا تختلف عنها لدی غیرهم من عقلاء البشر جمیعا، فهم یعتمدون نفس المعاییر و الضوابط التی یعتمدها سائر العقلاء، و الحکماء من الناس، إذا أرادوا الوصول إلی ما هو حق و واقع و صحیح، و استبعاد ما هو مزیف، أو محرّف، أو مصطنع.

و نحن لا بد لنا من أجل استیفاء البحث من الإشاره إلی بعض تلک الأدوات و الوسائل (1)، فنقول:ه.

1- إن محط نظرنا فی هذا الفصل و فی سابقه، هو- فی الأکثر- النصوص المرتبطه بالنبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و الأئمه المعصومین (ع). و ما عدا ذلک من قضایا تاریخیه فإنه لا یهمنا کثیرا الآن. و نشیر هنا إلی أن من المعلوم: أن التاریخ و کل قضایا التراث قد کتبت- فی الأکثر- بأید غیر أمینه، فلا یمکن المبادره إلی عرضها علی أنها تاریخ أو تشریع، أو غیر ذلک إلا بعد دراستها بعمق، و تمحیصها بصوره کافیه و وافیه. و نحن نعترف فی الوقت الحاضر أننا غیر قادرین علی القیام بمهمه کهذه.

مما سبق:

قد قدمنا فی الفصل السابق نماذج قلیله من معاییر و ضوابط مزیفه تهدف إلی حفظ الإنحراف، و الإحتفاظ به، و ترسیخه، و تبریره و تقریره.

و نستطیع أن نستخلص منها مجموعه من القواعد و المنطلقات، أو فقل: المعاییر و الأطر، التی لا بد من مراعاتها، و الإلتزام و التقید بها فی مجالات و مراحل البحث العلمی الموضوعی و النزیه، فی النصوص المختلفه التی تحدثنا عن الدین، و العقیده و الشریعه. و السیره، و المواقف الجهادیه و غیرهما. خصوصا ما کان منها مرتبط بأقوال و مواقف و أفعال النبی الأکرم (صلی اللّه علیه و آله)، و الأئمه الطاهرین من أهل بیته صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین.

و النقاط التی ذکرناها فی ذلک الفصل، و إن کنا لم نذکرها جمیعها، و إن کانت کثیره و متنوعه، إلا أننا نعید التذکیر ببعضها کنموذج یوضح ما نرمی إلیه، فنقول:

1- لیس لأحد حق التشریع، و لا یؤخذ من أحد سوی اللّه و رسوله، ثم من أمر رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم بأخذ الشریعه منهم، و هم أهل البیت الأطهار (علیهم السلام)، الذین هم سفینه نوح، من رکبها نجا، و من تخلف عنها غرق و هوی، و هم أحد الثقلین اللذین لن یضل من تمسک بهما إلی یوم القیامه.

2- إنه لا سنه إلا سنه رسول اللّه صلی الله علیه و آله وسلم ، و سنه الخلفاء الراشدین، و هم خصوص الخلفاء الإثنی عشر من أهل بیته الأطهار، الذین أخبر صلی الله علیه و آله وسلم عنهم- کما رواه البخاری، و مسلم، و أبو داود و أحمد و غیرهم (1).0.

1- راجع کتابنا: الغدیر و المعارضون ص 61- 70.

3- لا معصوم إلا الأنبياء، ثم الأئمه الإثنا عشر (عليهم السلام)، و كل من عداهم يجوز عليه الخطأ، و السهو، و النسيان و غيره، و لا يصح قولهم: إن الأمه معصومه، فضلا عن عصمه أى كان من الناس.

4- لا نبوه لأحد بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، كائنا من كان، فلا يقبل قولهم: الإجماع نبوه بعد نبوه.

5- إنه لا إجتهاد لأحد مع وجود الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله و سلم).

6- لا إجتهاد فى مقابل النص عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و الأئمه الطاهرين (عليهم السلام).

7- إن حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم لا يعارض بفتوى أو عمل صحابى أو غيره، بل قول الرسول هو المعيار و الميزان.

8- دعوى إجتهاد جميع الصحابه مردوده، بل فيهم العالم و الجاهل، و الذكى و الغبى و إلخ .. فلا تقبل دعوى إجتهاد واحد منهم إلا بشاهد و دليل.

9- إنه لا قيمه للرأى و لا للإستحسان، و لا للقياس فى التشريع.

فضلا عن تقديم أى من هذه الأمور على الآثار و السنن. فضلا عن صحه نسبه ما دل عليه القياس مثلا إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم .

10- يجوز مخالفه كل أحد- حتى أئمه المذاهب، إذا وجد النص عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم على خلافه.

11- أئمه المذاهب كغيرهم من المجتهدين الآخرين، و يجوز لكل أحد أن يجتهد و يخالفهم، و لا يجب الوقوف عند آرائهم.

12- لا تقليد فى الأمور الإعتقاديه، و لا سيما الأمور الأساسيه منها، و لا بد فيها من الدليل القاطع، و البرهان الساطع. و لا يكفى الظن

و الحدس، بل لا بد من تحصيل اليقين.

13- ليس الصحابه كلهم عدولا و لا برره أتقياء، بل فيهم الورع التقى، و غيره. و ما احتج به البعض لإثبات ذلک لا يکفى، و لا يصح (1).

14- ما يفسق به غير الصحابى يفسق به الصحابى، فلا يصغى لدعوى: أن الصحابى لا يفسق بما يفسق به غيره.

15- مرسلات الصحابه کمرسلات غيرهم، فدعوى حجيتها دون سواها، لا تستند إلى دليل معقول، و لا مقبول.

16- إن القرآن وحده هو الكتاب الصحيح مئه بالمئه، و کل کتاب سواه قد يوجد فيه الصحيح و الضعيف، و المحرف، و المجعول.

17- لا تکفى صحه سند الروايه بأنها حقيقه واقعه، بل لا بد من ملاحظه سائر المعايير، ليمکن بعد ذلک كله إصدار الحکم عليها، نفيا أو إثباتا.

18- إننا لا نرى أيه قدسيه لأى کتاب، إلا بملاحظه ما تضمنه من حديث الرسول صلى الله عليه و آله وسلم مع الإلتفات إلى أنه ليس جميع ما فى الكتاب كذلک، فقد يكون بعضه مزيفا و مختلقا، و بعضه محرفا أو مصحفا.

19- إذا کان ثمه حديث موافقا لما عند أهل الکتاب، فإنه يصبح مشكوكا فيه، و لا يصح قولهم: إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم کان يحب موافقه أهل الكتاب فى کل ما لم ينزل فيه شى ء، بل عكس ذلک هو الصحيح.

20- دعواهم أن الخوارج صادقون فيما ينقلونه لا تصح، بل الصحيح هو عکس ذلک.ن.

1- راجع: صراع الحريه فى عصر المفيد ص 70- 74 و دراسات و بحوث فى التاريخ و الإسلام ج 2 ص 253- 271 طبع ايران.

ص: 260

21- دعوى أن الشيعه و الروافض يكذبون غير صحيح، و الصحيح هو العكس.

22- دعوى أن من روى له الشيخان فقد جاز القنطره ليس لها ما يبررها، بل هم كغيرهم من الرواه، فيهم الثقه، و غير الثقه.

23- الإعتزال و التشيع، و المخالفه لأهل الحديث لا يوجب ردّ روايه الراوى.

24- الحسن و القبح عقليان، و ليسا شرعيين.

25- النبى صلى الله عليه و آله وسلم لا يجتهد من عند نفسه.

و بعد ما تقدم نقول: إننا نضيف إلى ما تقدم طائفه من الضوابط التى لا يمكن تجاهلها لأى باحث فى التراث الإسلامى؛ و هى التاليه:

1- دراسه حال الناقلين:

إن أول ما يطالعنا فى الحديث المأثور، أو فى النص المزبور هو سنده، الذى يتمثل بمجموعه أسماء تدل على الذين نقلوا الحديث أو الحدث، لا حق عن سابق.

و طبيعى أن يكون اهتمام الباحث بادئ ذى بدء منصبّا على دراسه حال الناقلين للنص، لتحصيل درجه من الوثوق و الإعتماد، ليكون ذلك عذرا أمام اللّه لو كان خطأ، و ليكون حجه للّه تعالى عليه لو أصاب، و ليرضى بذلك الوجدان، و يطمئن القلب و الضمير له، لو أريد الإقدام و الإحجام على أساسه، حيث تكون ثمه حاجه إلى ذلك.

و واضح: أن من عرف عنه: أنه يكذب فى خبره، أو لا يدقق و لا يحقق فيه، فلا يمكن الإعتماد على ما يخبر به إلا بعد تأكيد صحته من مصادر و جهات أخرى. و كذا الحال بالنسبه لخبر من عرف عنه: أنه ينساق

وراء هواه السياسى أو المذهبى، أو يستسلم لمشاعره العرقيه، أو يتعصب لبلد، أو لطائفه أو غير ذلک. الأمر الذى يحتم علينا دراسه حاله الرواه لمعرفه ميولهم، و إرتباطاتهم السياسيه و المصلحيه و غيرها.

على أن من الضرورى الإلتفات إلى أن ضعف سند الحديث، لا يعنى بالضروره أنه مكذوب و مجعول. بل ما يعنيه هو أن الخلل فى السند قد أخلّ بدرجه الوثوق و الإعتماد على النص، فلا بد لتحصيل الوثوق به من طرق و وسائل أخرى.

2- التزام النهج البيانى الصحيح:

و من جهه أخرى، إذا فرض: أن النص صادر عن رئيس الفصحاء و البلغاء؛ فلا بد من التأكد من سلامته فى مبانيه اللغويه، و فى أدائه على النهج العربى الصحيح، من حيث التركيب، و التزام قواعد الإعراب، و مراعاه ضوابط الفصاحه و البلاغه فيه، على نحو يليق بمن صدر عنه، و ينسجم مع لغته، و نهجه البيانى.

3- الانسجام مع الاطروحه و النهج:

و إذا كان النص يتعرض لبيان فكرى، أو سلوكى، أو عقيدى، فلا بد أن لا يتعارض مع النهج الفكرى، و العقيدى، و السلوكى الذى يلتزمه ذلک الذى أطلق النص، أو صدر عنه الموقف، ما دام أنه عاقل حكيم؛ فمن ينزه اللّه عن الجسميه مثلا، لا يمكن أن يصف اللّه بأن له أضراسا، و لهوات، و أصابع، و ساقا، و قدما، و غير ذلک على نحو الحقيقه، كما هو للإنسان و غيره من المخلوقات.

4- الشخصيه فى خصائصها و مميزاتها:

و إذا كان النص يحكى سلوكا لشخصيه ما، فلا بدّ أن يكون بحيث يمكن أن يصدر ذلک الفعل أو الموقف من تلک الشخصيه، من خلال ما عرف عنها من مميزات و خصائص، ثبتت بالدليل الصحيح و القطعى؛ فلا ينسب الجبن و العىّ مثلا لعلى بن أبى طالب، و الشح و البخل لحاتم الطائى، و الرذيله و الفجور لأنبياء اللّه سبحانه و أصفيائه، و لأئمه الدين، و أولياء اللّه إذن.

على الباحث فى السيره النبويه المباركه: أن يبادر إلى تحديد معالم الشخصيه النبويه، و معرفه ما لها من مميزات و خصائص؛ فإذا ثبت لديه بالدليل: أن هذه الشخصيه فى أعلى درجات الحكمه، و العصمه، و الشجاعه، و الطهر، و الحلم، و الكرم، و الحزم، و العلم، و غير ذلک، متحليا بكل صفات النبل و الفضل، و جامعا لمختلف سمات الجلال و الجمال، و الكمال، و لسائر المزايا الإنسانيه المثلى- إذا ثبت ذلک، فلا بد من جعل كل ذلک معيارا لأى نص يرد عليه، و يريد أن يسجل قولا، أو فعلا، أو موقفا له (صلى اللّه عليه و آله).

فإذا جاء النص منسجما مع الوضع الطبيعى للشخصيه النبويه المثلى، بما لها من خصائص فإنه يكون مقبولا، بعد توفر سائر شرائط القبول، و إلا فما علينا إذا رددناه جناح.

فالنص المقبول إذن هو ذلک الذى يسجل الحقيقه كل الحقيقه، دون أن يتأثر بالأهواء السياسيه، و المصلحيه، و لا بأى من العوامل العاطفيه و غيرها.

فكما أننا لا يمكن أن نقبل أن يكون مرجع دينى، معروف بالورع و التقوى، قد ألف أغنيه أو لحنها، للمغنيه الشهيره فلانه، فكذلک لا يمكن أن نقبل بنسبه ما هو مثل ذلک أو أقبح و أشنع منه، إلى ساحه قدس الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه و آله).

ص: 263

5- عدم التناقض بين النصوص:

و مما يفيد فی استجلاء بعض نقاط الضعف فی النصوص المنقوله.

بل و فی حصول اليقين بوجود تصرف سهوی أو عمدی فيها، هو وجود التناقض و التنافی فيما بينها فإن ذلک يشير إلی وجود نص مجعول، أو تعرضه لتصرف فيه أزاله عن وجهته الصحيحه، الأمر الذی يستدعی مزيدا من الإنتباه، و بذل المزيد من الجهد لمعرفه الصحيح من السقيم، و الحقيقی من المزيف منها.

6- أن لا يخالف الواقع المحسوس:

و مما يفيد فی الإقتراب من واقع النص، مراقبته من حيث موافقته، أو مخالفته لما هو مشاهد محسوس، کما لو ادّعی النص: أن أقرب طريق من مکه إلی المدينه يمر عبر الأندلس، أو ادعی: أن مدينه مکه تقع فی سنغافوره، أو ادعی أن الشمس تطلع کل يوم من المغرب، أو فی وسط الليل، و ما إلی ذلک، مما يدل علی أنه نص مکذوب، أو محرف، لا مجال لقبوله، و لا يصلح للإعتماد عليه.

7- أن لا يخالف البديهيات:

و من الواضح: أن هناک بديهيات و ضرورات عقليه ثابته، لا يمکن الإخلال بها لأن معنی ذلک هو الإخلال بکل شی ء فی هذه الحياه. فإذا جاء النص مخالفا لهذه الضرورات، فلا بد من ردّه و رفضه، و ذلک کما لو ادّعی: أن الثلاثه زوج، أو أن الأربعه نصف الخمسه، أو أن الضدين قد اجتمعا، و ما إلی ذلک من أمور.

فإن ذلک کله يکون دليلا علی کذب ذلک النص و عدم صدوره من إنسان عاقل واع، فضلا عن أن يکون صادرا من نبی أو إمام معصوم.

و ذلک لأن الإسلام قد أکد علی لسان نبیه، و نطق القرآن: أن العقل هو المیزان و المعیار. و قد اهتم بمخاطبته، و إثارته، و جعله الحکم الفصل فی الأمور و القضایا، و نعی علی کل من لا یهتدی بهداه، و لا یستضی ء بنوره فی موارد کثیره و مختلفه.

و مما یلفت النظر هنا: أن هذه المخالفات للضرورات العقلیه تکثر فی الأمور العقائدیه، و فی بعض قضایا التاریخ و غیرها. و من ذلک قولهم:

إن اللّه عادل حکیم، و لکنه یجبر عباده علی أفعالهم، ثم یثیبهم أو یعذبهم علیها.

و قولهم: إنه تعالی لا یحده مکان، و لا جهه، ثم یقولون: إن له ساقا، و قدما، و أصابع، و لهوات، و نواجذ، إلخ!!

و أمثال ذلک کثیر و خطیر؛ فراجع و لا حظ.

8- أن لا یخالف الحقائق الثابته:

و لا یمکن أیضا قبول نص یخالف الحقائق العلمیه الثابته بالأدله القطعیه، کالنص الذی یقول: إن الأرض تقوم علی قرن ثور. و کذا لو جاء نص یقول: إن الأرض مسطحه، و لیست کرویه.

و من ذلک ما لو خالف النص حقیقه ثبتت فی علم الریاضیات، أو نحوه، فإنه یرفض و یرد، مهما کان سنده صحیحا، و حتی إعلائیا أیضا.

و أما إذا خالف نظریه قد شاعت و ذاعت، و لکنها لم تصل إلی درجه الثبوت القطعی، فإن ذلک لا یکون دلیلا علی ضعف النص المنقول، بل یکون وجود هذا النص، من أسباب و هن تلک النظریه، و تقلیل احتمالات الوثوق بها، و الإعتماد علیها.

9- الإمکانیه التاریخیه:

أما إذا حمل النص الذى هو مورد البحث تناقضا مع ما هو الثابت تاريخيا، بصوره قطعيه، فإن ذلک یدعو إلى رفضه و ردّه أيضا، فإذا كان من الثابت أن الإسراء و المعراج قد حصل قبل الهجره، بل حصل فى السنوات الأولى من البعثه، و ثبت أن عائشه إنما انتقلت إلى بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله) بعد الهجره؛ فلا يمكن- بعد هذا- تصديق النص الذى ينقل عن عائشه نفسها، أنها قالت: ما فقدت جسد رسول اللّه فى تلک الليله؛ يعنى ليله الإسراء و المعراج.

و يدخل فى هذا أيضا ما لو ادّعى الراوى: أنه سمع أو رأى رجلا، قد مات قبل أن يولد ذلک الراوى، أو أنه قد ولد بعد وفاته.

و الأمثله التى تدخل فى هذا المجال و سابقه كثيره جدا و متنوعه، كما يعلم بالمراجعه و المقارنه.

10- موافقه الأحكام العقليه و الفطريه:

و إذا كان الكل يعلم: أن جميع ما جاء به رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، و ما صدر عنه صلى الله عليه و آله وسلم و عن الأئمه (عليهم السلام) لا يخالف العقل، و لا يختلف معه، و لا يخالف قضاء الفطره، و لا يشذ عنها.

فمعنى ذلک: أننا إذا رأينا نصا ينسب إلى الرسول (صلى اللّه عليه و آله)، أو إلى أحد الأئمه (عليهم السلام)، ما يرفضه العقل، و تأباه الفطره السليمه و المستقيمه، فإننا سوف نشک فى صحه ذلک النص، حتى إذا لم نجد له تأويلا مقبولا، أو معقولا؛ فإننا لا نتردد فى ردّه و رفضه من الأساس.

و من ذلک حكم العقل بوجوب أن يكون النبى (صلى اللّه عليه و آله)، و الإمام (عليه السلام) معصوما من الخطأ، مبرءا من الزلل؛ فالنص الذى يريد أن ينسب إلى النبى صلى الله عليه و آله وسلم و الإمام (ع) خطأ أو زللا، لا نتردد

فی رفضه، و لا نشک فی أنه من وضع أعداء الدین، و أصحاب الأهواء.

فتصبح العصمه، و سائر أحکام العقل و الفطره حول الذات الإلهیه، و مواصفات الشخصیه النبویه، و غیر ذلک، معاییر و ضوابط یعرف بها الصحیح من السقیم، و الحقیقی من المزیف، و السلیم من المحرف.

11- الإنسجام مع الأجواء و المناخات:

و إذا استطاع الباحث أن یکتشف المناخات و الظروف، و أن یتعرف علی الأجواء السیاسیه، أو الإجتماعیه، و غیرها. وفق ما توفر لدیه من وسائل، و إمکانات، فإنه یستطیع أن یکتشف من خلال ذلک انسجام أو عدم انسجام کثیر من النصوص مع الواقع الذی استطاع أن یتلمسه، و أن یطلع علی خصائصه و مزایاه، و عناصره و خفایاه.

و یصبح هذا الفهم أیضا أحد وسائل المعرفه التی یمکنه الإستفاده منها، و الإعتماد علیها، و الإستناد إلیها فی نطاق البحث العلمی و الموضوعی.

12- المعیار الأعظم و الأقوم:

و إذا ثبت لأی من الناس: أن کتابا مّا صحیح کله، و لا یتطرق إلیه أی ریب أو شک، فإنه سوف یجعله معیارا لکل ما یرد علیه، فیقبل ما وافقه، و یرد ما خالفه، سواء أکان ذلک الکتاب یتحدث عن علم الکیمیاء، أو الفیزیاء، أو الریاضیات، أو علوم الدین و الشریعه، أو أی شی ء آخر ...

و لا ریب فی أن القرآن هو ذلک الکتاب الذی أحکمت آیاته، و لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه. فهو المعیار الأقوم، و هو المیزان الأعظم لا یرتاب فی ذلک ذو مسکه، أو شعور قویم و سلیم.

و فضلا عن ذلک، فإن النصوص قد تواترت و تضافرت علی الأمر

بالعرض على كتاب اللّه، فما وافق كتاب اللّه فخذوه، و ما خالفه فاتركوه.

و عن الإمام الصادق (عليه السلام): ما لم يوافق كتاب اللّه فهو زخرف (1).

و من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) عند ختم القرآن: (و ميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، و نور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، و علم نجاه لا يضل من أمّ قصد سنّته) (2).

و عن الإمام الباقر (عليه السلام): (إذا حدثتكم بشى ء فاسألونى عن كتاب اللّه) (3).

و مثل ذلک كثير عن أهل البيت (عليهم السلام) من طرق شيعتهم.

و أما ما رواه غيرهم فى هذا المجال، فهو كثير أيضا، و نذكر من ذلک النصوص التاليه:

1- روى عن النبى (صلى اللّه عليه و آله) أنه قال: تكثر لكم الأحاديث بعدى، فإذا روى لكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب اللّه، فما وافق كتاب اللّه، فاقبلوه، و ما خالف فردوه (4).3.

1- أصول الكافى ج 1 ص 55 و فى الباب روايات كثيره أخرى، فمن أرادها فليراجعها.
2- راجع: الصحيفه السجاديه، الدعاء رقم 42.
3- الميزان فى تفسير القرآن ج 3 ص 176 عن الكافى.
4- عن أصول الحنفيه للشاشى ص 43 و راجع: كنز العمال ج 1 ص 176 عن ابن عمر عنه صلى الله عليه و آله وسلم . و ص 175 و 160 عن ثوبان عنه صلى الله عليه و آله وسلم . و النقل فى الجميع عن الطبرانى، و مجمع الزوائد ج 1 ص 170 عن ثوبان عنه صلى الله عليه و آله وسلم ، و أصول السرخسى ج 1 ص 315 و ج 2 ص 68، مستدلا به على عدم جواز نسخ الكتاب بالسنه و نهايه السول، تعليقات محمد بخيت المطيعى ج 3 ص 173.

2- عن ابن عباس: إذا سمعتمونى أحدث عن رسول اللّه، فلم تجدوه فى كتاب اللّه، أو حسنا عند الناس فاعلموا أنى كذبت عليه (1).

3- و عن ابن مسعود: فانظروا ما واطأ كتاب اللّه فخذوه، و ما خالف كتاب اللّه فدعوه (2).

4- و عن أبى بكر فى خطبه له: فإن كانت للباطل غزوه، و لأهل الحق جوله، يعفوا لها الأثر، و تموت السنن، فالزموا المساجد، و استشيروا القرآن (3).

5- عن ابن أبى كريمه، عن جعفر، عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، أنه خطب، فقال: إن الحديث سيفشو علىّ، فما أتاكم عنى يوافق القرآن، فهو عنى، و ما أتاكم عنى يخالف القرآن فليس عنى (4).

6- و عن على (عليه السلام): ستكون عنى رواه يروون الحديث، فاعرضوه على القرآن، فإن وافق القرآن فخذوه، و إلا فدعوه (5).

7- و عن أبى هريره عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم ما يقرب من ذلك أيضان.

1- سنن الدارمى ج 1 ص 146.
2- المصنف للصنعانى ج 6 ص 112 و راجع خطبه ابن مسعود فى ج 11 ص 160 و جامع بيان العلم ج 2 ص 42 و حياه الصحابه ج 3 ص 191 عنه.
3- عيون الأخبار لإبن قتيبه ج 2 ص 233 و البيان و التبيين ج 2 ص 44 و العقد الفريد ج 4 ص 60.
4- الأم ج 7 ص 308 و أضواء على السنه المحمديه ص 367.
5- كنز العمال ج 1 ص 176 عن ابن عساكر. و فى تهذيب تاريخ دمشق حديث آخر عن على (ع) حول عرض الحديث على القرآن.

فراجع (1).

8- و عن أبی بن کعب رحمه اللّه، فیما أوصی به رجلا: اتخذ کتاب اللّه إماما، و ارض به قاضیا و حکما إلخ .. (2).

9- و عن معاذ: فاعرضوا علی الکتاب کل الکلام، و لا تعرضوه علی شی ء من الکلام (3).

هل السنه قاضیه علی الکتاب؟!:

فما تقدم هو حکم النبی الأعظم (صلی اللّه علیه و آله) و صحبه، حیث أوجبوا جعل القرآن حکما و مرجعا، و میزانا، یمیز به الحق من الباطل. و ذلک هو ما یحکم به العقل السلیم، و الفطره المستقیمه، بعد قیام الدلیل القطعی علی أن القرآن هو کتاب اللّه المنزل علی نبیه المرسل.

و لکننا وجدنا فی مقابل ذلک محاولات جاده و مصرّه للمنع عن العمل بالقرآن، و عن الرجوع إلیه، و عن اتخاذه حکما، و میزانا و معیارا فی کل الأمور، بل لقد منعوا حتی عن السؤال عن معانیه کما هو معلوم.

بل لقد جعلوا الحدیث المروی مقدما علی کتاب اللّه، و حاکما علیه. و قالوا:

(السنه قاضیه علی الکتاب و لیس الکتاب بقاض علی السنه) (4).م.

1- الکفایه فی علم الروایه ص 430.
2- حلیه الأولیاء ج 1 ص 253 و حیاه الصحابه ج 3 ص 576.
3- حیاه الصحابه ج 3 ص 197 عن کنز العمال ج 8 ص 87 عن ابن عساکر.
4- تأویل مختلف الحدیث ص 199 و سنن الدارمی ج 1 ص 145 و مقالات الإسلامیین ج 2 ص 324 و ج 1 ص 251 و جامع بیان العلم ج 2 ص 234 و 233 و عون المعبود ج 12 ص 356. و راجع: الکفایه للخطیب ص 14 و میزان الإعتدال ج 1 ص 107 و لسان المیزان ج 1 ص 194 و دلائل النبوه للبیهقی ج 1 ص 26 و الجامع لأحکام القرآن ج 1 ص 38 و 39 و راجع: المعتصر من المختصر من مشکل الآثار ج 2 ص 251 و نهایه السول للآسنوی ج 2 ص 579- 580 و بحوث مع أهل السنه و السلفیه ص 67 و 68 عن بعض ما تقدم.

رغم أن الحديث المروی لم یثبت أنه من السنه .. و حتی مع ثبوت ذلک، فإن هذه القاعده مرفوضه من الأساس.

الأدله الواهیه:

و مما ذکروه فی وجه ذلک ما قاله أبو بکر البیهقی: (و الحدیث الذی روی فی عرض الحدیث علی القرآن باطل، و هو ینعکس علی نفسه بالبطلان، فلیس فی القرآن دلاله علی عرض الحدیث علی القرآن) (1).

و قال الخطابی عن حدیث عرض الحدیث علی القرآن: (هذا حدیث وضعته الزنادقه) (2).

و قال عبد الرحمان بن مهدی: (الزنادقه و الخوارج وضعوا ذلک الحدیث، یعنی ما روی عنه صلی الله علیه و آله وسلم أنه قال: ما أتاکم عنی فاعرضوه علی کتاب اللّه، فإن وافق کتاب اللّه فأنا قلته، و إن خالف کتاب اللّه فلم أقله.

و إنما أنا موافق کتاب اللّه، و به هدانی اللّه.

و هذه الألفاظ لا تصح عنه صلی الله علیه و آله وسلم عند أهل العلم بصحیح النقل من سقیمه. و قد عارض هذا الحدیث قوم من أهل العلم و قالوا: نحن نعرض5.

1- دلائل النبوه للبیهقی ج 1 ص 26.
2- الخلاصه فی أصول الحدیث للطیبی ص 85.

هذا الحديث على كتاب اللّه: قبل كل شى ء، و نعتمد على ذلک؛ فلما عرضناه على كتاب اللّه، وجدناه مخالفا لكتاب اللّه؛ لأنّا لم نجد فى كتاب اللّه: ألّا يقبل من حديث رسول اللّه إلا ما وافق كتاب اللّه، بل وجدنا كتاب اللّه يطلق التأسى به، و الأمر بطاعته. و كذا المخالفه عن أمره جمله على كل حال) (1).

و قال أبو عمر: (قد أمر اللّه عز و جل بطاعته و اتباعه أمرا مطلقا مجملا، لم يقيّد بشى ء، كما أمرنا باتباع كتاب اللّه، و لم يقل: وافق كتاب اللّه، كما قال بعض أهل الزيغ) (2).

و قال يحيى بن معين عن حديث ثوبان عن النبى صلى الله عليه و آله وسلم ، الآمر بعرض الحديث على القرآن: إنه موضوع، وضعته الزنادقه.

و (قال الأوزاعى: (الكتاب أحوج إلى السنه من السنه إلى الكتاب.

و قال إبن عبد البر: إنها تقضى عليه، و تبين المراد منه.. و قال يحيى إبن أبى كثير: السنه قاضيه على الكتاب) (3).

المناقشه:

كان ما تقدم هو كل ما لدى هؤلاء من جهد لردّ حديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، الذى وافقه أبو بكر، و ابن مسعود، و أبى بن كعب، و معاذ،4.

1- جامع بيان العلم ج 2 ص 233 و إرشاد الفحول ص 33 و راجع هذا النص و غيره، فى كاتب: بحوث مع أهل السنه و السلفيه ص 67- 68 و سلم الوصول (مطبوع مع نهايه السول) ج 3 ص 174.
2- جامع بيان العلم ج 2 ص 233.
3- إرشاد الفحول ص 33. و راجع: سلم الوصول (مطبوع مع نهايه السول) ج 3 ص 174.

و ابن عباس. و رواه عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم علی (ع)، و أبو هریره، و ثوبان، و جعفر، و ابن عمر.

هذا عدا عما روی عن أئمه أهل البیت الأطهار صلوات اللّه و سلامه علیهم أجمعین.

و قد رأینا: کیف لم یتمکنوا من السیطره علی مشاعرهم و انفعالاتهم، و هم یبادرون إلی الحکم علی الحدیث بالوضع، ثم اکتشفوا الواضعین- بزعمهم- فکانوا هم الزنادقه و الخوارج.

و لا ندری متی عقد الخوارج و الزنادقه اجتماعهم الذی قرروا فیه وضع هذا الحدیث و اختلاقه!!

کما أننا لا ندری أین تم هذا الإجتماع!! و برئاسه من من الناس؟.

و من الذی أخبر هؤلاء بما دار فی ذلک الإجتماع، و بما تمخض عنه!!

کما أننا لم نستطع معرفه مبررات اتخاذهم قرارا کهذا، و هل إن عرض الحدیث علی القرآن یفید الزنادقه و الخوارج؟! و کیف؟!.

و هل إن عدم عرضه یضرهم؟! و کیف؟!

و أیا کانت الإجابه علی الأسئله الآنفه الذکر؛ فإننا نقول: إن ما ذکره هؤلاء علی أنه مبرر لرد حدیث عرض الحدیث علی القرآن، لا یصلح للتبریر، بل هو محض مغالطه ظاهره البطلان. و ذلک لما یلی:

أولا: إن عدم وجدانکم الحکم فی کتاب اللّه لا یعنی بالضروره أن یکون الحکم الذی تعرّض الحدیث له مخالفا للکتاب! فلعله یوافقه- و لو لعموماته- و أنتم لا تعلمون. و لا ندری إن کنتم تعتقدون: أن کل الأحکام کلیه و جزئیه، فی أدق تفاصیلها یجب أن تذکر فی القرآن صراحه و نصا!!

أو أنكم ترون لزوم ذكر نص الحديث فی القرآن، لیصبح موافقا له!!

و إذا كنتم تعتقدون ذلک، فلا ندری كم سوف یكون حجم القرآن حینئذ؟! و هل یمكن لأحد حفظه؟! أو حتی الإستفاده منه؟! و كیف؟! (1).

و ثانیا: إن هذا الحدیث ناظر إلی قبول الموافق و ردّ المخالف. أما ما لا یوافق و لا یخالف، فهو باق تحت أدله حجیه الأخبار.

و ثالثا: إن وجوب قبول الخبر إنما یثبت فیما تحقق أنه صدر من رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله) بالسماع منه، أو بالتواتر.

أما وجوب عرض الحدیث علی القرآن، فإنما هو فی الحدیث الذی یوجد ثمه شک و تردّد فی ثبوته عن رسول اللّه، إذ هو المراد من قوله: إذا روی لكم عنی حدیث (2) ألخ ..

و رابعا: یقول الشافعی، و أكثر أصحابه، و أكثر أهل الظاهر، و هو إحدی الروایتین عن أحمد بن حنبل: إن السنّه لا تنسخ القرآن، و به قال الصیرفی، و الخفاف (3).

و روی عن عبد اللّه بن سید المنع من ذلک عقلا. و قال أبو حامد و أبو إسحاق، و أبو الطیب الصعلوكی بالمنع سمعا.9.

1- لا بأس بمراجعه ما قاله السرخسی فی هذا المقام. أصول السرخسی ج 1 ص 365.
2- سلم الوصول (مطبوع مع نهایه السؤل) ج 3 ص 174.
3- راجع: المستصفی للغزالی ج 1 ص 124 و فواتح الرحموت (مطبوع مع المستصفی) ج 2 ص 78 و إرشاد الفحول ص 191 و نهایه السول للآسنوی ج 2 ص 579- 580 متنا و هامشا. و راجع ج 4 ص 457 و أصول السرخسی ج 2 ص 67- 69.

و قيل: ليس يمتنع، لا عقلا و لا سمعا، لكنه لم يقع.

و قال السّبكى: إن قول الشافعى لا يدل على أكثر من هذا (1).

أما نسخ الكتاب بخبر الواحد، فهو لا يقع إجماعا.

إذن، فما معنى أن تكون السنه قاضيه على الكتاب و ليس الكتاب بقاض على السنه؟!!

دليل آخر على عدم العرض على القرآن!!:

و قال الخطابى: و هو يتحدث حول ما ورد عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، أنه قال: (لا ألفينّ أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: ما ندرى، ما وجدنا فى كتاب اللّه اتبعناه) (2).

قال الخطابى: (فى الحديث دليل على أن لا حاجه بالحديث أن يعرض على الكتاب.، و أنه مهما ثبت عن رسول اللّه شى ء كان حجه بنفسه.

فأما ما رواه بعضهم، أنه قال: إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب اللّه؛ فإن وافقه فخذوه، فإنه حديث باطل لا أصل له. و قد حكى1.

1- راجع نهايه السول للآسنوى ج 2 ص 579- 580 متنا و هامشا.

2- راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج 1 ص 24 و مصابيح السنه ج 1 ص 158 و 159 و سنن ابن ماجه ج 1 ص 6 و 7 و مسند أحمد ج 6 ص 8 و ج 4 ص 131 و 132 و مستدرک الحاكم ج 1 ص 108 و 109 و تلخيص المستدرک للذهبى (مطبوع بهامشه) و الجامع الصحيح للترمذى ج 5 ص 37 و 38 و سنن الدارمى ج 1 ص 144 و سنن أبى داود ج 4 ص 200 و ج 3 ص 170 و الإملاء و الإستملاء ص 4 و كشف الأستار عن مسند البزار ج 1 ص 80 و المصنف للصنعانى ج 10 ص 453 و الأم ج 7 ص 310، و الكفايه فى علم الروايه ص 8- 11.

زكريا الساجى، عن يحيى بن معين، أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقه) (1).

و نقول:

أولا: إن الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه و آله) إنما يستنكر ردّ ما علم أنه قوله و أمره، و لا يستنكر عرض الحديث المشتبه به على القرآن للتأكد من صدوره منه صلى الله عليه و آله وسلم .

و ثانيا: لقد جاء هذا الحديث ليخبر عما سوف يكون حين وفاته (صلى اللّه عليه و آله و سلم) و قد تحقق مصداق ما أخبر عنه، و ذلک حينما طلب صلى الله عليه و آله وسلم أن يأتوه بكتف و دواه ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبدا، فقال عمر بن الخطاب: حسبنا كتاب اللّه. (2)

و هذا يعنى: أن عمر بن الخطاب يرى: أن القرآن أصل برأسه، و أنه غنى عن السنه، و هذا لا يتلاءم مع ما يدعيه هؤلاء.

و ثالثا: إننا لا ندرى كيف نعمل مع هؤلاء؛ فهذا أبو بكر، و عمر، و عثمان، و معاويه و غيرهم من خلفاء الأمويين، و قريش بصوره عامه لا يرغبون فى كتابه الحديث و لا فى روايته عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وسلم ، بل إنهم يمنعون من ذلک أشد المنع، و يعاقبون من خالف ذلک، ثم و يجمعون ما كتبه الصحابه عنه صلى الله عليه و آله وسلم و يحرقونه.د.

1- عون المعبود فى شرح سنن أبى داود ج 4 ص 356.
2- راجع: مسند أحمد ج 6 ص 47 و 116 و ج 1 ص 90 و 22 و 29 و 32 و 336 و 335 و ج 3 ص 346 و صحيح مسلم ج 5 ص 76 و صحيح البخارى ج 4 ص 5 و 173 و ج 1 ص 22 و المصنف للصنعانى ج 5 ص 438 و 439 و تهذيب تاريخ دمشق ج 6 ص 451. و راجع بقيه المصادر فى كتابنا: صراع الحريه فى عصر المفيد.

و ذلک علی أساس: أن کتاب اللّه کاف و واف. و علی حد تعبیر عمر بن الخطاب: حسبنا کتاب اللّه.

علی أن هؤلاء الذین أصروا علی الإکتفاء بکتاب اللّه سبحانه، تراهم قد منعوا من تفسیره، و من السؤال عن معانیه و مرامیه (1).

ثم جاء أتباعهم لیقولوا لنا: القرآن غیر کاف و لا واف، بل هو إلی السنه أحوج من السنه إلیه، ثم یقولون: السنه قاضیه علی الکتاب، و لیس الکتاب بقاض علی السنه.

فأی ذلک هو الصحیح؟ و من هو المصیب؟ و من المخطئ یا تری؟!

فإن کان الکتاب أساسا، و کان کافیا و وافیا، فلماذا المنع من السؤال عن معانیه، و مرامیه؟! و کیف تکون السنه قاضیه علیه؟!

و إن کانت السنه مقدمه علی الکتاب، فلماذا یمنع من الحدیث عن النبی صلی الله علیه و آله وسلم ، و یعاقب من حدث عنه؟!.

و إذا کان کذلک، فما معنی إجتهاد الصحابه، و إجتهاد غیرهم، و ما هی وسائل الإجتهاد التی یمکنهم من خلالها کشف الواقع، و الوصول الی أحکام اللّه سبحانه مادام انه لا مجال للإستفاده من القرآن، و لا من السنه.

ماذا جری للقرآن؟!

و لا نبعد إذا قلنا: إنه ربما تکون السیاسه التی کانت تقضی بالمنع76

1- راجع: الغدیر ج 6 ص 290- 293 عن مصادر کثیره، و کشف الأستار عن زوائد البزار ج 3 ص 70. الصحیح من السیره النبی الأعظم، مرتضی العاملی ج 1 277 ماذا جری للقرآن؟!..... ص : 276

من السؤال عن معانی القرآن و مرامیه قد ترکت آثارا عمیقه فی الناس عبر التاریخ، حیث أصبح الإهتمام بالقرآن یقتصر فی الأغلب علی الأمور الشکلیه فیه، کتحسین الصوت إلی حد التغنی به، و الإهتمام بتعداد حروفه و آیاته، و معرفه الحروف أو الکلمات الموجوده فی هذه السوره، و المفقوده فی تلک، و إجراء مقارنات و إحصاءات کثیره و متنوعه فی هذا الإتجاه.

ثم جاء الإهتمام بالشکل، و الخط، و الورق، و کیفیات الکتابه، و بالحرکات، و الأشکال، و النقوش، و ما إلی ذلک.

و کأن القرآن لم ینزل إلا من أجل أن یترنم به المقرؤون، و یردده المرددون بالنغمات الحسان، و بأبدع الألحان ..

و یصبح تحفه من التحف، و من الذخائر التی یتنافس بها أرباب المال، و رجال الأعمال علی اقتنائها.

ثم أصبح القرآن کتاب موت، لا کتاب حیاه، یقرأ فی الفواتح و علی القبور، أو یعلق من أجل البرکه علی الجدران و الصدور.

و بعد هذا، فلا ندری أی فائده تبقی لما اشتمل علیه القرآن من أوامر و زواجر، و قوانین، و تشریعات، سیاسیه، و إجتماعیه، و فقهیه، و غیرها؟!

و إذا کان الأمر کذلک، لم یعد کتاب هدایه، کما لا یبقی معنی للتدبر فیه، فلا معنی اذن لقوله تعالی: هُدیً لِلْمُتَّقِینَ، و قوله: یَهْدِی لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ، و قوله: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها؟!

و هل یبقی بعد هذا معنی لجعل النبی (صلی اللّه علیه و آله و سلم) القرآن أحد الثقلین اللذین لا یضل من تمسک بهما إلی یوم القیامه؟!

و لماذا یکلف اللّه الناس بحفظ و تلاوه هذا القرآن، بما له من حجم

كبير، ما دام أن لا ربط له بحياتهم، و دينهم، و معاشهم، و معادهم؟!

و أخيرا ... لماذا يهتم العلماء و المفكرون بتفسير القرآن، و شرح ألفاظه، و بيان معانيه، و كشف مراميه؟!

إلى غير ذلک من الأسئله الكثيره، التى لن تجد لدى هؤلاء الجواب المقنع و المفيد و السديد.

قبل الختام:

قد ذكرنا فى هذا الفصل بعض الثوابت التى لا بد من الإلزام و الإلتزام بها فى مجال البحث العلمى و الموضوعى، إذا أريد الوصول إلى نتائج معقوله، و مقبوله، و مرضيه للوجدان العلمى و الإنسانى.

و ليكن ما ذكرناه، و سواه مما لم نذكره مما يقره العقلاء و المنصفون على اختلاف مذاهبهم و مشاربهم، و اتجاهاتهم، هو المنطلق لنا فى تعاملنا مع كل ما يرتبط بقضايا الفكر، و العقيده، و التراث، على كثره ما فيه من تنوع و اختلاف و شموليه.

و بذلک يكون موقفنا قائما على أسس واقعيه، و قويمه؛ فنرضى بذلک وجداننا، و نتقرب به إلى ربنا، و نؤكد به إنسانيتنا، بالإضافه إلى أننا نقدم به للأمه، و للأجيال، و للبشريه جمعاء، خدمات جلّى، و فوائد جسام، و لا يضيّع اللّه أجر من أحسن عملا.

و نعود إلى التذكير، و التأكيد، على أن ما ذكرناه ليس هو كل شى ء، فإن كل نص يحمل معه مفاتيح البحث فيه، و يشير إلى وسائل التعامل معه، و ذلک بملاحظه ما فيه من عناصر، و ما تتوفر فيه من خصوصيات، ربما لا تتوفر فى نص آخر، بل ذاک يحمل معه عناصر أخرى و يحتاج إلى وسائل و أدوات من نوع آخر.

خاتمه المطاف:

و بعد ... فإننا نستطيع بملاحظه تلک الأسس مجتمعه أن نعرف مدى قيمه تلک النصوص الكثيره، التى تحاول أن تظهر نبينا الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم بذلک المظهر الصبيانى، العاجز و الجاهل، و المزرى و المهين، و تعطى- على هذا الأساس- حجمها الطبيعى، و تجد مكانها الحقيقى، فيما بين النصوص المزيفه و المختلقه.

و لا تجد لها بعد هذا فرصه للتسلل- بطريقه أو بأخرى- إلى تاريخ و فقه، و عقائد المسلمين، بحيث تعطى انطباعا خاطئا، لا ينسجم مع روح الإسلام و مبادئه، و لا مع واقع المسلمين و تاريخ نبيهم الأكرم صلى الله عليه و آله وسلم ، و الأئمه الطاهرين، و سائر الشخصيات الإسلاميه عبر التاريخ.

و حينئذ فقط نستطيع أن ندّعى: أن بإمكاننا أن نقدم للأمه التراث النقى الذى يكون- بحق- مصدر فخر و اعتزاز، و اعجاب المسلمين جميعا، و للإنسان أينما وجد و لأى فئه انتمى، و لنستفيد- من ثم- الكثير الطيب الذى يساعد على اكتشاف عناصر الضعف و القوه فى واقعنا الراهن، و الخطأ و الصواب فى مواقفنا الحاضره، من أجل البناء السليم و القوى للمستقبل المشرق الرغيد.

إن شاء اللّه تعالى.

كلمه أخيره:

و فی ختام هذا البحث لا یسعنی إلا أن أتقدم بجزیل الشکر للذین یتحملون عناء قراءته، و یصبرون علی ما یواجهونه من صعوبات فیه، سواء من الناحیه الفنیه، أو من حیث الإجمال فی نصوصه، و الإختصار فیها، الذی یصل أحیانا إلی درجه الإخلال بإعطاء الصوره الواضحه التی یراد تقدیمها لهم، و عرضها علیهم.

کما أننی أتقدم لهم بعذری، إذا کانوا یرون أننی قد اقتصدت فی إیراد النصوص و الشواهد، و لم أتعمد استیعابها، و لا تکثیف مصادرها.

فإن المقصود من طرح هذا البحث هو مجرد تسجیل إثارات لموضوعات هامه و حساسه، قلما حضیت من الباحثین و المؤلفین بما تستحقه من بحث و تمحیص. کما أنها لم تجد من یتوخی الصراحه و الوضوح فی عرضها و هی الحقائق الخطیره، التی توفرت الدواعی، و لا تزال علی إخفائها، و إبعادها عن الأضواء، بل و طمسها و التخلص منها بصوره أو بأخری.

ثم، إننی اعتذر للقارئ إذا وجد فی هذا البحث بعضا من الصراحه، التی قلما توجد فی بحوث الآخرین التی تناولت هذا الموضوع بالذات. و آمل أن یتسع صدره لذلک، بل و ینشرح و یبتهج له. و یکون لی

من المشجعين، لا من المثبطين.

وفقنا اللّه لقول كلمه الحق و اعتماد الصراحه و الصدق. فإن أئمتنا الأطهار أول من علمنا ذلک. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنک رحمه إنک أنت الوهاب.

و الحمد للّه، و الصلاه و السلام على محمد و آله الطاهرين.

لبنان- 25/ 2/ 1414 ه. ق.

جعفر مرتضى العاملى

فهارس الكتاب:

اشاره

الدليل الإجمالى للكتاب

ص: 287

الدلیل التفصیلی للکتاب:

ص: 289

التقليد و المحاكاه 64

ص: 290

ص: 291

ص: 292

ص: 294

شرط الإجازه للقصاصين 192

ص: 295

ص: 296

ص: 299

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام 1426 الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات
الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتي بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقها في أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على 8 أنظمة؛
JAVA.1
ANDROID.2
EPUB.3
CHM.4
PDF.5
HTML.6
CHM.7
GHB.8
إعداد 4 الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.1
IOS.2
WINDOWS PHONE.3
WINDOWS.4

وتقدّم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي 03134490125
هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021
قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.